

طبع بأمر من صاحب الجلالة الخیر المؤمنین الملک محمد السادس نصره الله

المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الطريق إلى الجانية في المغرب والسودان الغزني

خلال القرن التاسع عشر الميلادي

الجزء الأول

تأليف

الأستاذ أحمد الأزمي

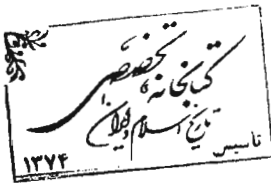
1421 هـ - 2000 م

طبع بأمر من صاحب الجلالة الشيخ المومنين الملك محمد السادس نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي

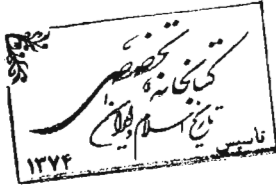
خلال القرن التاسع عشر الميلادي



الجزء الأول

تأليف
الأستاذ أحمد الأزمي

1421 هـ - 2000 م



تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
المصطفى الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، تمثل الطرق الصوفية جانباً هاماً من تاريخنا الإسلامي
المجيد، وإن دراسة تطورها على مدى العصور، وصيرورتها التاريخية،
يعتبران ضرورة من ضرورات البحث عن طبيعتها وعن الآثار التي
خلفتها والدور الذي قامت به عبر السنين والأعوام، وهو ما يسمح بفهم
العديد من الأحداث التاريخية، كما أن التعريف بأساتذة التصوف سواء
من طرف المؤسسات العلمية أو الباحثين المتخصصين سيؤدي لا محالة
إلى إظهار الدور الذي قاموا به في نشر العلم وتأصيله وفهم أسرار الدين
وتبليغه.

ومن أهم الطرق الصوفية المعروفة والتي كان لها دور بارز في
هذا المضمار: الطريقة التجانية لصاحبها ومؤسسها سيدي أبي العباس
أحمد التجاني، رضي الله عنه، فقد كان داعية إسلامية، دافع عن الإسلام
ضد كل التيارات الهدامة في كل المجالات ووجد صفوف المسلمين على
أسس علمية سنية سليمة ارتكزت على الكتاب والسنة، وأعاناه على ذلك
جمعه بين شرف العلم وشرف الأصل.

ولقد كانت الدولة العلوية الشريفة ترعى باستمرار الطريقة التجانية منذ السلطان المولى محمد بن عبد الله إلى اليوم، وكان شيخها متعلقا بالملوك العلويين وخاصة منهم العالم الأديب والسياسي المحنك السلطان المولى سليمان ابن الملك الصالح المصلح والعالم النحرير السلطان سيدي محمد بن عبد الله، فما أن استقر الشيخ أحمد التجاني بفاس نهائيا حتى أقام أسس التعاون مع السلطان المولى سليمان ارتكزت على صد الأعداء الذين كان لهم أطماع في الأراضي المغربية، وكذا تثبيت أسس الدين الإسلامي خصوصا في الصحراء، ونشر تعاليم الإسلام في إفريقيا عامة والقسم الغربي منها خاصة. وهكذا تضافرت جهود الطريقة التجانية والدولة العلوية الشريفة لإعلاء كلمة الحق، وأن إفريقيا وصحراءها قد وجدت فيهما معا خير مزيج لنشر الفكر الإسلامي ومعالم السنة المحمدية.

إن البحث الذي بين أيدينا اليوم "الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي" هو بحث يسعى مؤلفه إلى التأريخ لهذه الطريقة في حقبة زمنية معينة وفي أقطار معينة كذلك، وهو في الأصل أطروحة جامعية في الآداب - قسم التاريخ - تناول فيها المؤلف الأستاذ الفاضل أحمد الأزمي بالبحث والتحصيل هذه الطريقة والدور الثقافي والديني الذي أدته بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، وبين مدى حرص ملوك الدولة المغربية على تمتين الروابط الروحية والدينية والثقافية مع السودان الغربي خلال هذه الحقبة الزمنية

من تاريخ المغرب، كما أبرز الإشعاع الديني الإسلامي لهذه الطريقة مما
مكن من نشر الإسلام وتثبيته في بلدان جنوب الصحراء.
ونظرا للأهمية التي توليها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
لهذا النوع من الأبحاث العلمية الرصينة وسعيها الدائم لطبع ونشر هذه
الدراسات الجادة المفيدة، اعتبارا للدور المنوط بها في نشر العلم وإحياء
التراث الإسلامي بصفة عامة والمغربي بصفة خاصة.
يسعدنا أن تطبع هذا العمل العلمي الهام وأن تخرجه إلى حيز
الوجود لتيسير تداوله والانتفاع به من طرف العلماء الأجلاء والباحثين
المتخصصين والأساتذة والطلبة على حد سواء.
وتسأل الله العلي القدير أن يجعله في سجل الأعمال الصالحة
والمبرات الكريمة لمولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس
نصره الله وأيده، وخلد في الصالحات ذكره، ويقر عينه ويشد عضده
بصاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي رشيد، ويحفظه في سائر
أفراد أسرته العلوية الشريفة إنه سبحانه سميع مجيب.

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

تصدير:

لي الشرف العظيم أن أقدم للبحث العلمي الجامعي الذي ألفه الأستاذ الدكتور السيد أحمد الأزمي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، برسم أطروحة جامعية و التي تحمل عنوان : « الطريقة التجانية في المغرب و السودان خلال القرن 13هـ / 19م ». و قد قدمها للمناقشة العلنية يوم 15 محرم 1421 الموافق 20 أبريل 2000، حيث نالت درجة الإستحقاق بامتياز أمام لجنة المناقشة بمدرج الحاج أحمد أبا حنيني بالكلية المذكورة، والتي حضرها تحت إشراف الدكتور لحسن أغزادي.

و بعد قراءة البحث و فحصه فحصا علميا، اتضح أن العمل يستحق أن يطبع ضمن منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية التي تسهر و تحرص على نشر الأعمال العلمية الأصيلة و الهادفة، خصوصا إذا كانت تخدم الثقافة الإسلامية و الوعي الديني الاسلامي، سواء كان ذلك ضمن التراث الاسلامي العام أو من صميم خدمة هذا الإتجاه بواسطة جهود علماء المغرب المعاصرين، و هذا العمل من ضمن ذلك.

و يعتز هذا العمل بموافقة معالي الوزير الأستاذ الشريف الأصيل
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري وزير الأوقاف و الشؤون الإسلامية
على طبع هذا العمل الذي لا نغالي إذا قلنا إنه من ثمار التواصل الحضاري
بين الدولة المغربية في العصر العلوي المجيد و بلاد السنغال و إفريقيا
الغربية جملة و تفصيلا.

إن هذا البحث (الطريقة التجانية في المغرب و السودان الغربي)،
يعتبر عملا رائدا في بابهِ و غير مسبوق في مسألة دراسة الطريقة التجانية
في مضمونها الصوفي و دورها التاريخي، خاصة و أن صاحب هذا
الإنجاز العلمي يحرص كل الحرص ضمن ثنايا عمله على أن يبرز
«الحضور المغربي» في السودان الغربي على المستوى التاريخي
والحضاري والإشعاع الديني الإسلامي. و يحاول بشتى الوسائل أن يبرز
الروابط التي لا انفصام لها تاريخيا بين بلاد إفريقيا جنوب الصحراء و بين
بلاد المغرب الأقصى شمال الصحراء، تلك الروابط التي حاول صاحب هذا
البحث أن يضبطها في علاقات التواصل المتمثلة في :

- 1 - الروابط السلمية التاريخية بين المنطقتين الحضاريتين.
- 2 - العلاقات الروحية الممثلة في التراث الصوفي و الفكري بين
المنطقتين.
- 3 - العلاقات الإجتماعية التي تمثل التلاحم البشري بين المغرب
وبلاذ السودان.

من جهة أخرى برزت فاس في هذا البحث مركزا للتواصل الحضاري
كما كانت منطقة إفريقية الغربية إطارا متماسكا مع المغرب على المستوى
الروحي و الحضاري.

و قد اعتمد الباحث الأستاذ أحمد الأزمي على جميع مايمكن الإعتماد
عليه من مصادر أصيلة ووثائق أجنبية أعطت لهذا العمل الأكاديمي قيمته
العلمية الكبرى، فجاء موثقا توثيقا أصيلا، سواء كانت تلك «المظان»
و«الوثائق» بالعربية أو بلغات أجنبية أو صادرة بلهجات محلية حيث
اعتمد حتى على الرواية الشفوية المتعلقة بالبحث المذكور في المغرب
والسودان الغربي.

لقد برع الباحث في دراسة هذه الروابط والعلاقات، وحقق
بذلك إنجازا علميا يستحق أن تفتخر بطبعه والسهر على توزيعه
ونشره وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، خدمة للإسلام
ورعاية للباحثين الذين يكونون جنود الخفاء المجاهدين بحق من
أجل نصرته الإسلام وإبراز دور المغرب في هذا الإتجاه.

فاس : أ. د. هاشم العلوي القاسمي

رموز و اختصارات واردة في البحث

أ - بالعربية.

خ.ع.ر	: الخزانة العامة، الرباط.
خ.ح.ر	: الخزانة الحسنية، الرباط.
خ.ع.ت	: الخزانة العامة، تطوان.
خ.و.ب	: الخزانة الوطنية، باريس.
د.ت	: دون تاريخ
م.و.م.ر	: مديرية الوثائق الملكية، الرباط.
م.س	: مصدر سابق، مرجع سابق.
(ر)	: رضي الله عنه.

ب - باللغات الأجنبية

AESC	: Annales, Economies, Sociétés, Civilisation.
ANF, AE	: Archives Nationales de France, Affaires Etrangères.
ANF, S.OM:	Archives Nationales de France, Section outre Mer.
A.N.S	: Archives Nationales du Sénégal.
A.O.F	: Afrique Occidentale Française.
B.C.A.F/RC:	Bulletin du Comité de l'Afrique Française. Renseignements coloniaux.
B.C.E.H.S.A.O.F	: Bulletin du Comité d'études

	historiques et scientifiques de l'Afrique Occidentale Française.
B.I.F.A.N	: Bulletin de l'Institut Fondamental de l'Afrique Noire. Dakar.
B.N.P	: Bibliothèque Nationale de Paris.
B.S.G.C.B	: Bulletin de la société de Géographie Commerciale de Bordeaux.
C.E.A	: Cahiers d'Etudes Africaines.
C.E.D.R.A.B	: Centre d'Etudes, de Documentation et de Recherche, Ahmed Baba.
C.O.D.E.S.R.I.A	: Council for the Developement of Social Science Research In Africa - DAKAR.
F.A	: Fond Archinard.
F°	: Folio
FF°	: Folios
I.E.A.R	: Institut des Etudes Africaines, Rabat
I.F.A.N	: Institut Fondamental de l'Afrique Noire Dakar
I.N.A.L.C.O	: Institut National de Langues et Civilisations Orientales
ISESCO	: Islamic Educational Scintific and Cultural Organization
J.A.H	: journal of African History
J.H.S.N	: Journal of Historical society of nigeria
J.M.A.S	: Journal of Modern African Studies
J.S.A	: Journal de la Société des Africanistes
M.O	: Manuscrits Orienteaux
M.M.C	: Ministère de la Marine et des Colonies, Paris
M.S.D	: Le Moniteur du Sénégal et Dépendances
N.A	: Notes Africaines
R	: Recto

R.E.I	: Revue des Etudes Islamiques
R.C	: Revue Coloniale
R.F.H.O.M	: Revue Française de l'Histoire d'outre Mer
R.H.C.F	: Revue du l'Histoire des Colonies Françaises
R.M.M	: Revue du Monde Musulman
R.O.M.M	: Revue de l'Occident Musulman et de la méditerranée.
S.d	: Sans date
S.I.H.M	: Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc
S.L.S	: Sierra Leone Studies
T	: Tome
U.C.A.D	: Université Cheikh Anta Diop, Dakar
V	: Verso
Vol	: Volume

مقدمة:

حاول الباحث من خلال هذا العمل التطرق إلى موضوع الطريقة التجانية و انتشار تعاليمها بالمغرب و السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر، و بذلك قسم البحث إلى شقين كبيرين، اهتم الأول منهما بالمغرب و عالج الثاني ما يتعلق ببلدان نهري السينغال و النيجر الإسلامية بإفريقيا جنوب الصحراء¹.

لكن لماذا هذا الاختيار؟ و ما هي الأهمية التي يكتسبها هذا الموضوع؟ و ما هي الإشكالية التي يتأطر فيها؟

يرجع سبب اختيار هذا الموضوع بالدرجة الأولى إلى ما تكون لدى الباحث من أفكار و معلومات حول الجذور الإفريقية للمغرب و حول الروابط التاريخية التي نسجها مع دول إفريقيا جنوب الصحراء المسلمة عبر تاريخه الإسلامي على الخصوص. و ما كان لنا أن نستدرج إلى الاهتمام بهذه الديار السمرات التي يدين شعوبها للمغرب بالكثير مما وصلها من إشعاع إسلامي، لولا اشتغالنا خلال الثمانينيات بتهيء بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا حول السياسة الداخلية و الخارجية للسلطان

1 - لا تفوتنا الفرصة هنا دون الإشارة إلى أن مشروع هذا البحث نال منحة مجلس التنمية و البحث في العلوم الاجتماعية CODESRIA بإفريقيا خلال سنة 1992. فإلى أعضاء هذا المجلس نقدم جزيل الشكر.

المولى إسماعيل (1672 - 1727). فكان هذا الاهتمام فرصة مواتية لنا ونحن نتتبع سياسة هذا السلطان في الصحراء و السودان الغربي لمعرفة مدى حرص الدولة المغربية عبر تاريخها الاسلامي على تمتين روابط المغرب بعمقه الإفريقي.

و وعيا منا أن تاريخ هذه الروابط لازال غير معروف بما فيه الكفاية وبشكل دقيق، فقد عقدنا العزم على تحمل مسؤولية القيام بمساهمة تروم إعطاء صورة قريبة من بعض جوانب الحقيقة التي كانت عليها العلاقات بين المغرب و بلدان السودان الغربي في فترة زمنية تتحدد في القرن 19، قد تشكل إضافة لما سبق هذه المحاولة من كتابات رصيذاً متواضعاً لما سيليها من إنجازات في نفس الميدان. و مع مرور الزمن و تراكم المعطيات المعرفية حول تراثنا المشترك مع أشقائنا في إفريقيا جنوب الصحراء، سيصبح بالإمكان كتابة تاريخ شامل لما كانت عليه العلاقة بين الجانبين، تاريخ اقتصادي و اجتماعي و ديني.

أما الجانب الذي ركزنا عليه في هذه العلاقات، فينحصر في الروابط الثقافية الدينية، و خصوصاً الصوفية منها في الفترة المدروسة. و قد انبثق هذا الاختيار من عدة قناعات نجل أهمها في النقاط الآتية:

1 - كون معظم الكتابات - على قلتها - عربية و أجنبية إما في شكل كتب أو مقالات، و عبر حقبة تاريخ المغرب الإسلامي على الخصوص ركزت على العلاقات الاقتصادية بالدرجة الأولى (الذهب)، و السياسية

بالدرجة الثانية (فتح السلطان أحمد المنصور السعدي للسودان).

2 - إهمال جانب الزوايا الذي يكاد يكون مغيبا في هذه الكتابات.

3 - الدور البارز الذي لعبته الزوايا و خصوصا التجانية منها في توطيد قواعد الإسلام بالسودان الغربي بالعمل على تنقيته مما أصابه من شوائب، و القضاء على جيوب الوثنية و الوقوف في وجه المسيحية بتلك الأصقاع.

4 - الدور المتميز الذي لعبته الطريقة التجانية في تمتين روابط الوحدة بين شمال المغرب و جنوبه الشنقيطي.

أما البعد الآخر في هذا الاختيار، فهو موضوعي وذاتي في آن واحد، موضوعي بسبب ما حققته تعاليم الطريقة التجانية ميدانيا من تنشيط و تمتين للروابط البشرية و الروحية و السياسية و التجارية أيضا مع بلدان السودان الغربي انطلاقا من المغرب. أما الشق الثاني من هذا البعد و نقصد به الذاتي، فينقسم بدوره في تقديرنا إلى قسمين، قسم يتعلق بالباحث نفسه الذي يرى في الإهمال الشبه الكلي لأدب المناقب من قبل المشتغلين في حقل التاريخ غبنا في حق ثلة من أولياء الله الذين كثيرا ما دافعوا عن العباد و البلاد ضد الأطماع المسيحية في المغرب، بعدما عجزت السلطات المركزية عن القيام بواجبها في بعض فترات ضعف الدولة المغربية.

و لم يكن بإمكان هذه الصفوة من شيوخ الزوايا و التصوف انهاض الهمم و شحذ العزائم للقيام بالواجب المقدس، لولا السمعة الطيبة التي

تميزوا بها بفضل دروس البر والإحسان التي أعطوها لتلاميذهم ومريديهم، واستطاعوا من خلالها تعميق العشق الإلهي والحب النبوي في قلوبهم. ومن نشأ على هذا الطراز من التربية الروحية يسترخص الغالي والنفيس حتى لا تدوس ديار الإسلام أقدام العدو الكافر. من جهة أخرى يعتبر الدين أحد العوامل الأكثر قوة وتأثيراً في الحضارة كما تقول بذلك فلسفة التاريخ¹ وكما نادت بذلك مدرسة الحوليات²، باعتبار أن الهدف الأساسي للحضارة هو تنشئة الفرد تنشئة صالحة في مجتمعه بتهديب خلقه و صقل مواهبه وتعليمه حب الخير للجميع، وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، لينبذ بذلك كل صفات الرعونة والأنانية.

و مع علمنا أن كل الديانات الموحدة لله لا تخلو من تعاليم تدعو المجتمعات التي تخاطبها من خلال أنبيائها إلى التعامل فيما بينها برفق وإحسان فإن التعاليم الإسلامية كتاباً وسنة خصت الفرد بعناية ما بعدها عناية، للسمو بأخلاقه وجعله في مستوى الأمانة التي أنيطت به. وهذا السمو لا يتحقق في اعتقادنا إلا إذا ترقى الفرد في تربيته الروحية من مرتبة الإسلام إلى مرتبة الإيمان ثم مرتبة الإحسان. وقد ورد أن

1- Bonet Maury (G). L'Islamisme et le Christiamisme en Afrique, Paris, 1906, Introduction, n°1.

2- Bruguière (A) Dictionnaire des Sciences historiques. Paris. 1986. p. 577.

جبريل سأل الرسول صلى الله عليه و سلم عن معنى الإحسان، فأجاب أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك¹.

و لعمرى أن الفرد الذي ترعرع في ظلال تعاليم الإسلام الوارفة، حافظا لكتاب ربه ملما بسنة نبيه، مستحضرا مكر الله في كل تصرفاته، هو الذي يكون محافظا على أمانة ربه، و مؤهلا ليكون خليفة لله في أرضه، خير راع لمصالح أمته، فهو بتعبير عصرنا الرجل الصالح في المكان الصالح.

بالنظر إلى كل هذه الاعتبارات و غيرها نرى أن إغفال البعد الديني في دراسة التاريخ أمر مجانب للصواب، و لا يخدم الحقيقة التاريخية في شيء خصوصا و أن ديننا الإسلامي كما لا يخفى على أحد هو صانع هويتنا الثقافية و الحضارية التي تميزنا على باقي الشعوب الأخرى، و إذا كان الأمر كذلك أليس من العجيب و المفارقة في تصورنا أن يحظى، على سبيل المثال، الجنرال ليوطي، و الجنرال كيوم، و الجنرال دوكول، و الآثار الرومانية و الفنيقية، و بعض شيوخ «العيطة»، باهتمام بعض الدارسين، و لا يلتفت إلى ولي صالح مثل سيدي احمد التيجاني لتسليط الأضواء على شخصيته و على ما ترتب على انتشار تعاليم طريقته في المغرب و خارجه من نتائج بالغة الأهمية.

1 - يحيى بن شرف النووي، الأربعون النووية و شرحها، الإسكندرية. (د.ت)، ص: 14.

إننا لسنا ضد هؤلاء الذين وجدوا من يهتم بهم و لكننا نأسف للموقف الغامض إن عن وعي أو غير وعي، الذي اتخذته أغلب المؤرخين إزاء هذا الصنف من البشر الذين ليس لهم من عيب سوى إفراطهم في محبة الله.

أما القسم الثاني في هذه الذاتية فيتعلق بالذات الجماعية، ذاتنا كمغاربة، لأن مشروع فهم روابط المغرب بالبلدان الإفريقية الأخرى على حقيقة عمقها و في نطاقها الواسع جزء من مشروع فهم أنفسنا و ليس مشروعا ظرفيا وليد اندفاعات وقتية عابرة، بل هو مشروع مرسوم في هياكل و بنى كياننا، حسب تعبير الدكتور عبد الله العروي¹.

و حتى نضمن لهذا المشروع النجاح الكامل، لا يجمل بنا أن نقصي أهمية الطرق و الزوايا في مكونات التراث الذي يجمعنا مع إخواننا الأفارقة، خصوصا و نحن على تمام الإدراك أن المغرب يعلو و يرتفع بتدعيم و ترسيخ روابطه بإفريقيا و ينحدر بضعف تلك الروابط و انحلالها.

الإشكالية التي حاول البحث الإجابة عنها هي المحددة في التساؤل عن مدى حقيقة وجود روابط تاريخية متواصلة بين المغرب و بلدان السودان الغربي خلال القرن 19 على الخصوص. و نعتقد أن المادة العلمية التي توفرت لدينا ساعدتنا إلى حد ما على إثبات و تأكيد وجود هذه

1 - عبد الله العروي، علاقات المغرب بإفريقيا، ملاحظات أولية، مجلة دراسات، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، أكادير، عدد 2. 1988، ص: 23.

الروابط.

وقبل أن نتطرق لمسألة المصادر و المراجع نود إثارة الانتباه إلى أن عملنا المتواضع هذا غير مسبوق حسب ما نعلم، على الأقل بالصيغة التي يحملها عنوان موضوع البحث «الطريقة التجانية في المغرب و السودان الغربي».

وهذه الصيغة هي التي سمحت لنا بتتبع انتشار تعاليم الطريقة التجانية من الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط إلى أدغال إفريقيا السوداء، و ما نتج عن ذلك من نتائج إيجابية ساهمت في توطيد وجود المغرب الفاعل في امتداده الصحراوي و تمتين روابطه مع بلدان ما رواء نهري السنغال و النيجر. و مما يؤكد حقيقة هذا السبق خلو المكتبة المغربية من أية دراسة جادة حول الطريقة التجانية و انتشار تعاليمها بالمغرب و خارجه باستثناء خمسة أعمال متفاوتة الأهمية:

الأول: دراسة الدكتور جميل أبو نصر المحررة بالإنجليزية والمنشورة منذ عام 1965، و هي دراسة مفيدة بكل موضوعية رغم أفقية التناول و عدم تركيزها على الطريقة التجانية في مكان بعينه، كما يعكس ذلك عنوانها: **«الطريقة التجانية في العالم المعاصر»**، مما جعل معلوماتها عامة، و فضفاضة بسبب الشمولية التي اختارها المؤلف في طريقة التأليف و بناء العمل الذي تتبع انتشار الطريقة التجانية في كل أنحاء العالم. و من نقط ضعف هذه الرسالة على أهميتها عدم توفق المؤلف

في مناقشة بعض مفاهيم التصوف و خصوصا التجاني منه، فسقط بسبب ذلك في بعض الهفوات.

الثاني: دراسة الباحثة زهرة طموح، المهمة بتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء و الأستاذة بكلية الآداب بالرباط. و قد أنجزت هذه الدراسة الجيدة غير المنشورة التي تحمل عنوان: «علاقات المغرب بالسودان الغربي خلال القرن 19»، من أجل نيل دبلوم الدراسات العليا، و تمت مناقشتها بباريس عام 1982. غير أن موضوع الطريقة التجانية لم يشكل في هذا العمل سوى أحد فصوله إلى جانب الطريقة القادرية. و رغم ذلك فقد أفادنا هذا العمل كثيرا عندما كنا لا زلنا في الخطوات الأولى من البحث.

الثالث: بحث الأستاذ الرياحي، أستاذ التاريخ بمكناس حول نفس الطريقة (التجانية) و الذي نال به ما يعادل دبلوم الدراسات العليا بالولايات المتحدة الأمريكية و هو البحث الذي لم نتمكن من الإطلاع عليه، و لم نعرف بالتالي تاريخ إنجازه رغم ما بذلناه من مساعي. و هو محرر بالإنجليزية حسب ما نعتقد و غير منشور.

الرابع: مؤلف محمد الحافظ المصري التجاني الذي يحمل عنوان: «الحاج عمر الفتوي سلطان الدولة التجانية بغرب إفريقيا ...»، و هو كتاب صغير الحجم تقل صفحاته عن المائة، نشر في مصر عام 1383 هـ. و هو المؤلف الوحيد بالعربية الذي هدف صاحبه من ورائه إلى إعطاء نبذة عن جهاد الحاج عمر الفتوي في السودان الغربي و نشر أخبار

فتوحاته بين قراء العربية، و هي إلتفاته منه، يستحق عليها كل التنويه رغم تركيز محتواه على شخص الحاج عمر فقط.

الخامس: كتيب من حوالي مائة و عشرين صفحة ألفه الأستاذ

الفقيه عبد العزيز بن عبد الله، التجاني الطريقة، و هو أستاذ بجامعة محمد الخامس و دار الحديث الحسنية، و عضو بأكاديمية المملكة المغربية.

حرره صاحبه بالفرنسية تحت عنوان: «**التجانية، طريقة روحية**

و اجتماعية». و لم نتمكن من الإطلاع عليه إلا في آخر لحظة، لأنه لم

ينزل إلى السوق، إلا في منتصف السنة التي نشر فيها في مطبعة النجاح

الجديدة الدار البيضاء، سنة 1999، و رغم صغر حجمه فهو قمين بإعطاء

نظرة صحيحة عن التجانية و عن سنية طريقتها و عقلانية شيخها

و واقعيتها، لقراء الفرنسية. و قد أعطى المؤلف عناية كبيرة للجوانب

الروحية للطريقة، و موقف هذه الأخيرة من بعض المفاهيم الصوفية،

كالاتحاد و الحلول، و القطبانية، معبرا في الوقت نفسه عن وجهة نظره من

موقف التجانية من السلفية و الوهابية.

كتابات الأجانب باللغتين الإنجليزية و الفرنسية عن التجانية كثيرة

و متنوعة، لكن في إفريقيا جنوب الصحراء، و يأتي الحديث فيها عن

التجانية بشكل عرضي و جزئي فقط ضمن اهتمامات تشمل السودان

الغربي و الأوسط بشكل عام و تقدم جردا لتاريخ المنطقة و جغرافيتها

الطبيعية و البشرية، و وصول الإسلام إليها و دور الطرق الصوفية

و ضمنها التجانية في تمتين قواعد هذا الدين بالقارة السوداء، و اصطدام
الهجمة الاستعمارية بهذا الواقع. و من بين الدراسات المحررة بالإنجليزية
نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- كتاب «تاريخ الإسلام بإفريقيا الغربية» A History of Islam in
West Africa لسبانسير ترمينغام (J.) Spenscer Trimingham.
- كتاب «تاريخ غرب إفريقيا» History of West Africa لويبيستير
Wesbester (J.P.) و آخرين.

- كتاب «بداية تقسيم غرب إفريقيا» Prelude To the Partition of
West Africa.

- كتاب «المسلمون و الزعماء في غرب إفريقيا» Muslims and
Chiefs in West Africa. لمؤلفه ليفيتزيون نيهيميا (N) Levitzion.

غير أنه إذا أردنا عد ما كتب بالفرنسية عن بلدان السودان الغربي
كمستعمرات فرنسية، فإن اللائحة ستطول و أغلبها كتب في الفترة
الإستعمارية أو قبلها. و لا نكاد نجد واحدا منها يخلو من ذكر التجانية
و شيخها الحاج عمر هناك. هذا الأخير الذي نعت من خلال هذه الكتابات
بشتى أنواع التنقيص و التحقير كالتعصب، و الحقد و الجمود و الظلامية،
و كره الأجانب، و سيطرة الفكر الخرافي، لأن الطريقة التجانية مكنت الحاج
عمر من تكوين جيش عرمرم من مريديه خاض به حربا ضد الفرنسيين.
و يأتي في مقدمة أصحاب هذه النزعة الإستعمارية مؤلفون مثل:

ألفونس كويي .Alphonse Gouilly

بوني موري .Bonet Maury

دولافـوص .Delafosse

لوشاطوليي .Le Chatelier

بول مارتـي .Paul Marty

لويس رينـ .Louis Rinn

كوبولاني .Coppolani

أوكطاف دييـون .Octave Dépont

و غيرهم كثير كما يتضح من لائحة البيبليوغرافية.

أما المقالات و الدراسات المنشورة في المجلات و الدوريات
حول نفس المنطقة باللغتين الإنجليزية و الفرنسية فلا تكاد تحصى،
ونخص بالذكر في هذا الصدد الأستاذين جون هونويك John Hunwick،
و الباحث هيسكيت ميرفين Hisket Mervyn، صاحبي الإسهامات
المتعددة حول شعوب المنطقة و دور الفولاني في نشر الإسلام بالسودان
الغربي، بواسطة الجهاد الذي أطرته رجالات ذوو تكوين صوفي في
الغالب. و كلاهما يكتب بالإنجليزية.

و عن الجانب الفرنسي فيمكن وضع إسم بول مارتـي P. Marty

في أول القائمة، ثم موني ريمون Mauny Raymond، فشارل مونتاي

Charles Monteil و فانسان مونتاي Vincent Monteil.

غير أن ثلثة من السينغاليين و الماليين و غيرهم من جيل ما بعد الإستقلال كتبوا في تاريخ بلدانهم بروح وطنية، و بذلوا ما في وسعهم لإظهار فضل الإسلام على القارة الإفريقية و خصوصا ما يوجد منها جنوب الصحراء، فكان لابد لهم و هم يقومون بهذا العمل من التعرض للطرق الصوفية و إعطاء وجهة نظرهم حولها، فأنتت مواقفهم منها في غالب الأحيان مواقف المناصرين و المدافعين عنها. و من بين هؤلاء:

با أحمدو همباطي	.Bà Ahmadou Hampaté
با عمر	.Bà Oumar
با تامسير عصمان	.Bà Tamsir Ousmane
سيسوكو سكينى مودي	.Cissoko Sékéné Mody
ديالو تييرنو	.Diallo Thierno
كان عمر	.kane Oumar
كان عبد السلام	.Kane Abdou Salam
الشيخ موسى كامارا	.Cheikh Moussa Kamara

أما ما ظهر كدراسات جادة حول التجانية بالسودان الغربي، فلم نجد أكثر من كتابين حسب علمنا، و كلاهما ركز على جهاد الحاج عمر الفوتي في المنطقة.

الدراسة الأولى نشرت بباريس سنة 1988 مترجمة عن الإنجليزية، تحمل عنوان «جهاد الحاج عمر» la Guerre Sainte D'al Hajj Oumar

من تأليف دافيد روبانسون David Robinson. و هو عمل مفيد ووظف فيه صاحبه وثائق عربية و أجنبية، محلية و خارجية. و بما أن المؤلف زار المنطقة و وقف على كثير من المواقع التي شهدت أحداث الجهاد، فإنه لم يهمل إفادات الرواية الشفوية. و رغم ما يكتسبه هذا العمل من أهمية على المستوى التوثيقي بالخصوص، فإن عدم تعمق المستعربين في فهم اللغة العربية عموماً و التصوف خصوصاً، يجعل أحكام القيمة التي يصدرونها في بعض الأحيان حول التراث الإسلامي و رجاله غير صحيحة بالإضافة إلى تشكك روبانسون في موضوعية الوثائق المتعلقة بجهاد الحاج عمر، ناهيك عن الاستنتاجات المتسارعة في حق هذا الأخير مثل افتقاده للحس السياسي و إطلاق العنان لجيشه في السلب و النهب، و انتهاك أبسط حقوق الإنسان خلال العمليات الحربية، و هي أمور حتمت انهيار الدولة التجانية في النهاية حسب نفس المصدر.

الدراسة الثانية من إنجاز الباحثة المالية مادي نالي طال Madina Ly Tall و هي من أسرة الحاج عمر، و تحمل عنوان «إسلام مناضل في غرب إفريقيا خلال القرن 19» Un Islam Militant en Afrique de l'Ouest au 19^{ème} S. نشرت بباريس عام 1991. إن ما يميز هذا العمل عن سابقه هو إعطاؤه عناية كبيرة لشخص الحاج عمر منذ طفولته إلى أن أصبح قائدا للجهاد بالسودان الغربي، مركزة في ذلك على أهم مراحل حياته العلمية و رحلته إلى الديار المقدسة و انخراطه في

التجانية وعودته إلى بلاده لإعلان الجهاد ضد الوثنية والمسيحية. وبذلك فقد أظهرت غيرة وحماسا لبطلها لافتين الإنتباه في هذا العمل المهم.

ونخلص إلى القول بعد هذه النظرة عن ما كتب عن التجانية في المغرب و السودان الغربي بأن عملنا غير مسبوق من حيث كونه يؤرخ لأول مرة لقيام الطريقة التجانية بالمغرب وإشعاعها وانتشار تعاليمها حتى السودان الغربي عبر جنوبه الصحراوي الشنقيطي.

أما المصادر و الوثائق التي اعتمدنا عليها لإنجاز هذا البحث فيمكن تقسيمها إلى قسمين كبيرين، قسم خاص بقيام الزاوية التجانية بالمغرب و انتشار تعاليمها جنوبا حتى نهر السنغال، و قسم وظفناه لانتشار تعاليم نفس الطريقة بالسودان الغربي.

1 - مصادر القسم الخاص بالمغرب:

مصادر هذا القسم عربية و مغربية مائة في المائة تقريبا باستثناء ما هو منسوب لأحمد البكاي، منها ما هو منشور و منها ما هو مخطوط.

و تجدر الملاحظة هنا إلى أن المخطوط و المنشور منها يتساوى من حيث الأهمية، لأنها لم تستغل استغلالا حقيقيا في دراسات رائدة عن التجانية بالمغرب. و يأتي في مقدمة هذه المصادر:

- كتاب «جواهر المعاني» لعلي حرازم برادة، منشور في جزئين وبهامشه كتاب «رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم»

للحاج عمر الفوتي.

- كتاب «الجامع لما افترق من درر العلوم» لمحمد بن المشري،

مخطوط في جزئين.

- كتيب «الإفادة الاحمدية لمريد السعادة الأبدية» لمحمد الطيب

السفياني وهو منشور.

و تأتي أهمية هذه الكتب من كون أصحابها كانوا من أحباب سيدي أحمد التجاني و من خاصة خاصته، مما أهلهم ليكونوا الناطقين باسم شيخهم. و قد ضمنوا كتبهم كل ما صدر عن هذا الأخير من أقوال و أفعال، و ما سطره لمريديه من أوراد و أذكار و صلوات على النبي. و بذلك يمكن القول إن كتابي (جواهر المعاني) و (الجامع لما افترق من درر العلوم) على الخصوص، يعتبران سجلين جامعين شاملين لتعاليم الطريقة التجانية الصحيحة، بالإضافة إلى ما اشتملا عليه من أخبار مفيدة حول طفولة سيدي أحمد التجاني و دراسته و أسفاره و أخذه عن عدد من شيوخ التصوف في المغرب و خارج المغرب إلى أن تكرم عليه الرسول صلى الله عليه و سلم و خصه بطريقة صوفية محمدية كما هو وارد في الكتابين المذكورين.

و لا نبالغ إذا قلنا أن ما ظهر من تأليف الطريقة التجانية في عهد الجيل الثاني بعد وفاة سيدي أحمد التجاني، ثم الجيل الثالث، و ما أكثرها، لم يفعل أصحابها أكثر من نسخ ما يوجد في جواهر المعاني و الجامع لما

افترق من درر العلوم زيادة أو نقصانا.

غير أنه مع مرور الوقت و تعاقب السنين بعد رحيل الجيل الأول الذي عمل رجالاته جنبا إلى جنب مع شيخهم على تأسيس الزاوية التجانية بفاس، بدأ التشويه و التلفيق يصيب تعاليم الطريقة التجانية و يهدد بنخرها من الداخل، فظهرت ثلة من الفقهاء و العلماء التجانيين الذين تصدوا لهذا الخطر بتأليف كتب في الطريقة هدفها المحافظة على تعاليمها الصحيحة، و شرح ما غمض من مفاهيمها و مضامينها و نشرها بين عموم الناس. و يأتي في مقدمة هؤلاء:

- محمد العربي بن السائح صاحب بغية المستفيد لشرح منية المريد.
- محمد أكنسوس مؤلف كتابي الحل الزنجفورية في الأسئلة الطيفورية، و الجواب المسكت في من تكلم عن الشيخ التجاني بلا تثبت.
- الحسين الأفراني صاحب كتابي الخواتم الذهبية في الأجوبة القشاشية و ترياق القلوب من أدواء الغفلة و الذنوب.
- محمد بن عبد السلام كنون، صاحب الدر المنظوم في نصرة القطب المکتوم.

- أحمد سكيرج صاحب كشف الحجاب عن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، و مؤلف رفع النقاب بعد كشف الحجاب، و كتب أخرى في الطريقة يصعب حصر عددها.

- محمد الحجوجي الحسيني، صاحب مؤلف كتاب أتحاف أهل

المراتب العرفانية.

- عبد الحفيظ سلطان المغرب مؤلف الجامعة العرفانية بشروط و جل فضائل أهل الطريقة التجانية.

- محمد العربي اللحياني مؤلف رسالة الترغيب و الترهيب.

- عبد الرحمان بن زيدان في إتحافه، و قد كان بدوره تجانيا و ترجم لعدد مهم من تجانيي مكناس.

- محمد بن عبد الواحد النظيفي السوسي في شرح الدرة الخريدة على الياقوتة الفريدة.

دون أن ننسى محمد بن جعفر الكتاني صاحب سلوة الأنفاس الذي قدم ترجمة وافية لسيدي أحمد التجاني، و ذكره و طريقته بخير، رغم أنه لم يكن تجانيا.

و قد طعنا على خزانة المغرب و خزانات بعض الأسر التجانية لاقتناء نسخ بعض هذه المصادر المخطوط منها و المنشور النادر.

و مما أثلج صدرنا كباحث في هذا الميدان أن نجد إخوتنا الشناقطة في الامتداد الجنوبي للمغرب، يسهمون بقسط وافر في الإنتاج الفكري التجاني، دفاعا عن الطريقة و نشر تعاليمها، مكرسين بذلك الوحدة الوطنية الكبرى، و يأتي على رأس هؤلاء:

محمد بن محمد الصغير الشنقيطي مؤلف الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سل على التجاني سيف الإنكار.

- أحمد بن محمد بن العباس العلوي الشنقيطي صاحب كتابي، روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر الطريقة، ثم الغضب اليماني في الرد عن شيخنا سيدي أحمد التجاني.

- سيدي عبدة بن أنبوجة الشنقيطي التيشيتي مؤلف ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية.

- أحمد بن الأمين الشنقيطي مؤلف درء النبهاني عن حرم الشيخ التجاني.

كانت هذه لمحة عن أهم المصادر التي أنثت فصول الأبواب الخاصة بالمغرب.

فما هي الخطوط العريضة لمصادر القسم الخاص بالسودان الغربي؟

2 - مصادر القسم الخاص بالسودان الغربي:

اعتمدنا في هذا القسم على مصادر و وثائق منشورة و مخطوطة بالعربية لكن المخطوطة منها و المحفوظة بدور الأرشيف الوطنية بفرنسا و السنغال و مالي (عربية و فرنسية) هو الذي أسعفنا كمًا و كيفاً في تحقيق هدفنا. و قد أمكن الحصول على هذه المصادر إما بزيارة البلدان المعنية و خزاناتها الوطنية أو عن طريق مراسلة المصالح المختصة بها و مكاتبة بعض الزملاء الأساتذة مثل الأستاذ جان لويس طريو J.L.Triaud بجامعة اكس اون بروفانس Ex En Provence بفرنسا، و الأستاذ صامبا

ديانك Samba Dieng بجامعة (الشيخ انطا ديوب، دكار U.C.A.D/ DAKAR) اللذين زودانا ببعض الوثائق و المقالات المصورة سواء أثناء حلولهما ضيفين علينا بفاس أو عن طريق المراسلة.

و بما أن مضامين هذه الوثائق العلمية و التقنية مبسطة في ثنايا البحث و في لائحة المصادر و المراجع فإننا سنكتفي هنا بإعطاء لمحة عن مستندات الخزانة الوطنية ببافيس.

هذه المخطوطات محررة بالعربية من قبل فقهاء تجانيين و غير تجانيين، و رجال سياسة بالسودان الغربي ووظفناها في الجزء الثاني من البحث الخاص بالسودان الغربي. و تأتي أهميتها من كون مؤلفيها عاصروا الأحداث التي وقعت خلال الفترة المدروسة، و هذا ما يفسر تنوعها إلى رسائل سياسية، و أحداث تاريخية و كتابات شعرية و نثرية و أدبية متعددة الأغراض. و بقدر ما ساعدتنا هذه المادة العلمية الثرية على توثيق عدة فصول من البحث، فقد مكنتنا في الوقت نفسه من تكوين صورة جيدة عن دور الإشعاع الثقافي المغربي في النهوض بالمستوى المعرفي الإسلامي لدى الشعوب الإسلامية بإفريقيا جنوب الصحراء عامة و حوضي نهري السنغال و النيجر خاصة.

هذه الثروة من المخطوطات العربية السودانية القابعة بالخزانة الوطنية ببافيس كان وراء نقلها إلى العاصمة الفرنسية الكولونيل أرشينارد Archinard، بعد ما نجح في الإطاحة بالدولة التجانية خلال العقدين

الأخيرين من القرن التاسع عشر كما فصلنا ذلك في هذه الأطروحة،
و لذلك فإن هذه المجموعة من المخطوطات بالخزانة الوطنية بباريس تحمل
إسم مستندات أرشيفنا ضمن المخطوطات الشرقية Bibliothèque
Nationale de Paris, Manuscrits Orientaux, fonds Archinard.

و أغلب أرقام المخطوطات التي تهمننا تقع ما بين 5259 و 5749.
و كما حصل لبلدان السودان الغربي المسلمة من نهب لتراثه الفكري،
حصل للمغرب أيضا بعد احتلاله. و على نفس المنوال نسجت كل الدول
الأوربية المستعمرة التي رحلت تراث الأمم المستضعفة إلى عواصمها،
فصار الباحث من العالمين العربي و الإفريقي و غيرهما مجبرا على شد
الرحال إلى البحث في دور أرشيفات كبريات المدن الأوربية إن هو أراد أن
ينجز بحثا جيدا عن تاريخ بلاده.

و حتى نتيج للقارئ و المهتم تكوين فكرة عن أهمية و غزارة التراث
الفكري العربي الإسلامي بالسودان الغربي المنهوب من قبل فرنسا
وحدها، علاوة على المخطوطات الآنف ذكرها، نشير باقتضاب إلى العمل
الجاد الذي أنجزه كل من نور الدين غالي و سيدي محمد ماهيبو و لويس
برينير Louis Brenner تحت عنوان: جرد لمحتويات الخزانة العمرية
بسيكو¹ Inventaire de la Bibliothèque Umarienne de Ségu.

1- Ghali (N) Mahibou (S.M.) et Brenner (L.) Inventaire de la Bibliothèque Umarienne de Ségu. Paris 1985.

و هذا العمل كما يوحي بذلك العنوان اهتم بجمع و تصنيف محتويات خزانة الحاج عمر بسيكو المنقولة إلى باريس على يد أرشينار. و قد حوى هذا التأليف جردا لمخطوطات هذه الخزانة العمرية التي بلغ عددها 518. وإذا كانت هذه الخزانة وحدها تضم مثل هذا العدد من المخطوطات العربية، فمما لا شك فيه أن مخطوطات كل بلدان السودان الغربي المحفوظة بالخزانة الوطنية بباريس وغيرها من المدن الفرنسية تعد بعشرات الآلاف.

و أمام هذا العمل الجبار الذي تضافرت من أجل تمويله جهود فرنسية أمريكية¹ على الخصوص، أصبحت الفهارس التي أعدها من قبل جورج فاجدا Georges Vajda متجاوزة². و قبل الانتقال إلى إعطاء فكرة عن بناء الموضوع و تصميمه، لا بد من الإشارة إلى أن كتاب (رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم) لمؤلفه الحاج عمر، المنشور على هامش كتاب جواهر المعاني لعلی احرازم برادة، كان خير معين لنا على تتبع

- Ibid. Introduction. pp. IV à IX. – 1

- Vajda (G.) : – 2

- Introduction à la connaissance de la Littérature Arabe en Afrique Occidentale. Journal de la Société des Africanistes. XX (1950). pp. 229 à 237.

- Guide des Sources de l'Histoire de l'Afrique au Sud du Sahara dans Les Archives et les Bibliothèques Françaises. Volume II: - Bibliothèque (UNESCO. 1977). pp. 699 à 877.

رحلة الشيخ الفوتي إلى الحجاز و عودته إلى بلاده، بالإضافة إلى ما لعبه هذا الكتاب من دور في نشر تعاليم الطريقة التجانية بالسودان الغربي. هذه المجموعة من المصادر و الوثائق كما تعرفنا عليها بشكل إجمالي، فرضت علينا تقسيم البحث إلى قسمين كبيرين، قسم خاص بالمغرب و آخر بالسودان الغربي.

يضم القسم الخاص بالمغرب ثلاثة أبواب، باب أول أفردناه لـ: «قيام الزاوية التجانية بفاس» و اشتمل على فصلين، تطرق الأول لتقديم لمحة عن حياة سيدي أحمد التجاني الدراسية و العلمية إلى أن أصبح شيخ تصوف، و تعرض الثاني بشيء من التفصيل لنشأة الزاوية التجانية بفاس، بينما حمل الباب الثاني عنوان: «انتشار تعاليم الطريقة التجانية بفاس و نواحيها». و يواصل الفصل الثاني تتبع هذا الانتشار حتى درعة و سمارة، ليهتم الفصل الثالث من نفس الباب بمتابعة المد التجاني إلى حدود نهر السنغال مرورا بالصحراء المغربية.

أما الباب الثالث و الأخير من هذا القسم فقد اخترنا له عنوان: «الإنتاج الفكري لأهم رجالات الطريقة التجانية بالمغرب خلال القرن التاسع عشر و النصف الأول من القرن العشرين»، تناول الفصل الأول منه المؤلفات التي تضم أوراد الطريقة التجانية و علوم شيخها، و تطرق هذا الفصل للتعريف بمؤلفات الجيل الثاني و أغراضها ليهتم الفصل الثالث بمؤلفات الجيل الثالث خلال النصف الأول من القرن

العشرين.

اشتمل القسم الخاص بالسودان الغربي على ثلاثة أبواب بدوره، الباب الأول منه تحت عنوان: «قيام الزاوية التجانية بالسودان الغربي»، تعرض الفصل الأول ضمنه للظروف الممهدة لقيام الزاوية التجانية بالسودان الغربي، و تناول فصله الثاني موضوع قيام الزاوية التجانية ونجاح مؤسسها في تكوين إمبراطورية إسلامية بالمنطقة.

«الإنتاج الفكري التجاني بالسودان الغربي» هو موضوع الباب الثاني، و جاءت فصوله كالآتي:

الفصل الأول: إنتاج فكري، دعوي، وعظي، و مدحي.

الفصل الثاني: إنتاج فكري، دفاعي، تبريري، و تأريخي تثقيفي.

الفصل الثالث: بعض مظاهر الحضور المغربي في الإنتاج الفكري

التجاني بالسودان الغربي.

أما الباب الأخير من هذا القسم فيحمل عنوان: «المأزق و النكسة:

سقوط الإمبراطورية التجانية».

و من خلال هذا الباب تطرقنا في فصل أول لاستعراض أهم المراحل

و الأسباب التي أدت إلى سقوط الإمبراطورية التجانية. لكن من المسؤول

الحقيقي عن هذا السقوط؟ محاولة الجواب على هذا السؤال عالجنها في

فصل ثان و أخير تحت عنوان: من المسؤول عن الإنهيار و السقوط،

مغامرة التأويل أم حب السلطة و الرئاسة؟

فماذا عن منهج البحث المتبع في هذه الأطروحة؟

لا ندعي بكل موضوعية، أننا وظفنا منهجا بنيويا أو تركيبيا أو غيره يعكس فهمنا الفلسفي للتاريخ. فلا الإمكانيات العلمية تسمح لنا بذلك بسبب عدم فهمنا و هضمنا للكثير من العلوم المساعدة للتاريخ، و لا المستوى المعرفي لتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء الذي لازلنا نتلمس الطريق إليه، فتاريخ إفريقيا حديث الوجود و الدراسات الجيدة حوله نادرة على حد تعبير هنري مونيو H. Moniot¹، و هي بذلك لا تسمح بتكوين معرفة شاملة عن الماضي الإفريقي. و تتساءل مادينا لي طال Madina Ly Tall بدورها عما إذا كان الحدث استنزف تماما في تاريخ إفريقيا، فتجيب بالنفي مؤكدة أن تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء كان و لازال طفلا، لدرجة أن كل محاولة تهدف إلى حرمان هذا الطفل من الألعاب التي شكلت فرح كل الطفولات، ستجعل منه في الوقت نفسه راشدا غير سوي². و هذا يعني أننا كمؤرخين لازلنا في أمس الحاجة إلى التاريخ الحداثي الخاص بعمقنا الإفريقي، لأنه بدون معرفة الحدث يستحيل التركيب، و إذا تم اعتساف هذا التركيب فإن الإستنتاجات ستكون مشوهة، و هذا ما عملنا على تجنبه،

- Moniot (H.): pour une Histoire de l' Afrique Noire, Annales – 1

E.S.C 17e Année. n° 1 Janvier - Février 1962. p. 46.

- Ly Tall (M.) Un Islam Militant en Afrique de l'Ouest. Op. Cité.– 2

pp. 7 et 9.

مفضلين استنطاق ما وصل إلينا من مصادر و وثائق تؤرخ للفترة التي حددت للبحث ، باعتبار أن التاريخ هو معرفة الجزئيات في خط التطور.

إن التاريخ الحدثي فرض نفسه في هذا الموضوع ، لأن الأمر يتعلق بالتأريخ لتطور انتشار تعاليم طريقة صوفية وصل إشعاعها إلى أدغال إفريقيا ، فكان لابد لنا إذن أن نقول متى تم هذا وكيف؟ وما هي النتائج التي ترتبت عن ذلك؟ بمعنى أن الحدث شكل وسيلة لا غاية ، لكن هذه الوسيلة لابد منها. وهذا ما بذلنا من أجله أقصى جهدنا ، فإن حالفنا بعض التوفيق في هذا العمل فذلك من فضل الله ، و ما دام القصور من شيم البشر فإن البحث لن يخلو من بعض جوانبه لأن الكمال لله وحده.

الباب الأول

**نشأة الزاوية التجانية
بفاس**

الفصل الأول

التعريف بمؤسس الزاوية التجانية

قد يبدو للقارئ لأول وهلة أن تخصيص فصل بأكمله للتعريف بشخصية من الشخصيات اللامعة في أحد مجالات العلوم الإنسانية أو غيرها يعد شيئاً مبالغاً فيه، إلا أنه من الأمور المسلم بها، أن مواهب الإنسان و مداركه و استعداداته الذهنية تتفاوت و تختلف من شخص لآخر، و بنسب متفاوتة جداً أحياناً. و يترتب عن هذا الواقع أن الموهوبين و العباقرة من صفوة الرجال يشكلون قلة متميزة في مجتمعاتهم، بفعل المنجزات الفكرية و الإبداعية التي يقومون بها و يسجلها لهم التاريخ بمداد من ذهب إجلالا للخدمات الجليلة و الفوائد الجمة التي قدموها لأجيالهم و ورثها عنهم أسلافهم و التي شكلت لبنات أساسية في صرح البناء الحضاري الإنساني.

غير أنه علاوة على العلوم الكونية الدنيوية توجد علوم لدنية يهبها الله لمن يشاء من عباده الصالحين بعد إزاحة الحجب عنهم، فيصIRON بعد ذلك من عباد الرحمان الذين يتكلمون بنور الله و الذين يصدق فيهم قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ¹﴾ أي يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالوسائط من العلوم الإلهية، حسب بعض التفاسير². وفي نفس الموضوع يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ³﴾. وقوله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ⁴﴾ وقوله أيضا: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَأَنَ اللَّهُ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ⁵﴾.

وقد ورد في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدل بشكل لا غموض فيه أن الله يجازي أصفياه أحسن الجزاء لحسن ظنهم بالله، وتقانيهم في عمل كل ما يرضيه. يقول صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى قال: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إلي

1 - سورة البقرة ، الآية: 282.

2 - علي حرازم برادة، جواهر المعاني و بلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني، و بهامشه كتاب رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم لعمر بن سعيد الفتوي الكدوي، دار الجيل، بيروت 1988، ج. I، ص: 12.

3 - سورة الأعراف، الآية: 96.

4 - سورة الطلاق، الآية: 2-3.

5 - سورة العنكبوت، الآية: 69.

بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه»¹، رواه البخاري.

و لا نبالغ إذا قلنا إن الشخصية التي نريد أن نعرف بها، تنتمي إلى هذه الصفوة ممن أحبهم الله فأطلعهم على علوم الظاهر و الباطن بغير حساب، و هو ما يجعل مهمة الباحث صعبة، إذا ما أراد الإحاطة بكل جوانب حياتهم الفكرية و المعرفية و الروحية، لذلك فإن الفصل الذي نخصه لهذا الغرض يهدف فقط إلى تقريب هذا العارف بالله من القارئ باعتباره مؤسساً للزاوية التجانية بفاس.

I - النشأة و الدراسة في بيئة مفعمة بالورع و الصلاح.

ولد سيدي أحمد بن محمد التجاني عام 1150 / 1737 بعين ماضي مقر أسلافه المتأخرين باعتبار أن جده الرابع سيدي محمد بن سالم انتقل

1 - يحيى بن شرف الدين النووي، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، دون مكان و لا تاريخ، ص: 77.

2 - هذا التاريخ الذي أورده كل من علي حرازم برادة، في الجزء الأول ص: 22 من جواهر المعاني، و محمد بن المشري في الجزء الأول ص: 8 من الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحر القطب المكتوم، بصفتهم خليلي الشيوخ التجاني، و الناطقين باسمه و الراوين عنه، هو الذي تبنته مصادر تجانية أخرى لاحقة أهمها:

- أحمد أديب المكي، رسالة بلوغ الأمان في مناقب الشيخ سيدي أحمد التجاني، مطبعة =

من قبيلة عبدة، أحواز مدينة آسفي مع أسرته بالمغرب الأقصى إلى بني «توجين»¹ أو «تجانة»² وتزوج منهم، و صار أولاده وأحفاده يعرفون بالتجانيين. وبذلك يتضح أن الشيخ سيدي أحمد التجاني، انتسب لأخواله في هذا اللقب، ولا علاقة له بنسبه العرقي الحقيقي، كما تذهب إلى ذلك مختلف المؤلفات التجانية التي ترفع نسبه إلى محمد النفس الزكية ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب³. ويعد صاحب تحفة الزائر، من بين الذين أكدوا على النسب الشريف، والأصل المغربي لهذا العلامة⁴، مع ملاحظة أن هناك من يشك في صحة نسب

= الحاج أحمد الأزرق، فاس عام 1315هـ.

- محمد العربي بن السائح الشرقي العمري، بغية المستفيد لشرح منية المريد، دار الفكر 1973، ص: 140.

- أحمد سكيرج، كشف الحجاب عمّن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، المكتبة الشعبية، بيروت 1988، ص: 10.

1 - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، شرح وتعليق الدكتور ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر 1964 ص: 125 و 303.

2 - إدريس العراقي، اليواقيت العرفانية في التعريف بالشيخ أحمد التجاني وبطريقته وزاويته الأم التجانية، مرقون ضمن أعمال ندوة الطريقة التجانية التي انعقدت بفاس من 23 إلى 29 دجنبر 1985 ص: 25.

3 - يمكن الرجوع في هذا الصدد إلى كل المصادر الواردة في الهامش رقم 2 من الصفحة السابقة.

4 - محمد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ص: 303.

سيدي أحمد التجاني، الشريف.

و حجة المتشككين في هذا النسب، أن أجداد هذا الشيخ لم يدعوا قط أنهم شرفاء منذ قدومهم إلى عين ماضي، وإلا ما قبلوا حمل لقب قبيلة تجانة التي تصاهروا معها¹. وبخصوص هذا الموضوع، يرى محرر جواهر المعاني علي حرازم برادة، أن شيخه سيدي أحمد التجاني، لم يعر مسألة صحة هذا النسب أو عدم صحته أي اهتمام، إلى أن أكد له نسبه الشريف الرسول صلى الله عليه وسلم، عندما قال له يقظة «أنت ولدي حقا»² و «نسبك إلى الحسن بن علي صحيح»³.

و بذلك لا مجال للشك أو الطعن في هذا النسب لدى التجانيين، باعتبار قدسية المصدر و استثنائيته، بل كثير من القضايا الشائكة، كما سنرى، في إطار التصوف التجاني، يحسم فيها أصحابها عن طريق توظيف مفهوم الكرامات و الخوارق لكن في غالب الأحيان من غير تناقض مع روح الكتاب و السنة.

إن البيئة التي ترعرع فيها سيدي أحمد التجاني، بعين

1- A bu n-Nasr (J.). the Tijaniyya: A Sufi order in the modern world. Oxford University press. London, New york, Toronto. 1965. p.16.

2 - علي احرازم برادة. مصدر سابق، ج I، ص 26.

3 - نفسه.

ماضي¹ وتأثر بقيمتها ونهل من معين علمائها ورجالاتها، تعد بيئة مفعمة بالعلم والورع باعتبارها مركز المعرفة والولاية والصلاح منذ تأسيسها في حقبة تاريخية غير معروفة بشكل مضبوط².

1 - تقع هذه البلدة في قدم جبال أمور على بعد 70 كلم، غرب الأغواط بالمغرب الأوسط.

أنظر:

- Gouilly (A.), *l'Islam dans l'Afrique Occidentale Française*, Paris 1952, p. 110.

- Rinn (L.), *Marabout et Khouan, étude sur l'Islam en Algérie*, Alger 1884, p. 416.

2 - يرى أبو نصر جميل أن عين ماضي التي ولد فيها أحمد التيجاني بنيت في القرن الخامس

الهجري/ 11م، وأن الذي شرع في بنائها قرب إحدى العيون يسمى ماضي بن يعقوب، وهي العين التي حملت إسمه ثم القرية أيضا بعد ذلك التي حملت نفس الإسم، أنظر:

- AbuN - Nasr (J.) Op. Cit. P. 16.

واسم ماضي هذا ورد في تحفة الزائر (ص: 304) الذي أحال عليه جميل أبو نصر عندما

أورد هذا الخبر، لكن بشكل مشوه باعتبار أن الإسم الصحيح هو ماضي بن يقرب وليس بن

يعقوب، وقد أورد صاحب التحفة هذا الخبر عندما كان بصدد التأريخ لحصن عين ماضي: «و هذا

الحصن اختطه ماضي بن يقرب، من قبائل العرب، في المائة الخامسة، لأول

استيلاء العرب على المغرب الأوسط أيام العبيديين»، مع ملاحظة أنه لم يحل في

هذه الإفادة على أي مصدر. أما ماريّا عواد فقد أفادت في دراسة لها أن مؤسس قرية عين ماضي

شخص يدعى المهدي في الأصل، ومع كثرة تداول هذا الإسم بمرور الزمن تحول إلى ماضي، دون

أن تكون مقنعة في هذه الإفادة:

- Awad (M.). *Un fondateur de confrérie religieuse Maghrebine: Sidi Ahmed Al- Tijani (1737 - 1815)*, *Revue Maroc Europe*, n° 2, 1992, p. 258, n. 7.

و حتى عندما أحالت على دارس آخر، هو مارسيل سيميان لم تات بجديد، أنظر:

- Semian (M.). *les Confreries Islamiques en Algérie: Rahmánya - Tijanya*, these pour le doctorat (sciences politiques et économiques). soutenue le 8 juin 1910 à la faculté de droit. Université de Paris. = =

و هكذا فحيثما كان يتحرك سيدي أحمد التجاني الطفل ثم الشاب داخل هذه البلدة كان يجد نفسه بين أهل العلم و المعرفة و في رعاية الفقهاء و الصلحاء. إن كان في بيئته و أحضان أسرته وجد نفسه جنبا إلى جنب مع متبعي السنة النبوية من المتيمين بالعشق الإلهي و النور المحمدي، و إن خرج إلى المسجد و الزاوية صار في رحاب أساتذة و علماء مجتهدين لتلقين تلامذتهم ما يفيد و يقرب إلى الله من العلوم الإسلامية.

و لإبراز أهمية عين ماضي في المجال العلمي، نورد شهادة في الموضوع للرحالة المغربي الشهير، العلامة الراوية، خلال القرن 17 (ت 1680) أبو سالم العياشي، في ما كتب به إلى بعض إخوانه من علماء سجلماسة حينما كان على أهبة الإستعداد لحج بيت الله الحرام و زيارة قبر الرسول صلى الله عليه و سلم يوصيه بما يحتاج إليه في وجهته و ينبهه على ما يجب التنبيه عليه في رحلته، فذكر له المراحل و البلاد حتى انتهى إلى عين ماضي بلدة سيدي أحمد التجاني، فنوه بقدر من اشتملت عليه من الإعلام، ثم قال له: « فإذا حللتها فشحذ ذهنك لمذاكرة أهلها

pp.69.70. = =

كان يجدر بالباحثة ماريا عواد أن تحيل على كوبولاني و أوكطاف اللذين أشارا بالفعل مسألة

تحريف الاسم من مهدي إلى ماضي، دون ذكر مصادرهما:

- Coppolani (Xavier) et Octave Dépont. les confréries religieuses musulmanes. Alger. 1897. pp. 413 et s.

في كليات الفنون و جزئياتها، و استعداد للجواب عما يلقيه عليك من مسائل منقولياتها و معقولياتها¹.

و من بين الدارسين الذين وقفوا على أهمية عين ماضي العلمية و كثرة رباطاتها، و عاينوا و زاروا هذه البلدة في العهد الإستعماري، نذكر كوبولاني Coppolani و أوكتاف Octave²، ثم لويس رين L. Rinn³. و ربطوا سبب انتشار العلم بهذه البقاع و كثرة الوافدين عليها للتربية الروحية و التحصيل المعرفي، بما قام به في الأصل بعض الدعاة المسلمين من الأشراف الذين أتوا من المغرب خلال القرن 17 لتأسيس مجموعة من الزوايا المنتشرة هنا و هناك، امتد شعاعها إلى باقي شمال إفريقيا، و في ما وراء الصحراء. و قد بلغت أهمية عين ماضي العلمية و الروحية، طبقا لهذه المصادر أوجها مع سطوع نجم سيدي احمد التجاني. و هي الحقيقة نفسها التي تستنتج من خلال بحث أعده طالب جزائري خلال سنة 1977⁴، ورد فيه أن الواحات الممتدة في الصحراء

1 - نقلا عن محمد العربي بن السايح، بغية المستفيد لشرح منية المريد، دار الفكر 1973، ص: 138.

2 - Coppolani (X.) et Octave (D.). op. cité. pp. 413 et ss.

3 - Rinn (L.). op. cité. pp. 416 - 417.

4 - فرح محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين، دراسة لأوضاع الإقليم السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية و الثقافية، مع تحقيق كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط لمحمد بن بابا حيدة، أطروحة الدور الثالث في التاريخ جامعة الجزائر==

الشرقية من توات حتى توكورت، مروراً بعين ماضي، وإلى عهد سيدي أحمد التجاني كانت تضم عدداً هائلاً من الزوايا والمساجد والأضرحة، تضطلع بمهمة تحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية تحت إشراف أساتذة مغاربة.

وإذا كانت بلدة عين ماضي على هذه الأهمية من العلم، فإن جل أفراد أسرة شيخنا الذين يشكلون إحدى مكونات هذه البلدة العلمية، كانوا على مستوى رفيع من علمي الظاهر والباطن. فأبوه محمد ابن المختار كان شيخ زاوية¹، ويذكر عنه علي حرازم برادة أنه: «الشيخ الإمام، كهف الإسلام، وملاذ الأنام، العالم الشهير الورع الكبير الدال على الله والجامع عليه ... محجة العلماء العاملين، ومحجة السالكين المسترشدين ... وكانت تأتية الروحانية، يطلبون منه قضاء حوائجهم، كان يمتنع ويقول: اتركوني بيني وبين الله، لا حاجة لي بالتعلق سوى الله ... و كان له بيت في داره لا يدخله أحد إلا لذكر الله²».

= = معهد العلوم الاجتماعية - دائرة التاريخ، الجزائر 1977، ص: 88 وما بعدها.

1 - Coppolina (X.) et Octave (D.) op. cité. p. 416.

- Semian (M.), op. cité, p.69.

2 - علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، ص: 24.

كما أن أمه عائشة بنت الولي الجليل سيدي محمد السنوسي التجاني الماضي، كانت سيدة فاضلة ذات أخلاق كريمة، لها من الصلاح مكانة عليّة ومرتبة سنية¹. وفي هذه البيئة أيضا نشأ أخوه محمد المكنى بابن عمر جافزا للقرآن الكريم مشاركا في علوم الشريعة متقنا لعلوم الفرائض والحساب².

عندما يتعمق الباحث في دراسة عمود نسب سيدي أحمد التجاني وتراجم أسلافه، يتأكد من علو كعب أسرته في العلم والمعرفة. فأجداده كانوا في معظمهم من خيرة العلماء والصلحاء على غرار ما نقرأه عن جديه الثالث والرابع. فالأول من هذين الجدين هو «أحمد بن محمد العلامة، عالم العلماء وأمير الأمراء، صاحب الحال القوي والنور السني»³. أما الثاني فهو «محمد بن سالم الشيخ الولي المكين العلي ذو النور اللائح والجنب الواضح... و كان إذا خرج من داره للمسجد يتبرقع ولا يرى أحد وجهه إلا إذا دخل المسجد ثم إذا رجع إلى داره عاد إلى ستر وجهه حتى يدخل لخلوته»⁴ وقد سئل سيدي أحمد التجاني عن سبب ستر هذا الجد لوجهه، فأجاب بما يفيد أنه بلغ مرتبة الولاية، و من بلغها يصير كل من

1 - نفس المصدر السابق.

2 - نفسه، ص: 26.

3 - علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، ص: 25.

4 - نفسه.

رأى وجهه لا يقدر على مفارقتة طرفة عين وإن فارقه و انحب عنه مات
لحينه، هذا السيد، يفيد ابن المشري هو الذي وفد أولاً لعين ماضي،
و اتخذها موطناً له و تزوج من أهاليها¹.

في ظل هذه الرعاية النموذجية و في أحضان هذه الأسرة المحبة
للعلم و الصلاح نشأ أحمد التجاني كريم الأخلاق مقبلاً على الجد
و الاجتهاد متمسكاً بالدين و سنة المهتدين معظماً عند الخاصة و العامة.
و بسبب هذه الظروف المطبوعة بالعناية المتميزة، و في ظلها حفظ القرآن
على ظهر قلب، وهو ابن سبع سنوات من عمره برواية الإمام ورش تلميذ
الإمام نافع، و كان أستاذه في هذه المادة الفقهية العلامة المقرئ، سيدي
محمد بن حمو التجاني الماضوي الذي تتلمذ بدوره في حفظ القرآن
و قراءته على شيخه العارف بالله سيدي عيسى بوعكاز الماضوي
التجاني².

و بعد حفظ القرآن اشتغل سيدي أحمد التجاني بطلب العلوم
الأصولية و الفروعية و الأدبية حتى تعمق فيها و أدرك أسرار معانيها،
يستوي عنده في اهتمامه المنقول و المعقول. و على شيخه المذكور قرأ

1 - محمد بن المشري، الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحر القطب المكتوم،
مخطوط بخزانة الباحث، ج I، ص: 7.

2 - إدريس العراقي اليواقيت العرفانية، مصدر سابق، ص: 11.

مختصر الشيخ خليل و الرسالة و مقدمة ابن رشد و الأخضرى كما تتلمذ في نفس العلوم و خصوصا المختصر على شيخه سيدي المبروك بوعافية التجاني¹ و استمر في طلب العلم ببلاده حتى بلغ مرتبة أهله للتدريس و الإفتاء قبل أن يرحل رحلته الأولى إلى فاس. ثم ما لبث، و هو في عين ماضي، أن مال إلى الزهد و الإنعزال و التأمل و حُبب إليه التعب و قيام الليل حتى إذا بلغ سن الرشيد صار يدل على الله و ينصح عباده، و ينصر سنة رسوله و يحيي أمور الدين و قلوب المؤمنين، فصار يضرب به المثل في إحياء السنة و اتباع المحجة البيضاء، و حق له أن يسمى بمحيي الدين و مجدد ما اندرس و اضمحل من إيمان المسلمين².

و لعل هذه المؤهلات هي التي جعلت سكان بلدة عين ماضي يوافقون بالإجماع على خلافة والده في رئاسة الزاوية رغم صغر سنه الذي كان يبلغ آنذاك ستة عشر سنة و هي المهمة التي مارس خلالها لمدة خمس سنوات تدريس القرآن و السنة و علوم إسلامية أخرى³.

لم يكتف سيدي أحمد التجاني بالرصيد المعرفي الفقهي و الصوفي

1 - محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص: 145.

- محمد بن المشري ج I مصدر سابق ص: 9.

- Awad (M.) op. cité pp. 237.

2 - علي حرازم برادة ج I مصدر سابق، ص: 24.

3 - Sémián (M.) op. cité. p. 69.-

الذي حصل عليه في المغرب الأوسط بمسقط رأسه، على ما يبدو، فطموح الفتى الورع لا حدود له، و التعاليم الدينية تحت المسلم على طلب العلم من المهد إلى اللحد، و أرض الله واسعة، و بما أن صاحبنا كان شغوفاً بالقراءة و المطالعة فهو بدون شك كان يدرك تمام الإدراك أهمية المرحلة في استكمال المعرفة و توسيع آفاق الفكر و صقل الموهبة و تعلم الصبر على الشدائد، و هي صفات سهلة المنال بالنسبة لمن يعشق قيام الليل من الركع السجد من طراز هذا الرجل.

II - رحلاته من أجل استكمال المعرفة و طرق أبواب الولاية .

أول رحلة قام بها سيدي أحمد التجاني خارج عين ماضي كانت إلى فاس سنة 1171/1758¹ و لعل وقوع اختياره على هاته المدينة، لتكون أول بقعة يضع على أرضها رجليه لم يكن صدفة، بل كان صادرا عن اقتناع و بعد نظر خصوصا و أن أعمال العقلاء منزهة عن العبث. فالمدينة الإدريسية حركت مشاعره لعدة اعتبارات في مقدمتها أهميتها العلمية و قداستها و رمزيتها التاريخية، و قوة شحنتها الروحية و عداء أهلها

1 - علي حرازم برادة، م.س، ج I ، ص: 29.

- أحمد سكيرج - مصدر سابق، ص 20 و ما بعدها.

- محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص: 149

- Berque (J.) L'Interieur du Maghreb. XV°-XIX° siècle. Paris.1978.p. 240.

للأتراك الذين يكرههم بدوره، علاوة على أنها جزء من المغرب الأقصى بلده الأصلي باعتبار أن أجداده نزحوا إلى المغرب الأوسط من ناحية مراكش كما سبق. وهذا ما يفسر تعدد زيارته لمدينة فاس إلى أن استقر فيها بصفة نهائية. ورغم أن كل هذه الأسباب تبقى واردة إلا أن الدوافع العلمية والروحية تنصدرها كلها.

غادر سيدي أحمد التجاني إذن عين ماضي في اتجاه مدينة فاس وهو في بداية عقده الثالث، حسب تقدير البعض. وخلال المدة التي قضاه بها كان يحضر مجالس أهل العلم ليستمتع لبعض ما يدور فيها من شروح و تفاسير في علوم القرآن والحديث، ثم ارتحل إلى جبل العلم لأخذ القراءة بالتجويد، والقراءات السبع المتواترة على بعض المتقنين لذلك بتلك البلدة¹، طبقا لما أفاد به كل من علي حرازم برادة و محمد العربي بن السايح. وفي هذا الصدد تفيد إحدى الباحثات المغربية أن سيدي أحمد التجاني كان يدخل في مساجلات فقهية و لاهوتية مع كبار علماء مدينة فاس، وأنه حصل منهم على إجازات خولت له إمكانية تدريس مختلف مواد العلوم الإسلامية، لكن دون أن تحيل على المصدر الذي استقت منه معلوماتها². إن الباحث من خلال رصده لتحركات سيدي أحمد التجاني في

1 - محمد ابن المشري، مصدر سابق، ج I، ص: 13.

- محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص: 149.

- Awad (M.) op. cité. p. 238.- 2

رحلته الأولى هذه يلاحظ أن اهتمامه كان منصبا على الجانب الروحي أكثر من أي شيء آخر يشهد على ذلك نوعية الأشخاص الذين التقى بهم و شد الرحال إليهم إما داخل المدينة أو خارجها، و نكتفي بتقديم أهمهم:

1 - التقى في مدينة وزان بالعارف بالله مولاي الطيب بن سيدي محمد بن مولاي عبد الله بن إبراهيم اليملحي، العلمي الورزازي (ت 1180) و كان هذا الشيخ هو القائم آنذاك بأمر الطريقة بالزاوية الوزانية خلفا لآخيه الشيخ مولاي التهامي الوزاني¹، فأذن له مولاي الطيب في تلقين ورده لكنه امتنع، و هذا يخالف ما أورده إدريس العراقي من أن سيدي أحمد التجاني تمسك بالطريقة و واصل تعبدته بتعاليمها².

2 - و في جبل الزبيب ببني وانجل تعرف على العارف بالله سيدي محمد بن الحسن الونجلي (ت 1185) أخبره عن طريق المكاشفة أنه سيدرك مقام القطب الكبير أبي الحسن الشاذلي و أشار إليه بالرجوع إلى بلده و اكتفى سيدي أحمد التجاني بالتبرك به دون الأخذ عنه³.

1 - علي حرازم برادة - مصدر سابق، ج I، ص: 37.

- محمد بن المشري، مصدر سابق ج I ص: 14.

2 - إدريس العراقي، مصدر سابق، ص: 14.

3 - محمد بن المشري، مصدر سابق، ج I، ص: 14.

- علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، ص: 37.

- محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص: 158.

3 - بمدينة فاس لقي الولي الصالح سيدي عبد الله بن سيدي العربي المعني الأندلسي، (ت 1188) من أولاد معن و تكلم معه في عدة أمور و دعا له بأن يأخذ الله بيده¹.

4 - أخذ عن الولي الصالح الملامتي سيدي أحمد الطواش (ت 1204) نزيل تازة فلقنه إسما و طلب منه لزوم الخلوة و الوحدة و الذكر و الصبر حتى يفتح الله عليه و أخبره بأنه سينال مقاما عظيما، فداوم أحمد التجاني على العمل بهذه الأذكار مدة يسيرة ثم تركها².

5 - أخذ الطريقة القادرية بفاس، غير أن المصدر الذي أورد هذا الخبر لم يذكر شيخه في هذه الطريقة، و اكتفى بالقول إن هذا الأخذ كان على يد من كان له الإذن في ذلك، إلا أن سيدي أحمد التجاني طبقا لنفس المصدر ما لبث أن تخلى عنها³.

6 - تعرف على تعاليم الطريقة الناصرية عند التقائه بالولي الصالح

1 - علي حرازم برادة، مصدر سابق ج I، ص: 37.

2 - نفسه، ص: 38.

- محمد بن المشري، مصدر سابق، ج I، ص: 14.

- محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص: 158.

3 - محمد بن المشري، مصدر سابق، ج I، ص: 14.

- علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، ص: 38.

- محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص: 159.

سيدي احمد بن عبد الله التزاني، ثم تركها بعد حين¹.

7 - أخذ الطريقة الصديقية المنسوبة للقطب الشهير سيدي أحمد الحبيب بن محمد الغماري السجلماسي الصديقي (المتوفى عام 1165) على يد من له الإذن فيها².

هذه باختصار شديد هي حصيلة اللقاءات و الإتصالات التي أجراها سيدي أحمد التجاني خلال رحلته المذكورة إلى فاس و نواحيها في المجالين العلمي و الروحي من أجل مواصلة بناء شخصيته و العثور على ضالته قبل العودة إلى الصحراء.

و قبل الانتقال إلى مواصلة الحديث عن ما تبقى من هذه الرحلة الطويلة نود التوقف لإبراز بعض الملاحظات، حول ما تقدم و ما سيأتي من معلومات ترتبط بحياة الشيخ الذي نحن بصدد التعريف به، وهي كالآتي:

لا تسمح لنا المصادر المتوفرة، و هي بأقلام التجانيين في غالبيتها العظمى بمعرفة المدة التي قضاها بفاس في رحلته الاولى إليها، قبل العودة إلى الأقاليم التابعة لمسقط رأسه.

1 - محمد بن المشري، مصدر سابق، ج I، ص: 14.

- علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، ص: 38.

2 - نفسه، ص: 38.

- محمد بن المشري، مصدر سابق، ج I، ص: 14-15.

- إدريس العراقي، مصدر سابق، ص: 15.

يترتب عما سبق أنه في غياب مصادر و وثائق بديلة تبقى كثير من الأسئلة دون إجابة أهمها الغياب التام لأية معلومات حول دراسة سيدي أحمد التجاني بجامعة القرويين أو تدريسه بها، و مناهج هذه الدراسة وطبيعة المواد التي يدرسها أو يدرسها، و أهم الأساتذة الذين أخذ عنهم، ولا شيء أيضا عن أماكن إقامته و سكنه.

يبدو من خلال قراءة المؤلفات التجانية أن أصحابها وجهوا عناية خاصة لشيخهم في رحلته الثانية و الثالثة إلى فاس، أي عندما أصبح هذا الرجل متكامل الشخصية ملما بعلمي الظاهر و الباطن، حاصلا على قدر كبير من الولاية، قادرا على كسب عطف و احترام الجميع، و حتى في هذه الحالة فإن أغلب ما كتب عنه تم بأمر منه بناء على ما أبلغه به الرسول صلى الله عليه و سلم من أذكار و أوراد كما يقولون، مما جعل التعرف على فترة يفاعته و شبابه بشكل مفصل شيئا يتعذر الحصول عليه.

انطلاقا من هذا المستوى من التوثيق لا يمكن أن تتوفر المعلومات عن شيخنا إلا بالشكل الذي تكلم عنه أصحابه، و ذلك بتغليب الجانب الروحي والصوفي على أي جانب آخر باعتبار أن الأخبار عن اتصالاته بأهل الصلاح و الولاية تشكل ما يزيد عن تسعين في المائة من مجملها مقارنة مع ما ورد في نفس المصادر من أخبار تتعلق بحضوره في جامعة القرويين و لقاءاته مع علمائها. و قد يكون وراء هذا الشح عوامل متعددة، أبرزها مكانة الرجل الإجتماعية المتواضعة في كل شيء باستثناء العلم

والعشق الالهي. فهو لم يكن من أصحاب المال الميسورين، و لا من القواد العسكريين البارزين و لا من جهاذة السياسة المحنكين، لذلك كان أقرب الناس إليه من المريدين و الأصحاب هم الذين عرفوا قيمته الحقيقية واتبعوا دقائق مراحل حياته العلمية و الوجدانية في الحل و الترحال، فعكسوها في مؤلفاتهم بالشكل الذي مكنهم من إبراز مسار شيخهم الصوفي أكثر من أي شيء آخر.

و إذا عدنا إلى تتبع محطات رحلات سيدي أحمد التجاني خارج عين ماضي، بعد زيارته لفاس و نواحيها، و بعد أن أتى البيوت من أبوابها، نلاحظ أنه، امثالاً لأمر الشيخ سيدي محمد بن الحسن الوانجلي الذي أشار عليه بالرجوع إلى بلده، و أن فتحه لا يكون إلا هنالك¹، شد الرحال إلى الصحراء قاصدا بلد الأبيض حيث زاوية الشيخ الكبير سيدي عبد القادر ابن محمد المعروف بسيدي الشيخ القطب الصديقي الشهير، فاختارها منزلاً و قراراً و انقطع فيها للعبادة و التدريس و الإفادة لمدة خمس سنوات زار خلالها بلدة عين ماضي²، مسقط رأسه و دار آبائه وأجداده، و هو بقضائه هذه المدة الطويلة بالصحراء القريبة من بلدته كان يدرك تمام الإدراك أنه يسير في الطريق الصحيح، طريق السلوك و الترقى في

1 - محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص: 161.

2 - Awad (M.) op. cité. p. 239. -

المقامات و المعارج الموصلة إلى الحضرة الربانية لأن إشارة العارفين مثل الشيخ الوانجلي يجب أن تؤخذ مأخذ الجد خصوصا من قبل رجل آمن برجحان المنقول على المعقول، و بمحدودية القوى العقلية إزاء العلوم الوهبية و الأسرار الالهية التي يمنحها الله لمن يشاء من أوليائه و من عباده الذين أزال الغشاوة عن أعينهم بفضل زهدهم و مجاهدتهم وكثرة أنكارهم.

بعد زيارة أولياء الله الأحياء منهم و الأموات بفاس و نواحيها، و بعد اعتكافه بزاوية الشيخ لمدة خمس سنوات رحل إلى تلمسان عام 1186 / 1772¹. علاوة على ميوله الصوفي منذ طفولته، يكون سيدي أحمد التجاني، و هو في هذه المرحلة في الأربعينيات من عمره، قد أصبح قاب قوسين أو أدنى من قطف ثمار مجاهدته و مثابرتة الرامية إلى تسنم أعلى مقامات التصوف و الإطلاع على كنه أسرارهِ، و لحرق ما تبقى من المراحل، و ردم الهوة الفاصلة بينه و بين هدفه الأسمى، كان عليه تحمل المشاق و مكابدة الصعاب، و تحمل ألم الغربة، و فراق الأحباب مرة أخرى للإستزادة من معرفة مشايخ الطرق و أهل الولاية و الصلاح، في مغرب البلاد الإسلامية و مشرقها، مرورا ببلدان المغرب العربي و مصر إلى

1 - علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، 30.

- محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص: 161.

الديار المقدسة لزيارة الكعبة الشريفة وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم، إيماناً منه بأن زيارة الصالحاء والأولياء وقبر الرسول تحيي القلوب وتملأها بحب الله ورسوله، وتغفر الذنوب، من جهة ومن جهة أخرى كان سيدي أحمد التجاني يشعر في قرارة نفسه أن غرضه سوف لن يقضى إلا بتنفيذ هذا البرنامج الحافل والشاق في آن واحد، لكن أهمية الجزاء المرتقب كانت تهون عليه كل الصعاب.

1 - الرحلة إلى بلاد الحجاز مروراً بالمغرب العربي

ومصر:

من زاوية الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد الابيض بالصحراء انتقل سيدي أحمد التجاني إلى تلمسان (مدينة الجدار) ثم غادرها عام 1186، قاصداً زيارة بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه السلام، فلما وصل إلى بلاد زواوة وهو في طريقه من الجزائر إلى تونس أقر العزم على زيارة شيخ هذه البلدة سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري، ذي الصيت الواسع والزوايا الكبيرة والأتباع الكثيرين، فتمكن من لقائه وأخذ عنه الطريقة الخلوتية¹.

1 - محمد بن المشري، مصدر سابق، ج I، ص: 15.

- علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، ص: 38.

و لما وصل إلى تونس، في نفس السنة تعرف على بعض الأولياء، منهم سيدي عبد الصمد الرحوي أحد مريدي قطب البلد الذي لا يسمح بأن يراه أحد، فطلب سيدي أحمد التجاني من سيدي عبد الصمد هذا أن يتوسط له في رؤية ذلك القطب فلم يفلح في تحقيق مراده، إلا أن القطب التونسي، أبلغ سيدي أحمد التجاني، عن طريق رسول خاص، أنه محبوب¹. و يضيف المصدر نفسه أن الشيخ المغربي مكث سنة بتونس، بعضها بمدينة سوسة، و بعضها بتونس العاصمة التي أفتى بها و أجاب على كثير من الأسئلة، و درس عدة علوم و كتب، في مقدمتها كتاب الحكم. فذاع صيته و بلغ خبره إلى أمير البلاد الذي طلب منه الإقامة بالديار التونسية للتدريس و الإفادة من علومه فأعطاه دارا و خصص له أجرة مهمة للعمل. غير أن سيدي أحمد التجاني الذي كان كل وجدانه مشدودا إلى ما هو أظهر و أسمى، رفض العرض و غادر البلاد².

و بمجرد وصوله إلى مصر القاهرة بحرا شرع يبحث عن شيخها الأكبر في ذلك الوقت سيدي محمد الكردي المصري دارا و قرارا العراقي أصلا و منشأ و لما التقى به جرت بينهما مذكرات، فسأل الشيخ الكردي سيدي أحمد التجاني بعد أيام عن مطلبه، فأجابه بأن مطلبه هو الحصول

1 - محمد بن المشري، مصدر سابق، ج I، ص: 15.

- علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، 38 - 39.

2 - علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، 39.

على القطبانية العظمى فقال له لك أكثر منها¹.

و من مصر توجه بحرا إلى بيت الله الحرام، و كان وصوله إلى مكة في شهر شوال عام 1187/ 1773، فسمع بها بالشيخ أبي العباس سيدي أحمد الهندي الذي لم يكن له أيضا إذن بملاقة أحد، و رغم ذلك أخذ عنه سيدي أحمد التجاني علوما و أسراراً من غير ملاقة له، و تحقق ذلك بواسطة خادمه، فأخبره بما يؤول إليه أمره و بشره بأنه سيرث أسرارهِ ومواهبهِ و أنوارهِ، فاجتاز خادم الشيخ الهندي، لما فاه به سيده لصالح السالك المغربي، و استاء للإرث النفيس الذي آل له من شيخ مكة الأكبر في فترة وجيزة من الزمن، و أصيب تبعا لذلك بخيبة أمل كبيرة و هو يرى الثمانية عشر سنة التي قضاها في خدمة هذا القطب تذهب أدراج الرياح، فكان جواب شيخه²، أن ليس لأحد في هذا الأمر اختيار، «ولو كان الاختيار لي لنفعت بذلك ولدي قبلك» و قبل موته سنة 1187/ 1772، أعطاه سرا كبيرا و أمره أن يذكره سبعة أيام و يعتزل الناس ليفتح الله عليه، لكن سيدي أحمد التجاني لم يعمل بذلك، و قبل

1 - نفسه ص: 39.

- محمد بن المشري، مصدر سابق، ج I، ص: 15.

- إدريس العراقي، مصدر سابق، ص: 16.

2 - علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، ص: 40.

- محمد بن المشري، مصدر سابق، ج I، ص: 15.

- إدريس العراقي، مصدر سابق، ص: 16.

مغادرة مكة أخبره شيخها بأنه سيلتقي بالقطب السمان بالمدينة المنورة وبشره أيضا بأنه سيبلغ مقام أبي الحسن الشاذلي¹، كما سبق أن أخبره بذلك سيدي محمد بن الحسن الوانجلي المتقدم ذكره.

لما أكمل شعائر زيارة مكة و كمل حجه ارتحل للمدينة المنورة لزيارة قبر الرسول، وبعد أن حقق هذه الرغبة، بذل عدة مساع لملاقاة قطب المدينة المنورة سيدي محمد بن عبد الكريم السمان إلى أن التقى به. وخلال هذا اللقاء طلب من سيدي أحمد التجاني أن يدخل الخلوة عنده لمدة ثلاثة أيام، فاعتذر عن عدم تلبية هذا الطلب، لسبب لا يعلمه إلا هو، ورغم ذلك أذن الشيخ السمان لضييفه في جميع الأسماء وأخبره بأنه هو القطب الجامع، وبشره بنيل المرام والحصول على الإذن المطلق العام².

2 - العودة من المشرق إلى المغرب و الرحلة الثانية

إلى فاس:

عاد إلى القاهرة مع ركب الحجيج وبمجرد وصوله ذهب لزيارة شيخه الكردي و السلام عليه، تأدبا، فرحب به و طلب منه أن يعود لزيارته كل

1 - علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، 40 - 41.

- محمد بن المشري، مصدر سابق، ج I، ص: 16.

2 - علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، ص: 41.

- محمد بن المشري، مصدر سابق، ج I، ص: 16.

يوم، فامتثل لرغبة سيده، و تطور هذا اللقاء اليومي بينهما إلى جلسات علمية و مناظرات، كان الكثير من الحاضرين يطرحون خلالها ما أشكل عليهم من المسائل و القضايا فكان يجيب عليها بكل كفاءة و اقتدار مما تسبب في ذبوع صيته بمصر و وفود الكثير من العلماء عليه للإستفادة من علومه الغزيرة. و الشيخ محمد الكردي هذا هو الذي أذن له في طريق الخلوتية و التربية الروحية فكتب له الإجازة و سند الطريق و قد أورد صاحب جواهر المعاني هذا السند بكامله¹.

و من مصر عاد إلى تونس التي لم يمكث بها طويلا على ما يبدو. و منها انتقل عام 1774/ 1188 إلى تلمسان التي قضى بها حوالي ثلاث سنوات في العبادة و المجاهدة قبل العودة ثانية إلى فاس، و في السنة الموالية التقى بكتابه و خازن أسرار سيدي محمد بن المشري الحسني السباعي السائحي التكرتي الدار²، و منذ التقائه به « صار يؤم به الصلاة و بأهله ... و يقوم مقامه في كتابة الأجوبة حتى سنة 1794 / 1208 و هي السنة التي بدأ فيها سيدي أحمد التجاني يقوم بالإمامة بنفسه امتثالا لأمر جده عليه السلام³...».

1 - علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، 41.

- إدريس العراقي، مصدر سابق، ص: 17.

2 - محمد بن المشري، مصدر سابق، ج I، ص: 16.

- علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، ص: 42.

3 - إدريس العراقي، مصدر سابق، ص: 17. =

في سنة 1191هـ/1777م شد سيدي أحمد التجاني الرحال من تلمسان إلى فاس¹ قصد زيارة مولاي إدريس الأزهر، وفي الطريق التقى سيدي علي حرازم برادة الفاسي لأول مرة، فتوجهوا معا إلى مدينة فاس، وخلال هذا اللقاء لقنه الطريقة الخلوتية، وبذلك يكون سيدي أحمد التجاني قد لقن هذه الطريقة أول ما لقنها لأعز الناس إليه: محمد بن المشري و علي حرازم برادة². وقد كانا بالفعل عند حسن ظنه للتفاني الذي أظهره في خدمة انتشار تعاليم الطريقة.

وبعد زيارة ضريح مولاي إدريس أخبر خليفته علي حرازم برادة بأنه عازم على العودة إلى تلمسان، فودع خليفته في نفس السنة التي وصل فيها إلى فاس و طلب منه ملازمة العهد و المحبة و صدق التوجه إلى الله.

وهنا نتوقف قليلا لنشير، بالمناسبة إلى أن رغبة سيدي أحمد التجاني في مغادرة فاس إلى جهة أخرى لا يمكن ربطها بسوء أحوال المغرب سياسيا و اجتماعيا و اقتصاديا على عهد سيدي محمد بن عبد الله،

= = - أحمد اسكيرج، مصدر سابق، ص: 149 - 150.

1 - محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص: 171.

2 - علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، ص 42 - 43.

- محمد بن المشري، مصدر سابق، ج I، ص 16.

- محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص: 172.

كما ذهب إلى ذلك البعض¹. باعتبار أن ظروف المغرب لم تكن أحسن حالا، لا خلال زيارته السابقة عن هذه إلى فاس، ولا عندما قرر الاستقرار بهذه المدينة بشكل نهائي في عهد مولاي سليمان، ونرى من الأنسب القول إن حركات هذا الشيخ و سكناته، و تبعا لطبيعة تكوينه العلمي و الروحي، كانت تخضع للمشيئة الإلهية و الهواتف الربانية، غير أن عدم ارتياح سيدي أحمد التجاني للإقامة في تلمسان و الاستقرار بها، أمر مؤكد على لسانه كما أورده تلميذه و مريده علي حرازم برادة عندما قال متحدثا عن شيخه، «... و رجع إلى تلمسان وأخبرني بأنه ينتقل من تلمسان إلى مكان آخر لأن حاله لم يستقم بها و ضاقت نفسه...²» و لعل الأمر هنا يتعلق بمضايقه السلطات العثمانية له كما سيتضح لاحقا.

لا تفصح المصادر عن السنة التي غادر فيها الشيخ التجاني فاس في اتجاه تلمسان التي مكث بها تبعا لما ورد في جواهر المعاني والجامع لما افترق، إلى حدود سنة 1196هـ/ 2-1781م ليغادرها إلى قصر الشلالة الذي يبعد عن البيض بحوالي 120 كلم. و هناك دامت إقامته ثلاث سنوات، توجه بعدها للاستقرار بقصر أبي سمغون حيث ضريح الولي الصالح

1 - Awad (M.). op. cité. p. 241. -

2 - علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، ص 43.

- محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص 172.

الذي سمي القصر باسمه¹. و مما يسترعي الإنتباه في هذه الإقامة طول مدتها التي ناهزت أربع عشرة سنة قبل رحيله النهائي إلى فاس، فهل كان سيدي أحمد التجاني يعرف بفراصة المؤمن التي لا تخطئ أن أمره سوف يقضى انطلاقاً من بقعة الولي أبي سمغون الطاهرة؟ كيف لا وهو العبد الملحاح المجاهد الذي طاف أرض العروبة والإسلام من مغربها إلى مشرقها، ذهاباً وإياباً بحثاً عن المعرفة والولاية والصلاح في مواطنها الأصلية و من أفواه رجالاتها البررة، سائلاً ومستفسراً أحياناً، أستاذاً وطالبا أحياناً أخرى، ممتثلاً لبعض إشارات العارفين و رافضاً لأوامر بعضهم، و ذلك تبعاً للفهوم التي كانت ترد عليه عن طريق النفحات والأنوار الإلهية، فكان التتويج و بلوغ المرام بالحصول على الولاية والتحدث مع خير الأنام بقرية أبي سمغون القريبة من مسقط رأسه عين ماضي.

III - إدراك الولاية و القطبانية بأبي سمغون بفضل العناية

المحمدية.

كيف ما كانت الأسباب التي جعلت سيدي أحمد التجاني يترك مدينة الجدار (تلمسان)، في اتجاه الجنوب، فإن الشيء الأكيد هو أنه حل بقصر

1 - علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، ص 43.

- محمد بن المشري، مصدر سابق، ج I، ص: 28.

- محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص: 173.

أبي سمغون في سنة 1196هـ/2 - 1781م¹. و به حصل له الفتح الأكبر و الولاية العظمى التي صبر و صابر من أجل الوصول إليها، و يلاحظ أنه قبل حصول هذا الفتح تغيب عن قرية أبي سمغون مرتين لفترتين قصيرتين على ما يبدو، قصد إنجاز ما تبقى من المساعي الضرورية لنيل المراد فتوجه في المرة الأولى إلى توات لزيارة العارف بالله سيدي محمد بن الفضيل، و هو من أهل تكورارين في توات الغربية، فأخذ كل واحد منهما عن الآخر بعض أسرار الطريق، كما لقي في توات بعض الرجال الكمل «و اشترى منه شيئاً من الأسرار بثلاثة عشر محبوباً من الذهب الخالص»².

أما في المرة الثانية فقد توجه إلى مدينة تازة، و بها التقى بصاحبه و تلميذه العارف بالله سيدي محمد بن العربي الدمراوي التازي الذي كان يقوم بدور الوساطة في الأجوبة التي كان ينقلها له من رسول الله صلى الله عليه و سلم، باعتبار أن الشيخ التجاني كان يسأل النبي صلى الله عليه و سلم بواسطة تلميذه هذا، في أول مرة، لأنه عندما كان يجتمع به لم يكن

1 - علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، ص 43.

- محمد بن المشري، مصدر سابق، ج I، ص: 28.

2 - إدريس العراقي، مصدر سابق، ص: 19.

يقوى على مساءلته مباشرة، تأدبا مع الحضرة الشريفة¹.

في غمرة هذه الأجواء العطرة و التردد على الأعتاب الشريفة، حصل لسيدي أحمد التجاني الفتح بأبي سمغون منذ السنة الأولى التي قام بها بعد رحيله من تلمسان عام 1196، فأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما، في تلقين الخلق على العموم والإطلاق، و عين له الورد الذي يلقنه، و يلاحظ أن تعيين هذا الورد من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم أتى على مرحلتين².

أ- في سنة 1196 كلفه بالإستغفار مائة (100) مرة، و الصلاة على سيدنا محمد مائة (100) مرة، و أذن له تبعا لذلك بتلقيه لكل من رغب فيه من المسلمين و المسلمات، بعد تحديد الشروط و التزام المرید بها.

ب - و في رأس المائة و هو عام 1200هـ زاده في الورد اللازم مائة من الكلمة المشرفة لا إله إلا الله.

و لما أذن له صلى الله عليه وسلم في هذه الطريقة الأحمدية، و فتح الله على يده صلى الله عليه وسلم أخبره صلى الله عليه وسلم أنه مربيه و كافله و أنه لا يصله شيء من الله إلا على يديه و بواسطته و لا منة لأحد

1 - المصدر نفسه.

2 - علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، ص 43.

من شيوخ الطرق عليه «فأنا واسطتك و ممدك ... فاترك عنك جميع ما أخذت من جميع الطرق ... و الزم هذه الطريقة من غير خلوة و لا اعتزال عن الناس حتى تصل مقاما كالذي وعدت به من غير ضيق و لا حرج و لا كثرة مجاهدة و اترك عنك جميع الأولياء...¹».

و عملا بهذا الأمر المحمدي ترك سيدي أحمد التجاني جميع الطرق ولم يعد يطلب أي شيء من الأولياء، و هذا يدل على أهمية مرتبة الشيخ التجاني عند الله و رسوله كما أخبره بذلك سيد الوجود، لأن فتحه و وصوله كان على يده صلى الله عليه و سلم. و من كان فتحه و وصوله على يديه كان أرفع قدرا و أعظم شأنًا. و منذ وقوع هذا الفتح و الفيض، بدأ يتكاثر على شيخنا ورود الأنوار والأسرار و الترقيات في أبي سمغون أو في عين ماضي التي أصبحت أول مركز للطريقة التجانية² بعد أن حل بها مباشرة عقب تمكنه من إدراك الولاية و المشيخة و مباشرة التربية الروحية بإذن من الرسول. و ما أن اشتهر أمره و ذاع خبره بين الناس، حتى شرعت تتوافد عليه أعداد كثيرة من الخلق بغية الأخذ عنه و الانتماء إليه،

1 - المصدر نفسه.

- محمد بن المشري، مصدر سابق، ج I، ص: 28.

- Sémian (M.). op. cité. p. 71. - 2

- Coppolani (X.). et Octave (D.). op. cité. p.416.

و الإستزادة مما كان يمدهم به في الحس و المعنى من الإمدادات الغير المألوفة. و يصف صاحب البغية هذه الكثرة من الناس بقوله: «... فترى الناس من شدة الإزدحام على أتباعه و كثرة الوفود منهم على بابه كأنهم يطوفون بالكعبة المشرفة أو يضجون بالتلبية يوم عرفة¹...».

بعد أن ركز سيدي أحمد التجاني أسس الزاوية الأم بعين ماضي بقي على هذه الحالة ينشر الطريقة و يأذن في الأوراد، متنقلا بينها وبين أبي سمغون و توات. وإذا ما صدقنا ما ورد في بعض الكتابات الفرنسية حول الموضوع² فإنه في هذه المرحلة زار الشيخ التجاني تونس و الصحراء و السودان الغربي، يؤسس الزوايا أحيانا ويعين المقدمين أخرى في الأقاليم التي يمر بها من أجل ضمان انتشار واسع لطريقته، بتلك الأصقاع، دون الإفصاح عن مصادرهم في هذه الإفادات، في حين لا تذكر الأدبيات التجانية شيئاً عن مثل هذه الرحلات خارج عين ماضي و أبي سمغون بعد سنة 1781 إلى حين هجرته إلى فاس، فأين تكمن الحقيقة ؟ و ماهي مصلحة هذا الطرف أو ذاك في السكوت عن أحداث وقعت بالفعل،

1 - محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص: 179.

- 2 - Coppolani (X.). et Octave (D.). op. cité. p.416.
- Rinn (L.). op. cité. p. 420.
- Semain (M.). op. cité. p. 76.

أو تلفيق وقائع تاريخية لا أساس لها في الوجود؟ قد يتعلق الأمر بالحرب الباردة المعلنة بين تجانيي تماسين و عين ماضي من جهة و تجانيي فاس من جهة ثانية¹ فالأوائل يريدون إبراز الأهمية التي أولاها سيدي أحمد التجاني للطريقة بمسقط رأسه قبل انتقاله إلى فاس باعتبار أن إشعاعها في اعتقادهم كان قد اخترق كل الآفاق قبل هجرته إلى العاصمة الإدريسية، في حين يرى الآخرون أن الجهود الكبرى لنشر تعاليم الطريقة بذلت انطلاقاً من فاس لتعم المغرب الأقصى بكامله، أولاً، فبأقي بلدان المغرب العربي و السودان الغربي و مختلف الأقطار الإسلامية بعد ذلك. و بالتالي من يستحق قيادة التجانية في العالم الإسلامي زاوية فاس أم زاوية عين ماضي؟.

نطرح مثل هذه التساؤلات لنبدي من خلالها تحفظاتنا، لعلنا أن عمل سيدي أحمد التجاني على نشر طريقته بشكل فعال، رسمي، و منتظم، لم يبدأ في حقيقة الأمر إلا بعد رحيله بشكل نهائي إلى فاس². و لو كان

1 - تجدر الإشارة هنا، إلى التنافس الحاد الذي حصل بين زاوية عين ماضي غرباً و زاوية تماسين شرقاً بالمغرب الأوسط، بعد وفاة الشيخ التجاني حول من يستحق منهما تولي زعامة الطريقة التجانية روحياً و مادياً، و هو التنافس الذي تطور إلى صراع بين الطرفين أدى إلى انفصال الزاويتين عن بعضهما البعض أنظر:

- Gouilly (a.). op. cité. p. 109 - 110.

- Rinn (L.). op. cité. p. 340 et s.

2 - نفس الرأي يستنتج من خلال عمل جميل أبو النصر:

- AbuN-Nasr (J.). op. cité. p. 19 et s.

هذا الشيخ تنقل شخصيا إلى الصحراء و السودان الغربي أو إلى ما وراء حدود الجزائر الشرقية، أو أرسل رسلا من أجل التعريف بدعوته، لنص على ذلك صاحب منظومة منية المريد الطويلة، التي تطرق من خلال أبياتها إلى حياة سيدي أحمد التجاني من البداية إلى النهاية، مروراً بإدراكه المشيخة و الولاية.

و لم يشر لا من قريب و لا من بعيد إلى ما أوردته الدراسات الفرنسية من نشاط تجاني، شرق المغرب الأوسط أو جنوبه قبل قيام الزاوية التجانية بفاس. و هذه المنظومة هي التي شرحها محمد العربي بن السايح في كتابه بغية المستفيد لشرح منية المريد.

و نقدم فيما يلي أبيات المنظومة التي تشير إلى وصوله الولاية في أبي سمغون بعد قدومه إليها من تلمسان، ثم تنقله إلى توات، و تازة، ليرحل بعد ذلك إلى فاس.

من تلمسان نوى انتقاله	إلى أبي سمغون و أشلاله
في عام ست و تسعين ارتحل	عنها إليهما بأهله و حل
و سافر الشيخ إلى توات	لأجل عارف له مواتي
كذلك سافر إلى ابن العربي	تلميذه الحب الرفيع المنصب ¹

1 - ابن بابا الشنقيطي العلوي التجاني، منية المريد في الطريقة التجانية، مكتبة السعادة

تونس نهج الكتبية، د. ت. ص. 5.

- محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص: 172.

إلى أن قال:

و فتح الله بهذا العام	فتحا لشيخه الكامل الإمام
بأن رأى بالعين عين الرحمة	يقظة فصار عين الأمة
وقال دع كل شيوخك وذر	وأنا مربيك و شيخك الأبر
و أذن النبي للشيخ بأن	يلقن الأنام ورده الحسن
فجل الناس من الأقطار	يأتونه محبة الأسرار ¹

إلى أن قال:

ثم إلى فاس مدينة الفخر	ظعن في عام ثلاثة عشر
وزينت ببهجة التجاني	في العام سادس ربيع الثاني ²

و أيا كان الأمر فإنه عندما زار علي حرازم برادة شيخه بأبي
سمغون عام 1203هـ / 1789م وجده لازال يواصل تلقين الأوراد وتربية
الأفواج تلو الأفواج من العباد³ ولعل هذا الإقبال الذي عرفته الطريقة

1 - ابن بابا الشنقيطي العلوي التجاني، مصدر سابق، ص: 5.

- محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص: 178.

2 - ابن بابا الشنقيطي العلوي التجاني، مصدر سابق، ص: 6.

- محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص: 180.

3 - علي حرازم برادة، مصدر سابق، ج I، ص: 44.

و الإنتشار الكبير الذي بدأت تحققه انطلاقا من عين ماضي و الواحات المجاورة لها، هو الذي جعل من التجانية قوة حقيقية منذ سنة 1198هـ / 1783م، بدأت تقلق الحكومة التركية، بل أدى بها خوفها إلى شن حملات عسكرية على عين ماضي و فرض إتاوة على الشيخ التجاني وأتباعه، مرة سنة 1199 / 5 - 1784 و أخرى سنة 1201 - 1202 / 1787.¹ فهل يصح تفسير هجرة سيدي أحمد التجاني إلى فاس بهذا التضيق الذي مورس ضده من قبل الحكام الأتراك؟ أم هناك أسباب أخرى؟ سنعود لمناقشة هذه المسألة في فصل لاحق.

و قبل الانتقال إلى فصل آخر لابد من أن نتوقف عند مسألة أثارت الكثير من الانتقادات من قبل خصوم التجانية خصوصا الفقهاء من علماء الشريعة، و نقصد بذلك رؤية سيدي أحمد التجاني للرسول صلى الله عليه وسلم و مخاطبة هذا الأخير له يقظة لا مناما، و أخذه ورد طريقته عنه صلى الله عليه وسلم مباشرة و بدون واسطة، و من حصل له مثل هذا الفتح يصير بداهة في فهم التجانيين، مستغنيا عن وساطة أي شيخ من شيوخ الطرق الصوفية. و يكون بذلك شيخه و مرشده، هو جده النبي صلى الله عليه وسلم، فإلى أي حد يمكن لهذا الطرح أن يصمد أمام انتقادات المنكرين عليهم؟.

- Rinn (L.). op. cité. p. 421 -1

يبدو أن التجانيين و في مقدمتهم سيدي أحمد التجاني¹ كانوا يتوقعون مثل هذه الاعتراضات، فعلاوة على أن مبادئ طريقتهم لا تخرج في مجملها عن تعاليم الشريعة الإسلامية، على غرار الطرق الصوفية المشهورة الأخرى فإن عددا من العلماء الذين جمعوا بين الشريعة والحقيقة في مختلف الأقطار الإسلامية، قالوا بجواز رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة، وعلى آراء بعضهم اعتمد بعض فقهاء التجانية لمحاولة إثبات حقيقة ما وقع لشيخهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم، مستدلين على ذلك ببراهين من الكتاب والسنة، ونكتفي بالإستشهاد بنموذجين من فقهاء التجانية، في الموضوع هما: محمد العربي بن السايح من المغرب، و الحاج عمر الفوتي من السودان الغربي.

أ - محمد العربي بن السايح:

قدم في كتابه بغية المستفيد لشرح منية المريد، عدة استشهادات تفيد مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم «يقظة بعين الرأس لذاته

1 - نسب صاحب الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، لشيخه سيدي أحمد التجاني قوله: «طريقنا طريق محض الفضل أعطاها لي صلى الله عليه وسلم منه إلي من غير واسطة يقظة لا مناما» انظر:

- محمد الطيب السفيناني، م.س.ص. 58.

الحقيقية فقد نص على جوازها جماعة من الأئمة المعتبرين¹ «...» في مقدمة هؤلاء المستشهد بهم حسب نفس المصدر نجد جلال الدين السيوطي الذي أورد في مؤلف الإعلام بحكم عيسى عليه السلام أن جماعة من أئمة الشريعة نصبوا على أن من كرامات الولي أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم و يجتمع به في اليقظة و يأخذ عنه ما قسم له من معارف و مواهب. و قد تكرر رأي السيوطي هذا، في مؤلف آخر له يحمل عنوان تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي و الملك، طبقا لما أورد ابن السائح في بغيته. ثم أضاف إلى رأي السيوطي آراء كل من القرافي و الغزالي و أبو بكر بن العربي و البيهقي و اللقاني².

و من الأحاديث النبوية التي استدل بها ابن السايح في الموضوع ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه و سلم مر بقبر موسى عليه السلام فإذا هو حي في قبره يصلي قائما»³ ثم حديث «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»⁴.

و بعد أن عرض هذه النقول، خلص إلى القول بأن رؤية النبي صلى الله

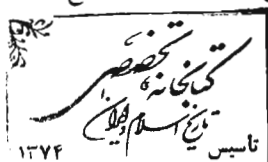
1 - محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص: 210.

2 - نفسه.

3 - نفسه، ص: 211.

4 - نفسه، ص: 211 - 212.

عليه و سلم في عالم الحس و ما يتبع ذلك من الأخذ عنه و مسائلته
و مشاورته في بعض الأسرار ممكن عقلا ثابت نقلا لا مانع منه لمن أكرمه
الله من الأولياء.



ب - الحاج عمر الفتوي:

خصص هذا الفقيه فصلا كاملا لمناقشة هذه المسألة تحت عنوان:
الأولياء يرون النبي صلى الله عليه و سلم يقظة، ضمن كتابه رماح حزب
الرحيم على نحور حزب الرجيم. و هذه بعض الأدلة التي قدمها في هذا
الكتاب.

و يتصدرها رأي السيوطي، كما تقدم عند ابن السايح في
البغية، الذي أفاد بشأنه الحاج عمر الفتوي أنه قال في تنوير
الحلك في إمكان رؤية النبي و الملك، أن طائفة من أهل العصر ممن
لا قدم لهم في العلم أنكروا إمكان رؤية النبي يقظة، و ادعوا
أنه مستحيل، مما جعله يؤلف كتابه المنوّه به و بدأه
بالحديث الصحيح الوارد في هذا الشأن أخرجه البخاري و مسلم وأبو
داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، و لا يتمثل الشيطان
بي»¹ و أخرج الطبراني مثله من حديث مالك بن عبد الله

1 - عمر بن سعيد الفتوي، رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، بهامش كتاب ==

وأخرج الدرامي مثله من حديث أبي قتادة¹. ثم استشهد صاحب رماح بعد ذلك بالشعراني في لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية، الذي يرى أن كل من أكثر الصلاة و التسليم عليه صلى الله عليه وسلم ربما يصل إلى مقام مشاهدته، كما حصل للشيخ نور الدين الشوفي و الشيخ أحمد الزواوي و الشيخ أحمد بن داوود المنزلاوي ... فلا يزال أحدهم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم و يكثر منها و يتطهر من كل الذنوب حتى يجتمع به يقظة في أي وقت شاء²، ثم أورد الحاج عمر قول سيدي علي الخواص الذي يرى أنه لا يكمل عبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة و مشافهة. و ممن كان يراه يقظة من السلف الصالح تبعا لسيدي علي الخواص، الشيخ أبو مدين المغربي شيخ الجماعة ... و الشيخ أبو الحسن الشاذلي و الشيخ أبو العباس المرسي ... و سيدي ابراهيم المتولي و الشيخ جلال الدين السيوطي³.

و من أهم رجالات التصوف الأخرى الذين اعتمد صاحب رماح حزب

= جواهر المعاني، مصدر سابق، ج I، ص: 216.

1 - نفسه.

2 - نفسه، ص: 210.

3 - نفسه، ص: 210.

الرحيم على آرائهم في الموضوع:

- محيي الدين ابن عربي في الباب الثالث و الستين و أربعمائة في
الفتوحات المكية¹.

- الشيخ عبد العزيز بن مسعود الدباغ، في الأبريز².

- تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن³.

- القرطبي في التذكرة⁴.

- أبو علي في مسنده⁵.

- البيهقي في كتابه حياة الأنبياء.

- القاضي عياض في أحد مؤلفاته.

- ثم استشهد المؤلف بقوله تعالى: ﴿و لا تحسبن الذين قتلوا في

سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون⁶﴾.

بعد عرض كل هذه النقول و الأحاديث، خلص الحاج عمر إلى القول

1 - نفس المصدر السابق، ص: 212.

2 - نفسه، ص: 215.

3 - نفسه، ص: 218.

4 - نفسه، ص: 219.

5 - نفسه، ص: 220.

6 - نفسه.

بأن النبي صلى الله عليه وسلم حي في جسده وروحه وأنه يتصرف
و يسير حيث يشاء في أقطار الأرض وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت
الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم، فإذا أراد الله، يضيف نفس المصدر
رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيأته التي هو عليها¹.

يشكل إذن ما جاء في كتابي منية المريد لمحمد العربي بن السايح،
و رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم للحاج عمر الفتوي،
نموذجين فقط من بين كتابات أخرى في الموضوع، ردا على كل المنتقدين
و المعترضين على ما نسبوه لشيخهم من مشاهدة الرسول و مشافهته
يقظة. و بما أن الله على كل شيء قدير، في تصورهم، و نظرا لكون
شيخهم، أدرك عند الله أسمى درجات القرب و الوصول بشهادة الأصدقاء
و الأعداء، فإن أوفى جزاء من الله و أجزله لعبده الفقير إليه هذا هو التكرم
عليه بمشاهدة نبيه صلى الله عليه وسلم، و تشريفه بأخذ الورد عنه
مباشرة بواحة أبي سمغون.

فهل يحتاج الأمر إلى دليل أكثر من هذا يقول التجانيون، لإقرار أن
شيخ سيدي أحمد التجاني هو جده المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ و من
كان شيخه هو الرسول فهل يحتاج إلى شيخ للتربية من شيوخ الطرق

1 - المصدر نفسه.

الصوفية الأخرى؟ رغم هذه التبريرات المقبولة عقلا و نقلا، فإن خصوم التجانية منذ نشأتها لم يضعوا السلاح، بل ردوا على موقف التجانيين بشكل منطقي و اعتمادا على الكتاب و السنة أيضا، ليس فيما يخص مسألة جواز رؤية النبي صلى الله عليه و سلم يقظة أو عدمها فحسب، و لكن فيما يتعلق بنقط خلاف أخرى كما سيأتي. و إذا تركنا هذا الجانب المثير للجدل، فإن الأمر الذي لا يختلف فيه إثنان هو بروز سيدي أحمد التجاني كشيخ عارف بالله كرس حياته للتربية الروحية و الأخذ بيد السالكين لترقيتهم إلى أعلى درجات القرب من الله و خصوصا بعد هجرته إلى فاس للإقامة بها بصفة نهائية إلى آخر حياته.

الفصل الثاني:

نشأة الزاوية التجانية بمدينة فاس

في سنة 1213هـ/1798م، وصل سيدي أحمد التجاني إلى مدينة فاس التي أسس بها زاويته و اتخذها مقر إقامته بصفة نهائية حتى وافته المنية هناك سنة 1230هـ/1815م، وبهاته المدينة انخرط في طريقته الكثير من المريدين من مختلف الشرائح الإجتماعية، من علماء و فقهاء ووزراء وعامة الناس. و من مدينة فاس انطلق إشعاع الطريقة التجانية ليعم باقي أنحاء المغرب من أقصاه إلى أقصاه، لكن قبل التطرق إلى قيام هذه الزاوية، لابد من محاولة التعرف أولاً على الأسباب و الملابسات والظروف التي رافقت وصول سيدي أحمد التجاني إلى العاصمة الإدريسية في ضوء أوضاع المغرب العامة، و تأثره بمناخ المستجدات الدولية.

I - أوضاع المغرب العامة في نهاية القرن 18 وظروف

وصول سيدي أحمد التجاني إلى المغرب :

1 - أوضاع المغرب العامة:

خلال الربع الأخير من القرن 18 وإلى غاية سنة 1810، كان

المغرب قد خرج من فترة الثلاثين سنة (1727-1757) التي تميزت بالفوضى و عدم الإستقرار بعد وفاة السلطان المولى إسماعيل (1672-1727)¹.

و تمكن من استرجاع بعض عافيته بفضل سياسة السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757-1790) الرشيدة التي نهجها على المستويين الداخلي و الخارجي² و رغم بعض فترات عدم الإستقرار التي ميزت السنوات الأولى لوفاة هذا السلطان، بسبب الصراع بين أبنائه مثل يزيد

1 - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدار البيضاء 1956، ج.7، ص: 99، و ما يليها من صفحات.
- مولاى عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، الدار البيضاء 1990:

ج I من ص 265 إلى ص 297 - عصر السلطان مولاى أحمد الذهبي بن السلطان مولاى إسماعيل.

ج II من ص 50 إلى ص 79 - عصر السلطان مولاى إسماعيل.

ج III ص 148 السلطان محمد بن عربية بن مولاى إسماعيل.

ج IV من ص 333 السلطان المستضيء بن مولاى إسماعيل.

ص 389 إلى ص 484: السلطان مولاى عبد الله بن السلطان مولاى إسماعيل.

ج V من ص 297 إلى ص 312: السلطان عبد الملك بن السلطان مولاى إسماعيل.

- Boutaleb (Brahim) et autres Histoire du Maroc, Casablanca, 1967, p.266.

2 - أحمد بن خالد الناصري، مصدر سابق ج 8، من ص 4 إلى ص 65.

- مولاى عبد الرحمان بن زيدان، مصدر سابق ج III، من ص 148 إلى ص 577.

و مولاي هشام و مولاي مسلمة، فإن التوفيق حالف ابنه السلطان مولاي سليمان (1792-1822) و لو إلى حين في المحافظة على وحدة البلاد واستقرارها واسترجاع بعض أجزائها على الحدود الشرقية ضد الأتراك. و يتعلق الأمر بوجدة التي راسل السلطان الباي محمد باشا في شأن التخلي عنها و إلا أعلن عليه الحرب، فقبل الحاكم التركي و لم يمانع. و على إثر ذلك دخل الجيش المغربي إلى وجدة سنة 1211/1796 و تمت جباية زكواتها و أعشارها و استخلف المولى سليمان عامله عليها¹. و بعد حوالي عشر سنوات من هذا التاريخ سيتمكن نفس السلطان من استرجاع فكيك و تيكورارين و توات².

و يمكن تفسير هذه السلسلة من العمليات العسكرية الموفقة شرق البلاد، باستفادة المولى سليمان في بداية حكمه من جني ثمار عمل أبيه السياسي و الدبلوماسي و العسكري الذي أعاد الحيوية و الفعالية للدولة المغربية، كما نجد تفسير ذلك في انبهار الأتراك بإنجازات سيدي محمد بن عبد الله و انشغالهم بمشاكلهم خصوصا الخارجية منها، إذ في الفترة التي كان فيها المولى سليمان يحقق انتصاراته في المغرب الشرقي كانت الحرب تدور رحاها بين السلطان مصطفى بن عبد الحميد العثماني و بين

1 - أحمد بن خالد الناصري، م. س. ج 8، ص 108.

-Boutaleb (B.) et autres. op. cité. p. 266 - 2

روسيا فكتب العثماني إلى السلطان المغربي يطلب منه العون و السند ضد الدولة التي يحاربها و ذلك بأن « يقيم قراصينه بباب البوغان في مرسى طنجة لئلا تدخل قراصين الموسكوب منه و تعبت في الجزر التي هي في ملكية العثماني ... »¹.

فاستجاب المولى سليمان لهذا الطلب و أمر رؤساء بحريته بالقيام بهذا الواجب، فامتثلوا لأمره و إن لم يظهر فيما بعد أي تهديد روسي.²

و لم تكن هذه المظاهر هي الوحيدة التي عبر فيها السلطان المغربي عن حسن نيته تجاه حكام الجزائر، فقد عالج مشكل الثورة الدرقاوية ضد باي وهران سنة 1802 - 1803 بحكمة عندما أقنع مولاي العربي الدرقاوي شيخ الطريقة الدرقاوية بالمغرب بوجوب التدخل لردع أتباعه و بنفس الحكمة أعاد الطمأنينة إلى الأتراك عندما بايعه أهل تلمسان

1 - أحمد بن خالد الناصري، م. س. ج 8، ص 113. و تجدر الملاحظة هنا إلى أن المغرب في هذه الفترة كان لا يزال محافظا على بعض قوته البحرية كما يؤكد ذلك العلامة محمد المنوني، في كتابه:

- مظاهر يقظة المغرب الحديث، مطبعة الأمنية، الرباط 1973، ص 2-3 أنظر أيضا ليفي بوروفانصال، مؤرخو الشرفاء ص 108.

2 - يرى د، محمد المنصور في مقال له منشور بمجلة دار النيابة، أن العثمانيين وجدوا في الثغور المحتلة بالمغرب، منذ عهد السلطان المولى إسماعيل، وسيلة لتحويل أنظار العلويين عن المناطق الشرقية. و قد يكون المسعى العثماني الذي نحن بصده في عهد المولى سليمان، مسخرا لنفس الهدف، انظر أحمد المنصور، الضغوط العثمانية و أثرها على تحرير الثغور المحتلة بالمغرب من خلال حالة طنجة، مجلة دار النيابة، العدد الخامس، شتاء 1985، ص 27 إلى 31.

و دخلوا تحت طاعته بزعامة قائدهم الشريف الفلتي باتفاق مع مولاي
العربي الدرقاوي نفسه¹.

و تأكيداً لنواياه السليمة من حكام الجزائر، رفض المولى سليمان
القيام بعمل عسكري مشترك مع باي تونس الذي انطلقت من أرضه
هجومات ابن الأحرش الدرقاوي ضد الإيالة الجزائرية². و هكذا إلى حدود
سنة 1810 يمكن القول أن المغرب استعاد توازنه و هيئته نسبياً على
المستويين الداخلي و الخارجي، رغم بعض الهزات المترتبة عن تحالف
عدد من الأمراء الطامعين في الحكم مع بعض شيوخ الزوايا و زعماء
القبائل، و من بين الشواهد التي تؤكد هذا التوازن تحرير البريجة سنة
1769 و الإنفتاح على الخارج الذي رافقه التخفيف من حدة القرصنة
و الجهاد البحري، مع بناء مدينة الصويرة التي لعبت دوراً كبيراً بموقعها
الإستراتيجي في تغذية بيت مال الدولة بفعل توفير العمل لعدد كبير من

1 - أحمد بن خالد الناصري، م. س. ج 8، ص 109.

- محمد بن الأعرج السليماني، اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، مطبعة

أمنية 1971، ص 102.

- عبد المجيد الصغير، حول الطريقة و العلاقات المغربية الجزائرية إبان السيطرة العثمانية،

مجلة دار النياحة، العدد الخامس، شتاء 1985، ص 11 و ما بعدها.

- Drague (Georges). Esquisse d'Histoire religieuse du Maroc, Paris, 1951. p. 252.

- Boutaleb (B.) et autres. op. cité. p. 266.

- Ibid. p. 281

سكان البلاد و استقطابها لكبار التجار من كل أنحاء المغرب و من خارجه ،
و بسبب ما شكله مينائها من منطقة جذب لكميات كبيرة من السلع المنقولة
من أوروبا و السودان الغربي ، و من المدن الداخلية ، كان يتم إفراغها
وشحنها و المتاجرة بها في عين المكان ¹ .

هذه الإنتعاشة التي أعادت بعض الهدوء و القوة للمغرب ، في عهد
مولاي سليمان ، عند مطلع القرن 19 ، ستبدأ في التراجع بالتدريج خلال
سنوات العقد الثاني من نفس القرن لأسباب خارجية و داخلية .

على المستوى الخارجي و مع تسليمنا بأن المغرب لا يمكن أن يعيش
بمعزل عن ما يجري في أنحاء العالم ، يلاحظ تأثره بصفة خاصة بالتقلبات
السياسية بالقارة الأوربية و على حدود البلاد الشرقية . ففي الفترة التي
كان فيها المولى سليمان يحقق بعض النجاح في سياسته كما سبق منذ
وصوله إلى الحكم و إلى غاية سنة 1810 م كانت القارة الأوربية تهتز
بفعل ضربات نابليون بونابارت Napoléon Bonaparte و انتصاراته ضد
الحكام الأوربيين . و هي الإنتصارات التي أزعجت الكثير من الدول
الأوربية التي انتظمت في تحالفات عسكرية لتكسير الهيمنة الفرنسية . و من

1 - من أجل الإطلاع على المجهودات التي قام بها سيدي محمد بن عبد الله لاسترجاع هبة
المغرب كدولة ، في الخارج و الداخل يمكن الرجوع إلى :

- أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا ، مصدر سابق ، ج 8 .

- مولاي عبد الرحمان بن زيدان ، مصدر سابق ، ج III ، ص 148 إلى 577 .

الدول الأوروبية المعروفة بقوتها البحرية التي واجهت فرنسا و حركت حلفاءها: معها بشكل فعال ، في هذه التحالفات توجد بريطانيا العظمى التي عمل بونابارت على محاولة ردعها بقطع الطريق عليها و تهديد أسطولها بالسيطرة على الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط و احتلال مصر ابتداء من سنة 1798م¹ ، غير أن أنجلترا هي التي ربحت الرهان في النهاية و ذلك عندما تمكنت من تأليب النمسا و تركيا و مملكة نابولي و روسيا وإقناعها بالدخول في حلف واحد² ضد الهيمنة الفرنسية خلال سنة 1798 ، الشيء الذي جعل بونابارت Bonaparte يتوعد لبريطانيا خصوصا بعد أن تعرضت قواته لبعض الهزائم على يد القوات التركية في شرق البحر الأبيض المتوسط. و تمكن بونابارت من توقيع سلم أميان³ (Paix d'Amiens) في مارس 1802. لكن لم تمض سنة على تاريخ هذه المعاهدة حتى عاد الطرفان بسبب جنوح بونابارت إلى الغزو والتوسع

1 - عبد العزيز محمد الشناوي و جلال يحيى، وثائق و نصوص التاريخ الحديث والمعاصر - دار المعارف، الإسكندرية، 1969 ص 494 - 495.

- الدكتورة زاهية قدورة تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت 1975،

ص 329.

- Isaac (Jules) et autres. de la révolution de 1789 à la révolution de 1848. Paris. 1960. p. 187.

Ibid. p. 189. - 2

Ibid. p. 231. - 3

على حساب التاج البريطاني في أوروبا و الشرقين الأوسط و الأقصى و رغبتة في بسط نفوذه على البحر الأبيض المتوسط بكامله، و بالنظر أيضا إلى ارتفاع قيمة الرسوم الجمركية المفروضة على السلع الانجليزية الموجهة إلى الأسواق الفرنسية¹.

و هكذا عاد نابليون إلى سياسة الغزو في القارة الأوروبية، عندما رفض إنذاراً وجهته إليه إنجلترا في أبريل 1803 بوجوب انسحاب فرنسا من هولندا و سويسرا و الكف عن سياسة الهيمنة و التوسع. فأشعل بونابارت نار الحرب من جديد و هي الحرب التي لم تهدأ إلا بهزيمته وإقصائه من الحكم عام 1814، و انعقاد مؤتمر فيينا Vienne سنة² 1815، لإجبار فرنسا على العودة في حدودها إلى ما كانت عليه قبل الثورة الفرنسية.

هذه الأحداث التي عرضناها باختصار شديد لم يكن بإمكان المغرب أن يبقى بعيدا عنها. فاهتمامه بأوروبا و دورانه في فلكها يرجع إلى القرون الأولى للفتح الإسلامي كما يعلم الجميع، و زاد احتكاكه بها منذ القرن 16

1 - Ibid. p. 236.

2 - عبد العزيز سليمان نوار، و عبد المجيد نعنعي، التاريخ المعاصر: أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، 1973، ص 144 و ما بعدها.

- Isaac (J.) et autres. op. cité. p. 237.

عندما احتلت دول شبه جزيرة ايبيريا عددا من المواقع على السواحل المغربية مما جر أطماع دول أوربية أخرى في المغرب، و تسبب في ظهور القرصنة و الجهاد البحري بين الدول الاوربية و الدول الإسلامية بشمال إفريقيا. فاحتلت ابريطانيا طنجة سنة 1661¹. و أبدت فرنسا رغبتها في الحصول بدورها على موطئ قدم بالساحل الشمالي المغربي خلال القرن 17 و استعملت القوة أحيانا و الدبلوماسية أحيانا أخرى للحصول على هدفها في عهد لويس 14 و السلطان المولى إسماعيل. و رغم تبادل السفارات و المراسلات بين العاهلين للوصول إلى حد أدنى من التفاهم، توجت بتوقيع عدة اتفاقيات للسلم و الصداقة خلال سنة 1682 فإن المفاوضات بين الطرفين، مع ذلك وصلت إلى الباب المسدود خلال العقد الثاني من القرن 18 عندما قررت فرنسا تجميد تمثيلها القنصلي بالمغرب سنة 1718². و في الوقت نفسه نجد انجلترا، و نكاية في فرنسا على ما

1 - De laveronne (Chantal). Tanger sous l'occupation anglaise. – d'après une description anonyme de 1674 Paris 1972. p. 1.

- Les S.I.H.M. 2^e série. France. Tome 1. p. 18.

و انظر بحثنا تحت عنوان: مساهمة في دراسة العلاقات المغربية الفرنسية على عهد المولى إسماعيل، الذي نوقش بكلية الآداب و العلوم الإنسانية، ظهر المهران فاس في شهر يونيو 1987، ص 54.

2 - أنظر بحثنا الآنف ذكره من ص 85 إلى ص 184.

- Les S.I.H.M. 2^e série. France. Tome 1. p. 608 à 619.

- Ibid Tome 7. p. 63 et 101.

يبدو، تنهج سياسة الليونة مع السلطات المغربية بانسحابها من طنجة سنة 1683¹ ثم إقدامها على إبرام معاهدة سلم مع مولاي إسماعيل سنة 1703 التي تم تجديدها على أسس متينة سنة 1721² بعد الانسحاب الفرنسي من المغرب. و كانت استفادة بريطانيا كبيرة من خلال كسب صداقة هذا البلد، نظرا لما يشكله المغرب من موقع استراتيجي مفيد لتجاريتها ولعبور سفنها على طول الساحلين الغربي والشمالي من جهة، ولما يتيح نفس الموقع من تدعيم لوجودها بجبل طارق الذي احتلته منذ 1704³ من جهة أخرى. ولم يعد التمثيل القنصلي الفرنسي للمغرب إلا بعد أن خرج هذا الأخير من فوضى الثلاثين سنة (1727 - 1757) وعاد الهدوء والاستقرار للبلاد على إثر سياسة الإنفتاح التي نهجها سيدي محمد بن عبد الله، و مع هذه العودة تجددت محاولات فرنسا بهدف استرجاع مكانتها بالمغرب الذي انفردت به إنجلترا⁴. وبناء على ما سبق، ففي مطلع القرن 19م

1 - Archives des Affaires Etrangères. (Paris). Angleterre, correspondance politique. Volume 152. F°. 197.

- ب.ج. روجرز، العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900، ترجمة ودراسة، و تعليق

د. يونان لبيب رزق، الدار البيضاء 1981، ص 101.

2 - Les S.I.H.M. 2^e série. France. Tome VII. pp. 92-93 et n.6 et - p. 103

3 - Ibid Tome VI. . p. 351 n. 1. -

4 - انظر بحثنا حول علاقات السلطان المولى إسماعيل مع فرنسا المشار إليه آنفا.

عندما كان المولى سليمان يضمّد جراح المغرب و يعمل على استكمال وحدته الترابية، و يواجه تحركات القبائل و الزوايا، كانت أحداث القارة الأوروبية و تطاحن فرنسا و أنجلترا في عهد نابليون بونابارت حاضرة ضمن اهتمامات و مشاغل العاهل المغربي باعتبار أن المغرب كان يشكل مجالا حيويا و موقعا استراتيجيا لكلا الإمبراطوريتين خلال أوقات الحرب و السلم و برزت أهمية المغرب أكثر عندما بسطت فرنسا نفوذها على إسبانيا سنة 1808، فتصدت ابريطانيا لإخراجها من مدريد سنة 1809¹ وفي هذه الظروف الحرجة التي بلغ فيها الصراع أوجه بين فرنسا و ابريطانيا كان على المولى سليمان أن يستعمل كل حنكته السياسية لتجنب إغضاب أي دولة من الدولتين على حساب الأخرى، ما دام أن كل دولة ترى أنها أحق بأسبقية المعاملة مستندة في ذلك على المعاهدات المبرمة مع المغرب منذ عدة عقود. و في هذا الصدد يفهم من كلام الضعيف الرباطي أن السلطان المولى سليمان كان يرجح كفة الانجليز. فقد ورد عند المؤلف المذكور أن السلطان عندما توجه إلى طنجة لتجديد الصلح مع «المركان»² خلال سنة 1218 / 1803 و سرح أسراهم مقابل إطلاق سراح سفينة

1 - Isaac (Jules.) et autres. op. cité. pp. 291-292.

- محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، تحقيق و تعليق و تقديم الأستاذ أحمد العماري، دار المآثورات، الرباط، 1986 ص 346 و 349.

- عبد العزيز سليمان نوار و عبد المجيد نعنعي، مرجع سابق ص 109 و ما بعدها.

2 - يقصد بذلك الأمريكيين.

مغربية، فوض الأمر «لأنجليز صاحب جبل «الطر» وقال: كل من أراد من
النصارى شيئاً عندي فلا يقضى إلا على يد الأنجليز المذكور، و فوض له
جميع مراسي المغرب¹ ...»

يفسر هذا التقارب المغربي البريطاني أيضاً وقوف القوات البحرية
الإنجليزية إلى جانب السلطان ضد فرنسا عندما هدد بونابارت بغزو
المغرب سنة 1807/1222² وكذا خفر البحرية البريطانية لولد السلطان
مولاي ابراهيم سنة 1805/1220³ عند رجوعه من الإسكندرية. لكن مع
ذلك نجد مولاي سليمان يستجيب لطلب بونابارت بتزويده بالخيول سنة
1807/1222 إسوة بدول أوربية أخرى كانت له معها علاقات حسنة
كالدانمارك و الولايات المتحدة الأمريكية و السويد التي سمح له بـ «وسق
الزراع» من الدار البيضاء⁴. فهل ستستمر مجاملة السلطان مولاي سليمان
لكل هذه الدول الأوربية و غير الأوربية، بعدم إغضابها وتلبية رغباتها
حسب المستطاع أم سينفذ صبره ؟

يبدو أنه أدرك أن أطماع هذه الدول سوف لن تقف عند هذا الحد كما
أن الآمال التي كان يعقدها على ثقته في الانجليز، قد انهارت عندما هجم

1 - محمد الضعيف الرباطي، م.س.ص 329.

2 - نفس المصدر، ص 342.

3 - نفسه، ص 374.

4 - نفسه، ص 322.

الأسطول البريطاني على الجزائر بشكل غادر سنة 1816/1231. ولم يخرجوا منها إلا بشروط مذلة لأهل الجزائر¹. وكانت الذريعة التي تستروا وراءها هي عدم امتثال «القراصنة» الجزائريين لبعض بنود مقررات فيينا Vienne التي تقضي بجعل حد للقرصنة بالبحر الأبيض المتوسط². وأمام هذا الطغيان الأوربي المتنامي من عقد لآخر، بل ومن سنة لأخرى، نرى أن المولى سليمان وجد من المبررات ما جعله يقدم على سياسة العزلة و عدم الإنفتاح على أوربا.

هذه باختصار هي حالة أوضاع المغرب الداخلية و الخارجية والمناخ الدولي السائد عشية حلول الشيخ سيدي أحمد التجاني بمدينة فاس.

2 - ظروف انتقال سيدي أحمد التجاني إلى مدينة فاس.

حل سيدي أحمد التجاني بمدينة فاس ليستقر فيها بصفة نهائية يوم 6 ربيع الثاني عام 1213/1798 و كان برفقته علي حرازم برادة. فما هي أسباب رحيله عن تلمسان و ما هي الظروف و الملابسات التي رافقت

1 - عبد الجليل التميمي، بحوث و وثائق في التاريخ المغربي (1816-1871)، الدار التونسية للنشر، 1972، ص 233 و ما بعدها.
- محمد الضعيف. م.س.ص. 396.

2 - Julien (Ch. A.). Histoire de l'Algérie contemporaine, Paris. - 1946.p. 38.

وصوله و إقامته بفاس قبل و خلال و بعد تأسيسه للزاوية التجانية؟
نطرح هذه التساؤلات لعلنا بأن محاولة الإجابة عنها لا تخلو من
أهمية لبسط مختلف الآراء و المواقف المتضاربة أحيانا المؤيدة لهذا الشيخ
و دعوته أو المعادية له و لمذهبه خصوصا عندما تكون هذه الآراء
والمواقف منبثقة عن شخصيات تتبوأ أعلى مراكز المسؤولية في السلطة
المغربية آنذاك.

أول ملاحظة يمكن تسجيلها في هذا الصدد، هو أن شيوخ الطريقة
التجانية و فقهاءها، لم يقولوا شيئا من خلال مؤلفاتهم عن أسباب
هجرة شيخهم سيدي أحمد التجاني بصفة نهائية من تلمسان
إلى فاس. فصاحب كتاب جواهر المعاني، على سبيل المثال، و الذي شكل
كتابه مصدرا أساسيا و نموذجا يحتذى به لما كتب في ما بعد
عن الطريقة التجانية و شيخها، يذكر بخصوص انتقال شيخه
إلى فاس أنه بعد أن حصل له الفتح و الفيض بقرية أبي سمغون و الشلالة
عام 1782/1196، بدأت ترد عليه الوفود من جميع
النواحي و الأقطار للزيارة و أخذ الأسرار و بقي على هذه الحالة
في تلك البلدة «ونحن نتردد عليه المرة بعد المرة و قدمنا لزيارته لتلك
البلدة في شهر رمضان من سنة ثلاثة أعوام و مائتين
و ألف (1789/1203) ... و لم أزل أقيد ما سمعته منه و يمليه علينا من
حفظه و لفظه، ثم انتقل من بلاد الصحراء المذكورة في السابع عشر من

ربيع الأول النبوي سنة ثلاث عشرة و مائتين و ألف (1213/ 1798) ودخل بفاس السادس من ربيع الثاني من العام المذكور و نحن معه من أبي سمغون إلى أن وصلنا إلى فاس¹ ...»

و على منوال علي حرازم برادة نسج كل من محمد العربي بن السايح² و احمد سكيرج³ و إدريس العراقي⁴ ، و محمد الشافعي الطصفاوي⁵ و محمد السوسي النظيفي⁶ و سيدي عبدة بن سيدي محمد الصغير بن انبوجة الشنقيطي التيشيتي⁷ و غيرهم، مما يمكن معه القول إن الأسباب الموضوعية لهجرة سيدي أحمد التجاني، و تمشياً مع ما ورد في التأليف المذكورة، لا أهمية لها، أمام العناية الربانية و المشيئة الإلهية

1 - علي حرازم برادة، م.س.ج I ص 44.

2 - محمد العربي بن السايح، م.س.ص 180.

3 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س.ص 18-19.

4 - إدريس العراقي، م.س.ص 22.

5 - محمد الشافعي الطصفاوي التجاني، الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني، دار

الكتاب، الدار البيضاء، د.ت.ص 8.

6 - محمد السوسي النظيفي، الدرة الخريدة: شرح الياقوتة الفريدة دار الفكر، 1984، ج I

ص 22.

7 - سيدي عبدة ابن انبوجة الشنقيطي التيشيتي، ميزاب الرحمة الربانية في التربية

بالطريقة التجانية، ملزم الطبع و النشر، عبد الحميد حنفي، شارع المشهد الحسيني، مصر، د.ت.

ص 7-8.

التي تفعل بالعبد ما تريد. وهذا ما يفهم من كلام ابن السايح: «ثم لما تشعشع أمر هذه الطريقة المحمدية، وطار صيتها في البلاد المغربية و المشرقية، وأمر سيدنا رضي الله عنه في غاية الترقى و الكمال، بداله ما بدا في الارتحال و الانتقال¹...». وبما أن سيدي أحمد التجاني أخذ ورده مباشرة من الرسول صلى الله عليه وسلم، و لا يفعل شيئاً إلا بعد التزود و الإستلهام بهدي سنته، كما هو معروف عند التجانيين، فمن البديهي أن يكون شيخ التجانية و هو يهاجر من تلمسان إلى فاس، قد تأسى بسيرة جده الذي هاجر من مكة إلى المدينة.

غير أن الباحث إذا خرج عن دائرة الأدبيات التجانية فإنه يجد بعض الكتابات، و إن كانت قليلة، الصادرة عن خصوم التجانية أو المحايدين تتحدث عن وجود أسباب موضوعية جعلت سيدي أحمد التجاني يختار الهجرة، مع ملاحظة أن كل هاته المصادر تكاد تجمع على سبب رئيسي يتحدد في سوء معاملة الحكام الأتراك بالإيالة الجزائرية و اضطهادهم للشيخ سيدي أحمد التجاني.

و يأتي في مقدمة أصحاب هذا الرأي مؤرخ الدولة العلوية أبو القاسم الزياني الذي يعتبر من أشد خصوم التجانية عداوة إذ يعتبرهم من «أهل البدعة قبحهم الله في زمانا، و ذلك أن رجلا كان بتلمسان ينسب للطلب،

1 - محمد العربي بن السايح، م.س.ص 180.

وكان يتعلق بأهل البطالة الذين يدبرون الفضة ويدلسونها، ويبحثون بزعمهم عن صنعة الإكسير الذي هو عن الوصول إليه خطير عسير، واشتهر بذلك بتلمسان عند كل إنسان، فلما علم به أمير البلد، وهو الباي محمد بن عثمان، ضربه و سجنه و نفاه عن تلمسان و أقسم له أن لا يستوطن في إيالته ببلد من البلدان¹....».

و مما يبرهن على مقت أبي القاسم الزياني للشيخ أحمد التجاني وطريقته، نعتة لهذا الأخير بالمبتدع و بأوصاف أخرى خطيرة، لا ينتظر في اعتقادنا أن تصدر عن رجل من حجم شخصية بارزة كالزياني الرجل العالم و السياسي المحنك و الدبلوماسي الناجح. فهو بعد أن أورد خبر نفيه من تلمسان، استمر في تتبع تحركات الشيخ التجاني إلى أن بلغ إلى قرية أبي سمغون التي تشكل في نظر مؤرخنا مجتمع الأشرار و اللئام، وبهذه القرية أظهر لسكانها النسك و التصوف و الصلاح، حسب نفس المصدر، و النص التالي يعبر عن مدى العداء و الكراهية التي كان يكنها صاحب الترجمة الكبري للشيخ التجاني الذي: «اشتمل على قلوب من لهم بها اتصال (أبو سمغون)، من أهل الرماح و النصال، و بلغ خبره ممن يجاورهم

1 - أبو القاسم الزياني، الترجمة الكبرى، في أخبار المعمور برا و بحرا، تحقيق و تعليق عبد الكريم الفلالي، دار نشر المعرفة، الرباط 1991، ص 460.

من أهل «ريقة» و «لغواط»، الذين يبيحون الزنا واللواط، وقد نص صاحب المعيار في فتاويه ونبه على هذه الطائفة الوهابية بصحراء المغرب، أنها من الرافضة، وهم هناك بين أظهر أهل السنة، ونبه عليهم الإمام «البرزلي»، فلعل هذا المبتدع اتصل بهم، وتمذهب ببدعهم وانتحلها فاجتمع عليه أوباش من العامة الجهلة وصار يوجههم لأحلاف العرب والبربر الذين بالصحاري، فصارو يعتقدونه ويأتونه بالهدايا¹...» وعندما بلغ خبر ما وصل إليه الشيخ التجاني من شهرة واستقطاب للأعداد الكبيرة من مريديه وزواره، لباي وهران ابن الباي محمد بن عثمان السالف الذكر، تبعاً للزياني، أصدر أوامره إلى أهل قرية أبي سمغون بضرورة طرد التجاني من بلدتهم، فخاف الشيخ على نفسه و فر إلى المغرب رفقة جماعة من ذويه و طائفة من تلاميذه، وقصد مدينة فاس².

كانت حسب أبي القاسم الزياني، هذه هي الأسباب و الظروف التي انتقل فيها سيدي أحمد التجاني من أبي سمغون إلى العاصمة الإدريسية، فهل يمكن تصديق كل ما أورده الزياني في هذا الموضوع؟ إن السؤال

1 - نفس المصدر، ص 461.

2 - نفسه.

و التساؤل بالنسبة للمؤرخ و الباحث في التاريخ شيء مشروع حتى ولو كانت محاولة إجابته على تساؤلاته لا تشفي الغليل في كثير من الأحيان، شريطة أن تكون الأجوبة موضوعية و غير منحازة لأي طرف.

و محاولة منا الإجابة على السؤال المطروح نشك في أن يكون مؤرخنا الكبير أبو القاسم الزياني قد أصاب في كل ما صدر عنه من آراء و مواقف حول السبب الحقيقي لانتقال سيدي أحمد التجاني من الديار التي ولد و نشأ فيها إلى فاس، و ذلك لعدة أسباب أهمها:

أ- انفراده فيما نعلم بخبر سجن سيدي أحمد التجاني و جلده و نفيه خارج تلمسان من قبل البايع عقابا له على تدليسه للفضة و تعاطيه لصناعة الإكسير. فهل يعقل أن يشغل رجل كسيدي أحمد التجاني نفسه، فيما لا يرضي الله و رسوله، و يضيع وقته في أعمال من قبيل السحر و الشعوذة لا يمكن أن تزيد صاحبها إلا بعدا عن المحجة البيضاء، و مما يؤكد هذا الطرح أن صاحب تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر¹ لم يشر لا من قريب و لا من بعيد عند تطرقه لموضوع سيدي أحمد التجاني لاحتمال دخول هذا الأخير السجن ثم جلده و نفيه، فأهل مكة أدرى بشعابها خصوصا إذا علمنا أن التجانيين كانوا من ألد أعداء الأمير

1 - محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر، شرح و تعليق الدكتور ممدوح حقي، دار الیقظة العربية للتأليف و الترجمة و النشر ج I، ص 211.

عبد القادر الذي فرض عليهم حصارا بعين ماضي لمدة طويلة¹. كما أن الكتاب و الباحثين الفرنسيين عسكريين و مدنيين في عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر، مع ما كان لهم من قدرة على الوصول إلى أثنى الوثائق و أنذرهما لم يتحدثوا قط عن سجن سيدي أحمد التجاني و جلده من قبل الأتراك.

ب - ظهور الإنفعال عليه من خلال كلامه و خروجه عن اللياقة والصواب و هما صفتان ملازمتان لرجال العلم و الحكمة مثل أبي القاسم الزياني.

ج - موقفه السلبي من زميله المؤرخ محمد أكنسوس²، إما لأنه كان يعتبره أقل منه علما و دراية و إما بسبب خصومات المهنة بفعل انخراطهما معا في خدمة الدولة المغربية بشكل متزامن و اشتعال نار الغيرة و الحسد بينهما خوفا من المنافسة مما جعل كلا منهما يحاول الايقاع بالآخر عوض التعاون و التكامل فيما بينهما، لكن السبب الحقيقي الذي يبدو كامنا وراء موقف أبي القاسم الزياني السلبي من زميله أكنسوس، هو في نظرنا انتماء هذا الأخير للطريقة التجانية. و لعل شعور هذا الأخير بإهانة

1 - Arnaud (M.). Siége d'Aïn Madi par El hadj Abdelkader Ben

Mohi Ed-Din. Revue africaine. Année 1864. p. 354 et ss. pp. 435 et ss.

2 - ليفي بروفنصال، م.س.ص 103.

الزياني له في أيام سطوته هو الذي جعله يصفه بأقبح الأوصاف بعد وفاته، في جيشه¹.

د - موقف أبي القاسم الزياني المعادي للوهابية²، و لمن دار في فلكها، و بما أن تعاليم الطريقة التجانية تحرم على مريديها زيارة الأضرحة و التوسل بها، كما تدعو إلى التخلي عن إقامة الحفلات و المواسم و ما يرافق ذلك من تقديم للأضحيات و الهدايا التي غالباً ما تساهم في إماتة السنة و إحياء البدعة، فإن الزياني عد التجانية طائفة وهابية و فرقة ضالة رغم ما ذهب إليه البعض من كون أبي القاسم لم ينكر محمد بن عبد الوهاب و إنما انتقد تصرفات سعود بن عبد العزيز (المعروف بسعود

1 - يظهر عداء الفقيه أكنسوس، لأبي القاسم الزياني، في عدة صفحات من مؤلفه الجيش العرمرم، و نخص بالذكر منها الصفحات، 293 - 205 - 207 - 224 - 259 - 260 - 287 - 289 - 290 - 292 من الجزء الأول المحقق، و نمثل لذلك بالنص التالي الذي يجهل فيه خصمه الزياني ويكفره:

«... و الذي أوقع الزياني في أمثال هذا في كثير من المواضيع في كتابه هذا، و في غيره من تقايبه التي نجس بها هذه الدولة الطاهرة، إنما أداه إلى ذلك الجهل المركب، فإنه أحد الأصول التي هي أصول الكفر كما ذكره الإمام السنوسي رضي الله عنه في المقدمات و شرحها ...» انظر:

محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا السجلماسي، تقديم و تعليق أحد حفدة أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة و الوراقة الوطنية مراكش 1994، الجزء الأول، ص 293.

2 - نفس المصدر، ص 289.

- أبو القاسم الزياني، م.س، ص 461.

الكبير) الذي ارتكب سنة 1814 أعمالاً شنيعة ضد أهل البيت الحرام¹. هـ - احتمال شعور أبي القاسم الزياتي بعدم الارتياح من الرعاية التي شمل بها السلطان مولاي سليمان الشيخ سيدي أحمد التجاني، بعد أن تحدى خصومه و أفحمهم بأجوبته العلمية الدقيقة و آرائه الفقهية الحصيفة، نبرهن بذلك على علو كعبه و سمو همته في علمي الظاهر والباطن. و في مقدمة هؤلاء الخصوم الفقيه الطيب بنكيران صاحب الصدارة في المجالس العلمية السليمانية².

و - استمراره في بذل الجهد للإيقاع بالشيخ سيدي أحمد التجاني وتشويه صورته و إفساد سمعته أمام الخاصة و العامة محاولة منه على ما يبدو لإثارة ضغينة السلطان ضده على مجردة من الإمتيازات المادية والمعنوية التي كان خصه بها. و نستشهد على ما قام به الزياتي في هذا الصدد بما قاله عن خصمه بعد دخوله إلى فاس و نجاحه في كسب عطف السلطان، بأنه لما اجتمع مولاي سليمان بهذا الشيخ و رأى تقشفه وزهده ظن أنه من أهل العلم و الزهد، و على فرض علمه فإنه ممن قال فيهم الإمام السنوسي في مختصره «التقدم بمعالى الأمور قبل اتقان

1 - نفس المصدر، ص 460. هامش I.

2 - أحمد سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، في من تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، قدم له و ترجم للمؤلف مقدم الزاوية التجانية الكبرى بفاس العلامة إدريس العراقي الحسيني، مطبعة الامنية الرباط. 1975، ج 4، ص 10.

أصولها و ضبط طرقها، عجلة و شهوة نفسانية توجب لصاحبها الفضيحة دنيا و أخرى. و كثيرا ما يغتر أصحاب هذه الطريقة بالتخيلات الشيطانية و النفسانية نوما و يقظة و يعدونها كرامات، و هي في الحقيقة استدراج م. زيادة لهم في أنواع الضلالات¹ ...» فهل كان يخشى أبو القاسم الزياني على نفوذه خصوصا بعدما تردد من انخراط السلطان نفسه في الطريقة التجانية أم كان يخشى على المجتمع المغربي ظلامية الطريقة؟

إن المصادر المتاحة في الوقت الراهن لا تسعفنا مع الأسف على الإجابة على مثل هذه الأسئلة. بل مما يؤسف له حقا أن سيدي أحمد التجاني، عاصر كلا من أبي القاسم الزياني، و محمد أكنسوس، و الطيب بنكيران، و سليمان الحوات، و غيرهم من الأعلام الذين كان يقام لهم ويقعد في المجال الفكري على عهد مولاي سليمان، ولم يخلف أي أحد منهم ما يشفي الغليل عن حياة هذا الشيخ الذي عاصرهم و جالسهم وأخذ عنهم و أخذوا عنه سواء في جامعة القرويين أو خارجها. هل يمكن اعتبار صمت المصادر عن كل أثر يتعلق بسيدي أحمد التجاني نتيجة طبيعية للعمل التشهيري ضد التجانية بصفة خاصة و الطريقة بصفة عامة و تحميلها مسؤولية تأخر الشعوب الإسلامية. وإذا كان هذا هو حكم أبي

1 - أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى، م.س.ص 461.

القاسم الزياني على التجانية و شيخها، فإن عددا من الباحثين لا يشاطرونه نفس الرأي و في مقدمتهم جاك بيرك J. Berque الذي يرى أنه في إطار صراع الحضارات كان الضعف هو السمة الغالبة على الدول الإسلامية المتوسطة في هذه الفترة باستثناء بعض النقاط المضيئة التي كانت تعيد الروح للجسم العربي الإسلامي المتداعي كاسترجاع المغرب للبريجة من البرتغاليين عام 1769 و تحرير الأتراك لوهرا من الإسبان عام 1792¹.

لكن بعد ست سنوات سوف تهتز مصر و معها العالم العربي الإسلامي تحت ضربات نابليون سنة 1798، و هو التاريخ نفسه الذي حل فيه الشيخ سيدي أحمد التجاني بفاس، و ما تلا ذلك من تهديد استعماري لباقي البلدان الإسلامية المتوسطة، التي ستنتهي بالسقوط في أحضان الإستعمار خلال القرن 19 و بداية القرن العشرين، فهل يتحمل التصوف وحده مسؤولية ما حصل من تأخر و انحطاط؟ إن الباحثة جاك بيرك، على عكس ما ذهب إليه المؤرخ أبو القاسم الزياني، قد رد الاعتبار في اعتقادنا، للعلامة الصوفي سيدي أحمد التجاني، وكأنه لمس الإجحاف الذي لحقه من قبل معاصريه من الأدباء و المفكرين، فأصدر في حقه أحكاما من شأنها إنصافه ونعوتها هدفها تكريمه فأكد أن المغرب كان قد دخل في

- Berque (J.) op. cité. p. 241. – 1

سباته قبل قيام الطريقة التجانية، من غير أن تستطيع صفوة علمائه ودهاقنة ساسته أن تجنبه ذلك المصير المظلم، ومن غير أن تتأثر بالتحويلات الحاصلة بأوربا المجاورة، وما عرفته من تقدم وازدهار. وعلى النقيض من ذلك، فقد وجد جاك بيرك في الشيخ التجاني الشاعر الصوفي الصادق¹، والعقلاني المستنير، الذي رفض طريقة الفلكلور مثلما كانت عليه الدرقاوية²، وهو الذي في نظر بيرك، ابتعد عن رقابة التفسير التقليدي الجامد معتمدا في ذلك على تكوينه العلمي المتين. وعوض التفسير الفقهي المنحط بالنسبة لعصره، لجأ إلى تفسير ذي تصور غنوصي، وهو شيء لا يمكن أن يقوم به إلا الراسخون في العلم. وهذا يفسر، تبعا لنفس المصدر، سبب شغل تفسير القرآن الكريم لخمس كتاب جواهر المعاني الذي جمع فيه علي حرازم برادة كل ما فاه به شيخه من أذكار وأوراد وأحاديث وتفسير وأجوبة وغير ذلك.³ وللبرهنة أكثر على رجحان كفة سيدي أحمد التجاني وتفوقه على علماء وقته تفتحا وعقلانية وتأثيرا في مخاطبيه، يذكر جاك بيرك J. Berque أن هذا الشيخ لم يكن يكتفي بالرهبانية الصرفة ولا بالإيمان الإصطلاحي، ففي أمر له إلى

-Ibid. p. 244.- 1

-I bid. p. 274 - 275 - 2

-Ibid. p. 254. - 3

فقهاء سلا أوصى بنوع معين من الأخلاق يتحدد في عدم الرضى، لكن عدم الرضى على ماذا؟ قد يكون على مستوى الإيمان و على مستوى الأوضاع الإجتماعية المعاشة. يضيف نفس المصدر¹.

و على كل حال فالمستويان المقصودان يرتبط الواحد منهما بالآخر لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. و قد لاحظ بيرك Berque أن هذا الأمر كان أكبر تأثيرا و وقعا في الأنفس من أوامر خطباء الجمعة المكرورة، ذلك أن خطاب سيدي أحمد التجاني كان من النوع الذي يجلو صدأ الأنفس الغير المطمئنة (Insatisfaites). و مع علمه هذا يضيف بيرك، لم يكن هذا الشيخ راضيا بطبيعة الحال على مستوى علماء الوقت، بدليل أنه تساءل عما إذا كان بإمكانهم، قيادة الناس إلى الهداية. و في هذا الصدد أورد جاك بيرك ما ذكره الشيخ التجاني مستشهدا بآبن عربي من أنه لولا وجود علماء الظاهر لنقل الصلحاء من الله ما نقله الأنبياء².

و عندما كان جاك بيرك بصدد مقارنة التجانية بالدرقاوية خلص إلى القول بأن الطريقة التجانية بتحقيقها لاخرافات على مستوى الصفوة من العلماء و رجال السلطة كانت تنشد في عملها الإقناع في حين اعتمدت

1 - Ibid. p. 249.

2 - Ibid. p. 250 - 269.

الدرقاوية في حركتها على كسب التأييد الجماهيري بالقوة والضغط¹. وقد وجد الباحث في هذه الثنائية شبيها لما كانت تعرفه أوروبا في نفس الفترة من صراع بين الليبرالية البرجوازية والارهاصات الاشتراكية الأولى، لكن في أشكال وظروف مغايرة لما كان عليه المغرب².

وهكذا نجد أن محاولة إنصاف الشيخ سيدي أحمد التجاني المجدد³ ولفت الانتباه إلى تميزه في عصره وتفرد به بين أقرانه، أتت من جاك بيرك J. Berque وهو عالم ليس مغربيا ولا عربيا أو مسلما، غير معاصر حقيقة لزمان قيام الزاوية التجانية ولكنه رهن نفسه للبحث عن الحقيقة والجر بها، فأثت شهادته في تصورنا لتنبهنا كمفكرين وباحثين في التاريخ إلى ضرورة الانكباب على التعريف بكل مكونات تراثنا وإعادة قراءة ما تم التعرف عليه بمناهج وتصورات جديدة مؤسسة على النزاهة الفكرية.

إنه شيء محير حقا، و ظاهرة غير مفهومة أن يكتب معاصرو سيدي أحمد التجاني، من الأدباء والمؤرخين عن كل شيء، و يترجموا لكل الأعلام الذين لفتوا انتباههم بحضورهم الفعال في المجالات العلمية والسياسية والدبلوماسية والعسكرية لتخليد أسمائهم في التاريخ،

-Ibid. p. 273.- 1

-Ibid. p. 281.- 2

-Ibid. p. 265.- 3

دون أن يحظى هذا الفقيه الصوفي بأقل عناية منهم باستثناء ما كتب عنه تلامذته و مريدوه في المغرب و السودان الغربي، و خارج دراسة جاك بيرك.

لقد حاولنا من جهتنا و تعمدا النبش في هذا الموضوع و الحفر فيه علنا نعثر على ما يمكن أن يسلط مزيدا من الأضواء على بعض جوانب هذه المعلمة العلمية و الصوفية و السياسية فطفنا على الخزانات و المكتبات واتصلنا ببعض الشخصيات سواء داخل الزاوية التي تأوي ضريح سيدي أحمد التجاني أو خارجها، و من بين هذه الشخصيات التقينا بأحد أحفاد الشيخ المسمى سيدي محمود و الذي أدلى لنا بحديث خصنا به يوم 21 دجنبر 1995 داخل الزاوية، لا يضيف شيئا في مضمونه إلى ما يوجد في جواهر المعاني لعلي حرازم برادة، و الجامع لما افترق لمحمد بن المشري، إلا أنه نصحني بضرورة الإتصال بالأستاذ الحاج ابراهيم هان، المالي الجنسية و التجاني الطريقة، المحال حاليا على التقاعد بعد أن عمل كأستاذ للدراسات الإسلامية ب ثانويات مدينة فاس. و قد اتصلنا به بالفعل و وجدنا فيه خير معين لنا في كل ما طلبناه منه من إيضاحات و تزويد بالمصادر القيمة المتخصصة. و لم يظهر قط أدنى تأفف من تكرار زيارتنا التي لا تنقطع إليه إلى اليوم، فالله وحده القادر على منحه أو فر الجزاء على ما قدمه و يقدمه لكل من قصده للإستشارة و الإستنارة و المعرفة، و ما أكثر من يقصده.

و قد حاولنا، من جهة أخرى الإتصال بمقدم الطريقة التجانية العلامة سيدي ادريس العراقي، عله يفيدنا بما يساعد على تسليط مزيد من الضوء على شخصية سيدي أحمد التجاني، لكن لم نحظ بشرف لقائه، لكثرة أسفاره من أجل أداء العمرة في أغلب الأحيان، أو لظروف صحية، لتقدمه في السن في حالات أخرى.

و نعود مرة أخرى، بعد هذه المجموعة من التساؤلات، إلى موضوع الأسباب التي كانت وراء هجرة الشيخ سيدي أحمد التجاني للإقامة بمدينة فاس، فنقول إن أخبار هذه الهجرة كما نقرأها في مؤلفات أخرى تكاد تجمع على السبب المتعلق بسوء معاملة الأتراك لهذا الشيخ. و في مقدمة هذه المؤلفات تحفة الزائر التي يذكر صاحبها متحدثا عن سيدي أحمد التجاني: «أنه لما شاع أمره في وطنه و خاف من غوائل الحكومة، انتقل بأهله و أولاده إلى فاس، في أيام سلطانها مولاي سليمان»¹، بينما أورد أحمد بن خالد الناصري خبر هذا الانتقال بشكل أكثر تفصيلا مما أورده محمد بن عبد القادر الجزائري، لكن دون بذاءة لسان الزياني و تشهيره بذوي الصلاح و الفضيلة كما لاحظ ذلك ليفي بروفانسال².

1 - محمد بن عبد القادر الجزائري، م.س.ج. I، ص 11.

2 - ليفي بروفانسال، م.س.، ص 103.

و أهم ما يستفاد من كلام الناصري، بخصوص هذه المسألة، أن سيدي أحمد التجاني بعد وصوله إلى فاس بعث برسالة إلى السلطان مولاي سليمان يخبره بأنه التجأ إليه من جور الترك و ظلمهم و استجار منهم بأهل البيت الكريم، فقبل العاهل طلبه و أذن له في الدخول عليه والحضور بمجلسه. و لما اجتمع به «و رأى سمته و مشاركته في العلوم أقبل عليه و اعتقده و أعطاه دارا معتبرة من دوره ¹...».

و هذه المعلومات المتعلقة بترحيب مولاي سليمان به تتطابق تماما مع مضمون كل المؤلفات التجانية بخصوص هذه المسألة. و من أشهر المؤلفات الاستعمارية التي اهتمت بالزوايا في الجزائر و المغرب و إفريقيا جنوب الصحراء، نخص بالذكر أعمال لويس رين ² Louis Rinu و كزافيي كوبولاني Coppelani Xavier باشتراك مع أوكتاف ديون ³ Octave Dé- pont والفونص كويي ⁴ Alphonse Gouilly مارسيل سيميان ⁵ Marcel Sémiان و البارون ديستورنيل ⁶ Le Baron d'Estournelle، ورغم أن

1 - أحمد بن خالد الناصري، م.س.ج 8، ص 105.

2 - Rinn (L.) op. cité. p. 420.

3 - Coppelani (X.) et Octave (D.) op. cité. p. 418.

4 - Gouilly (Alphonse.) op. cité. p. 108.

5 - Sémiان (M.) op. cité. p. 77.

6 -==Baron d'Estournelle de constant, les congrégations religieuses

بعضها ينقل عن الآخر في غالب الأحيان فإنها تجمع على أن سبب رحيل سيدي أحمد التجاني إلى فاس كان ناتجا عن مضايقة الأتراك، و لا تشير بتاتا إلى احتمال سجنه أو جلده من قبل بايات الجزائر، مع ملاحظة الخطأ الذي وقع فيه الفونس كويي Alphonse Gouilly و عدم دقته في تحري الأخبار عندما ذكر أن سيدي أحمد التجاني كان رجل حرب أكثر منه داعية إلى الخير و السلام و الحب الإلهي¹. في حين اكتفى بوني موري Bonnet Maury بتقديم خبر انتقال الشيخ التجاني إلى فاس دون الإفصاح عن سبب ذلك².

و بناء على ما سبق من استدلالات يمكن القول إن المؤرخ أبا القاسم الزباني، أو من نقل عنه و هذا حذوه كابن الأعرج السليماني³، هو الوحيد

chez les Arabes et la Conquête de l'Afrique du Nord. Paris 1887.==
pp. 34 à 38.

1 - Gouilly (A.) op. cité. p. 109.-

2 - Bonnet (Maury). L'Islamisme et le Christianisme en Afrique, -
Paris. 1906. pp. 242-243.

3 - محمد بن الأعرج السليماني، اللسان المعرب عن تهافت المعمرين حول المغرب
مخطوط الخزانة الحسنية الرباط، رقم 297، ص 434 - 435.

و من المعلومات التي انفرد بها ابن الأعرج بخصوص الشيخ التجاني سبب دخوله السجن،
و سبب إطلاق سراحه: «فقبض عليه و أودع السجن بمدينة تلمسان ... و تركب
مجلس من العلماء في شأنه و أفتى بعضهم بزيغه، و توقف الآخرون معتمدون
أن المقالات الصادرة عنه هي من جملة الشطحات المعرفية، تصدر عن =

الذي انفرد بإيراد أخبار تعايطي سيدي أحمد التجاني للشعوذة ودخوله السجن و جلده على يد الأتراك، مما أجبره على مغادرة البلاد و اختيار المنفى بفاس، إلا أنه كيفما كانت أسباب و ظروف هذه الهجرة، و مهما تضاربت الآراء حول هذا الموضوع، فإن الشيء الثابت و الأكيد هو أن الشيخ التجاني حل فعلا بالعاصمة الإدريسية و لقي ترحابا كبيرا من قبل السلطان المولى سليمان.

II - تأسيس الزاوية التجانية بمدينة فاس

1 - إعجاب السلطان المولى سليمان بشخصية سيدي أحمد التجاني و انعامه عليه:

حل سيدي أحمد التجاني بمدينة فاس مع جماعة من ذويه ومساعديه

= أرباب الأحوال من فحول الرجال». و جاء سبب خروجه من السجن، حسب نفس المصدر، على يد الشيخ البوزيدي تلميذ أبي محمد العربي الدرقاوي الذي حل بتلمسان لزيارة أبي مدين شعيب، و عندما حل بمسجدها الأعظم وجد بداخلها مجلس العلماء المشكل من قبل الحكومة التركية للنظر في قضية سيدي أحمد التجاني و ادعائه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما، ولما تعرف العلماء على الشيخ البوزيدي و مرافقيه، استحسنوا طلب رأي هذا الأخير في النازلة، فطلب منهم إحضار سيدي أحمد التجاني و الاستماع إليه، فتم له ذلك و بعد مذاكرة و أسئلة أجاب عنها الشيخ التجاني: صرح الشيخ البوزيدي لمجلس العلماء «أن الرجل محق في دعواه...» فأذن المجلس المذكور لهذه الفتوى و أطلق سراح التجاني: نفس المصدر، ص 435.

يوم الإثنين 6 ربيع الثاني 1213/ 1798 و كان في رفقته خليفته سيدي الحاج علي حرازم برادة الذي أنزله بدار آبائه وأجداده الواقعة بحي درب الطويل رقم 20¹. و مكث بها قبل أن ينتقل لدار المرايا التي سيأتي التفصيل في شأنها في المكان المناسب من هذا المحور.

و طيلة المدة التي قضاها ضيفا في منزل أقارب علي حرازم برادة، و قبل أن يشتهر أمره كان يلقي الدروس العلمية بمسجد الديوان²، و يسلط الأضواء على ما يطرحه السائلون من قضايا مختلفة دينية و دنيوية. و مع مرور الأيام بدأ نجمه يسطع و أخباره تنتشر في كل أرجاء المدينة، فقصده عدد كبير من الطلبة و المهتمين بتعميق معارفهم في علمي الظاهر و الباطن. و يبدو أن الإرتسامات الطيبة التي خرج بها كل من حضر دروسه و استمع إلى شروحه و أجوبته، و ما كان لها من أثر فعال في ذبوع أخبار أهمية شخصيته العلمية و الدينية في كل الأوساط هي التي كانت وراء لفت أنظار السلطان مولاي سليمان أيضا إليه.

و طبقا لما ورد في مصادر تجانية دون غيرها فإن عالمين تجانيين بارزين من بين العلماء الذين كانوا يحضرون في الدروس السلطانية هما

1 - علي حرازم برادة م.س.ص 44.

- أدريس العراقي م.س.ص 22.

2 - أدريس العراقي م.س.ص 23.

اللذان نقلًا خبر الشيخ التجاني إلى العاهل المغربي ويتعلق الأمر بالعلامة الشيخ عبد القادر بن شقرون (ت 1219) و العلامة الشيخ العباس بن كيران. كان العالم الأول من أجل علماء وقته، مارس مهنة القضاء بسجل ماسة وفاس، و اصطفاه السلطان من أجل علمه و ورعه إلى جانبه ضمن أكبر شيوخ الحضرة السليمانية¹. و في إحدى جلسات العلماء مع السلطان أثير الحديث حول الشيخ سيدي أحمد التجاني، فاختلفت الآراء حوله و وجد من أطال لسانه فيه و تكلم عنه بسوء كالطبيب ابن كيران (ت 1227) خوفًا ربما من أن يحظى بالتصدر لدى السلطان، فيشمله بالرعاية و الإكرام، مما جعل الشيخ عبد القادر بن شقرون يخرج عن صمته ليقر بفضل الشيخ التجاني، و ينوه بعلمه و تبحره في علمي الشريعة و الحقيقة.

و بعد هذه الشهادة الصادرة عن من يعتبر في العلم حجة و في القضاء عمدة، توقف كل اعتراض، و ذهل أمام هذا الواقع ذاك الذي تزعم الانتقاد². العالم الثاني هو الشيخ العباس بن كيران أحد علماء الحضرة السليمانية أيضا. كان قاضيا بمكناس، و حظي بتعيينه من قبل السلطان عضوا ضمن الوفد المتوجه للديار المقدسة، لأداء فريضة الحج سنة 1226/1811 نيابة عنه.

1 - ادريس العراقي، م.س.ص 23 - 24.

2 - نفسه.

عندما أعطيت الكلمة لهذا العالم، في حضرة السلطان أخذ ينوه بقدر الشيخ التجاني، ويرفع من شأنه، فضم صوته إلى صوت عبد القادر بن شقرون، ليقتنع المولى سليمان بأهمية هذا الولي العلمية والدينية، ثم قرر دعوة سيدي أحمد التجاني ليحضر في مجالسه السلطانية، ورخص له في الكلام بين يديه فامتثل الشيخ لأمر السلطان وأظهر من العلوم العقلية والنقلية ما أبهر به الحضور وجعل المنكرين عليه يتراجعون عما هم عليه من الغرور¹. وقد انفرد الفقيه التجاني أحمد سكيرج (ت 1363/1944) بخبر المساجلة الفكرية بين سيدي أحمد التجاني وعالم الحضرة السلطانية الطيب بن كيران، في كتابيه «كشف الحجاب» و«رفع النقاب بعد كشف الحجاب»، ورغم أن المدة الفاصلة بينه وبين عصر سيدي أحمد التجاني، تقدر بحوالي قرن من الزمن، مما يقلل من أهمية ما ساقه من معلومات بخصوص هذه المساجلة (المبارزة) فإن الشيء الذي يضيف عليها بعض المصادقية، مع ذلك هو نقله عن رواة ثقات يتصل سندهم بسيدي أحمد التجاني، ومعاصرته لبعض المخلصين منهم، واهتمامه الكبير بالنبش في التراث التجاني وتتبع خباياه وأسراره مما أكسبه خبرة كبيرة في معرفة تعاليم الطريقة ومقاصد أدبياتها، خصوصاً تلك المنسوبة إلى الشيخ المؤسس أو لمن كان ينطق باسمه كعلي حرازم برادة أو

1 - المصدر نفسه، ص 24.

ابن المشري.

يقول أحمد سكيرج من خلال كشف الحجاب بخصوص المبارزة الفكرية المشار إليها أنفا ما يفيد أن السلطان مولاي سليمان كان يجمع بحضرته كبار علماء عصره للمذاكرة في العلوم والتفسير، وكان من جملة من يحضر معه من الشيوخ الكبار الذين أخذ عنهم السلطان نفسه الشيخ الطيب بن كيران، والشيخ عبد القادر بن شقرون (ت 1219) والشيخ حمدون بن الحاج (ت 1232) وغيرهم. واتفق أن حضر سيدي أحمد التجاني معهم بعد قدومه إلى فاس، وكان موضوع درس ذلك اليوم ينحصر في تفسير سورة الناس فشرع الشيخ الطيب بن كيران يتكلم على عادته بحضرة السلطان فأبدى وأعاد وظن أن بما أبداه ليس له في العلم مثيل، ثم التفت السلطان إلى الشيخ التجاني وقال له: ماذا يقول الشيخ في هذه الآية؟ فشرع سيدي أحمد التجاني في شرح السورة بطريقة نالت إعجاب الحاضرين خصوصا عندما تطرق لمسألة كان الطيب بن كيران قد أطنب فيها، وذكر أن ما قاله ذلك المفسر ليس بصواب فاستشاط الطيب بن كيران غضبا وقال مخاطبا الشيخ التجاني «اتعترض علينا وقائل هذا فلان و فلان من المفسرين، وأغلظ في القول¹» فأجابه سيدي أحمد التجاني: «ليس الكلام معك أنت ولا تكن كمن يحمل الأثقال، ما حملوك تحمله،

1 - أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س.ص 491 - 492.

و إنما الكلام مع هؤلاء المفسرين¹ . و استمر يوضح وجه الصواب بالأدلة النقلية و العقلية إلى أن ظهر الحق لكل مرتاب و ذلك بمرأى من السلطان. و بعد أن انفض المجلس تكلم المولى سليمان مع الباقيين و قال لهم : ماذا تقولون في سيدي أحمد التجاني؟ فقالوا : و الله إن قوله لصواب. فاضمرها الشيخ الطيب في نفسه منذ ذلك الوقت، إلى أن وقع منه في جانب الشيخ ما وقع، و إلى هذا الحد ينتهي، بتصريف، قول أحمد سكيرج في كشف الحجاب حول المعركة الحامية بين العلامة الطيب ابن كيران و سيدي أحمد التجاني.

نفس الخبر ورد في «رفع النقاب بعد كشف الحجاب»، و هو الكتاب الذي ألفه سكيرج من الناحية الزمنية في وقت لاحق، بعد (كشف الحجاب)، و قد أورد الخبر المذكور هنا بشكل مختصر و بدون أية إضافة مهمة باستثناء ما نقرأه له في هذا الكتاب من أن الشيخ الطيب بن كيران منذ الحادثة المعلومة «الجم بلجام لم يدعه أن ينطق بمحضر الشيخ خشية فضيحته بحيث صار يتطرق إليه الريب فيما كان يحققه من العلوم الالوية و العقلية و النقلية... فكان عند حضور الشيخ بعد ذلك لا يفوه بكلمة، و إن خلا له الجو يلمز الشيخ بأنه يريد التصدر للمشيخة و تلقين

1 - نفسه.

الأوراد الملفقة¹...» فهل مثل هذا الكلام هو نوع السوء الذي ألحقه الطيب ابن كيران بسيدي أحمد التجاني؟

من المشاكل التي تطرح أمام الباحث في التراث التجاني بشكل عام، علاوة على قلة المصادر، غير المؤلفات التجانية، خلو معظم الوثائق من التواريخ التي تحدد الزمان الذي كتبت فيه بشكل دقيق باستثناء البعض منها. و مثل هذه الإشكالية هي التي تجعلنا غير قادرين بشكل يقيني على إثبات ما إذا كانت المبارزة الفكرية بين الفقيه الطيب بن كيران و الشيخ أحمد التجاني وقعت قبل بناء الزاوية التجانية بعناية هذا الأخير أم قبل ذلك، وإن كانت بعض الدلائل تدل على أن ما حدث بين الشيخين كان سابقا عن قيام الزاوية. من هذه الدلائل أن مولاي سليمان سيتعرف لأول مرة على الشيخ التجاني من خلال مشاركته في الدروس العلمية بالحضرة السلطانية، وهي الدروس التي كانت سببا في تصادم العالمين، كما أن المساعدة و العطف اللذين حظي بهما الشيخ التجاني من قبل المولى سليمان لم تتحقق إلا بعدما برهن عنه هذا الشيخ من تجذر في العلم و الولاية و الصلاح و هو ما يساعد على بناء الزاوية و دعمها ماديا و معنويا ضد كل الأعداء و المغرضين.

1 - أحمد سكيرج، رفع النقاب، م.س.ج. 4، ص 11.

و ما أن نتجاوز مشكلة حتى تعترضنا أخرى مرتبطة أيضا بتاريخ الوثائق، إذ الرسالة التي بعث بها سيدي أحمد التجاني إلى المولى سليمان حين وصوله إلى فاس، لا تجهل تفاصيلها فحسب و لكن خالية من التاريخ الذي أرسلت فيه، هل تم إرسالها قبل حادثة اصطدام الشيخ التجاني بالفقيه الطيب بن كيران أم بعد ذلك؟ وإن كنا نرجح أن تكون هذه المراسلة وقعت بمجرد وصوله رفقة علي حرازم برادة و ذويه إلى مدينة فاس، لأن واجب الاحترام و الاستئذان، كان يفرض ذلك خصوصا و أنه يريد الإقامة بصفة نهائية داخل نفوذ التراب السلطاني في ظروف حرجة من جراء المضايقات التي مارسها ضده السلطات العثمانية.

و قبل أن نتطرق لموضوع هذه الرسالة و أخبارها الممهدة و المفضية لظروف قيام الزاوية لابد من الإشارة إلى التباين المسجل بين هذا المصدر أو ذاك حول السنة الحقيقية التي وصل فيها سيدي أحمد التجاني إلى مدينة فاس، فصاحب جواهر المعاني أورد أن السنة التي وصل فيها الشيخ إلى هذه المدينة هي سنة 1213 هـ / 1798 م وعنه نقل كل من كتب عن التجانية بعده¹، لكن صاحب الاستقصاء يرى أن سنة 1211 / 1796 التي استرجع فيها مولاي سليمان مدينة وجدة هي نفس السنة التي حل فيها سيدي أحمد التجاني بفاس². في حين تحدث أبو القاسم الزياني وهو المعاصر للفترة

1 - علي حرازم برادة، م.س. ج I، ص 44.

2 - احمد بن خالد الناصري، م.س. ج 8، ص 104.

التي تهمنا عن خبر وصول الشيخ التجاني إلى فاس دون الإشارة إلى تاريخ هذا الوصول¹.

و من البديهي أن المصدر الأكثر مصداقية هو (جواهر المعاني) الذي كتبه خليفة الشيخ التجاني واحد أعز أحبائه، علي حرازم برادة الذي كان يسجل كل أقوال و أعمال شيخه في حينها.

و بغض النظر عن التعقيم الاخباري الذي فرضته قلة الوثائق أو عدم دقة الموجود منها، بخصوص بعض النقاط التي وقفنا عندها لابداء رأينا فيها، فإن المادة المصدرية مع قلتها تسمح لنا بتتبع خيط الأحداث الممهدة لقيام الزاوية التجانية، وهكذا و في الظروف التي وصل فيها سيدي أحمد التجاني إلى فاس، نفترض أن أول شيء قام به هو توجيه رسالة إلى السلطان مولاي سليمان، و لعل هذه الخطوة الأولى التي نقدر أنها كانت ناجحة هي التي مهدت له الطريق لحضور مجالسه العلمية و لفت الانتباه إليه بفضل علو كعبه في العلوم العقلية و النقلية، و ظهور إمارات الولاية و الصلاح عليه، و في تصرفاته مما جعل السلطان يغدق عليه أودية الإكرام و الإنعام.

لكن هل يمكن رد هذه الحفاوة و الانعام من قبل المولى سليمان، تجاه سيدي أحمد التجاني إلى صلاح هذا الأخير و كفاءته العلمية فحسب ؟

1 - أبو القاسم الزياني، الترجمانة ... م.س. ص 460.

أم هناك أسباب سياسية وإيديولوجية تقف وراء ذلك؟ كان من الممكن أن تتوفر بعض عناصر الجواب على هذه الأسئلة لو وصل إلينا نص الرسالة التي وجهها الشيخ التجاني إلى المولى سليمان بكاملها، ولو كتب علي حرازم برادة أو الزياتي أو أكنسوس شيئاً عن خلفيات ترحيب العاهل المغربي باللاجئ التجاني، غير أن شيئاً من هذا كله لم يتم، لماذا؟ الله وحده يعلم. و المحير في الأمر أن علي حرازم برادة الذي التقط كل ما كان يفوه به شيخه لم يقل شيئاً لا عن الرسالة المشار إليها ولا عن استقبال مولاي سليمان للشيخ التجاني.

و الواقع أن بعض المصادر تردد خبر الرسالة التي وجهها سيدي أحمد التجاني وموضوعها دون أن تتعرض لتفاصيل نصها، فهذا أبو القاسم الزياتي المعاصر لسيدي أحمد التجاني اكتفى بالقول بأن هذا الأخير «... كتب لأmir المؤمنين يتلطف ويتذمّم له ويتعطف ووصفه له الرسول بالعلم و الصلاح، و الزهد و العفاف والفلاح¹». و نقراً لأحمد بن خالد الناصري المتأخر عن الزياتي، بأن نفس الشخص لما حل بفاس ودخلها «بعث رسوله بكتابه إلى أمير المؤمنين المولى سليمان يعلمه بأنه هاجر إليه من جور الترك وظلمهم واستجار منهم بأهل

1 - أبو القاسم الزياتي، الترجمانة ... م.س. ص 461.

البيت الكريم¹». و مما يسترعي الانتباه، بخصوص هذا العنصر أن الفقيه محمد أكنسوس التجاني الطريقة، الذي عاصر المولى سليمان و الشيخ التجاني لم يتطرق لا في كتابه الجيش و لا في غيره إلى انتقال شيخه إلى فاس و ما يرافق هذا الانتقال من معلومات كالرسالة التي نحن بصدد الحديث عنها. و على نهجه صار كل من العربي بن السايح و احمد سكيرج و النظيفي و غيرهم و ذلك راجع على ما يبدو إلى كون أشياخهم الأوائل في الطريقة التجانية مثل علي حرازم برادة و ابن المشري و محمد الطيب السفياياني لم يكتبوا شيئاً عن هذه المراسلة الأولى بين شيخهم و ملك البلاد.

وأيا كان الأمر فإن الشيء الثابت هو أن المولى سليمان رحب بسيدي احمد التجاني، و قد يكون سبب هذا الترحاب رسالة الاستعطاف التي وجهها إليه، و قد يكون بسبب ذلك المستوى الرفيع الذي برز به أمام أقرانه علاوة على مقام الولاية و الإصلاح الذي خصه الله به. و قد تكون هذه العناصر مجتمعة هي التي جعلت العاهل المغربي يبادر إلى الترحيب بضيفه. و مع ذلك فإننا لا نستبعد عوامل أخرى إيديولوجية و سياسية انضافت إلى العوامل السابقة لتصنع حدث اندماج سيدي أحمد التجاني ضمن النخبة المؤثرة في المحيط العلمي و الديني و السياسي للسلطان.

1 - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا، م.س.ج. ص 105.

و يدعم طرحنا هذا عدة مؤشرات أهمها:

أ- كون هجرة هذا الشيخ إلى فاس شكلت مهانة للأتراك و تشريفا للمغرب، ففي الوقت الذي ينعت فيه سيدي أحمد التجاني الأتراك بالكفر¹ و يدعو الله بسقوط دولتهم² لأنهم اضطهدوه ولم يعتبروا حرمة، نجده من خلال الرسالة التي وجهها إلى المولى سليمان «يعلمه بأنه هاجر إليه من جور الترك وظلمهم، واستجار منهم بأهل البيت الكريم»³.

و بما أن سيدي أحمد التجاني يعتبر نفسه من سلالة الرسول صلى الله عليه و سلم فإنه يلمح من خلال هذا المقطع من رسالته أنه لا يعرف قيمة هذا النسب و لا يدافع عن شرفه إلا أهله المنتسبون للدوحة النبوية الشريفة، و التي تمثل الأسرة العلوية أحد فروعها الوارفة، و بذلك فهو قد أتى في الحقيقة يطلب الحماية من أسرته و يعرب عن رغبته في الاندماج بين ذويه ضد مضطهديه، و بصفته أيضا عربيا شريفا مغربيا، يرى أن الوقت أنف بالنسبة له ليرجع إلى أصله، باعتبار أن جزءا كبيرا من الصحراء الشرقية، بما في ذلك أبو سمغون و عين ماضي و الأغواط، كان

1 - محمد الطيب السفيني، الإفادة الأحمدية، م.س.ص 49.

2 - أورد محمد الطيب السفيني (حرفيا) نص ما فاه به سيدي أحمد التجاني في هذا الشأن.

«الله يسدها في وجوههم كما سدت جزيرة الأندلس». انظر: نفسه، ص 74.

3 - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا، م.س.ج 8، ص 105.

تابعاً للمغرب حتى مطلع القرن التاسع عشر علاوة على أن المغربين الأوسط والأدنى شكلاً جزءاً من الإمبراطورية المغربية على مدى عدة قرون، ونظراً لكون أجداده الأولين هاجروا من المغرب واستقروا بعين ماضي كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وإذا كانت هذه هي رغبة الشيخ التجاني وهذا هو هدفه، فيبدو أن المولى سليمان وجد في هذه الفرصة من الناحية السياسية بعض ما يخدم مصالحه، لأنه كان في حاجة إلى إقلاق راحة أتراك الجزائر الذين طالما راودتهم أحلام السيطرة على المغرب عبر حدوده الشرقية، والعمل على خلق المتاعب لهم، فرغم أنه تمكن من استرجاع وجدة وبعض المناطق المجاورة لها رغماً عنهم، ورغم حسن النية التي برهن عنها تجاههم عندما نزل بكل ثقله لإخماد الثورة الدرقاوية ضدهم، ورفض بيعة أهل تلمسان¹، فإنه مع ذلك لم يكن يأمن شرهم، وفي هذا السياق يأتي ترحيبه بالشيخ التجاني الذي ترك وراءه بتلمسان وأبي سمغون وعين ماضي والأغواط موجة عارمة من السخط ضد الأتراك، نظراً للاضطهاد الذي مارسوه ضد التجانيين وشيخهم في هذه الأقاليم، وبسبب الجبايات

1 - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا، م.س.ص 109 وما بعدها.

- محمد بن الأعرج السليمانى، اللسان المغربى عن تهافت المعمرين حول المغرب، م.س.ص

427 وما بعدها.

الثقيلة التي فرضوها عليهم¹. وإذا أخذنا بعين الاعتبار تدمير أعراب تلمسان وهران الملتفين حول شيوخ الدرقاوية² من حكم الأتراك، و نفور أتباع الشيخ التجاني منهم بالمناطق السالف ذكرها، يمكن أن نتصور مدى التوتر الذي يسود جزءا مهما من المغرب الأوسط و مدى الإحراج و الإرباك اللذين أصيبت بهما الطغمة التركية الحاكمة التي انشغلت بذلك عن تجديد أطماعها في المغرب، بل زاد وضعها في هذه الإيالة تدهورا و ضعفا إلى أن سقطت الجزائر في قبضة الاستعمار الفرنسي منذ سنة 1830.

ب - اعتبار التجانية طريقة صوفية مساندة للمغرب و معادية لأتراك الجزائر المؤيدين من قبل الزاوية القادرية، و هذا التأييد واقع و حقيقة نقرأ أخباره في العديد من المصادر ليس في العصر العلوي و عصر مولاي سليمان على وجه التحديد فحسب بل منذ القرن السادس عشر الميلادي، وللتأكد من هذا القول، يكفي الرجوع على سبيل المثال إلى كتاب تاريخ المغرب المحرر بالفرنسية من قبل مجموعة من المؤلفين³، ثم كتاب أطوار العلاقات المغربية العثمانية للدكتور إبراهيم شحاتة⁴، علاوة على موجز

1 - Coppolani (X.). et Octave (D.). op. cité. p. 418.

2 - Rinn (L.). op. cité. p. 416 et ss.

3 - محمد بن الأعرج السليمانى، م.س.ص 428.

4 - Boutaleb (B.). et autres. op. cité. p. 206.

5 - إبراهيم شحاتة، أطوار العلاقات المغربية العثمانية، الاسكندرية، 1981، ص 438.

تاريخ المغرب الديني لجورج دراك G. Drague³، وكذلك كتاب التجانية طريقة صوفية لجميل أبو نصر⁴. والمطلع على هذه الكتب يدرك جيداً أن القادريين سواء في الجزائر أو المغرب كانوا في خدمة الأتراك، و ضد قيام الزاوية التجانية، بل حاربوا بقيادة الأمير عبد القادر التجانيين و هدموا معظم معالم عين ماضي⁵.

و مما يؤكد عدم ارتياح رجال المخزن المغربي على أعلى مستوى لشيوخ الزاوية القادرية بالمغرب عدم انخراط أي منهم في طريقتهم حسب ما نعلم. و نظرا لهذا الموقف القادري المعادي الواضح و البين من السلطة المركزية و من التجانية فإن لجوء سيدي أحمد التجاني إلى فاس و حسن استقباله من قبل السلطان مولاي سليمان كان في مصلحة الطرفين.

ج - انسجام روح تعاليم الطريقة التجانية مع مواقف المولى سليمان المتشبثة بتعاليم الكتاب و السنة و الرافضة لكل أشكال البدع مما جعله يقدم على اتخاذ قرارات جريئة ضد رجال الطرق و . . . يا لما ثبت لديه أن الكثير من ممارساتهم خارجة عن السنة، و من . . . من هذه الاجراءات رسالته المشهورة من إنشائه لخطباء المساجد لكي تقرأ في جموع

1. _ Drague (G.). op. cité. pp. 88-92-93.

2. _ AbuN. Na . . . (J.). op. cité. pp. 63-67-90.

3. _ Ibid. p. 67.

المومنين و تحذرهم من أهل البدع و تنهاهم عن الاجتماع في المواسم
بالإنشاد و الآلة و الرقص¹.

و على عكس ما يراه البعض من أن المولى سليمان تأثر في موقفه
هذا بالتحاليم الوهابية، و أن سيدي أحمد التجاني ساند في ذلك، و دون
الدخول في متاهات الجدل الذي قام بين القائلين بتبني هذا السلطان لأفكار
الوهابية، و بين المنكرين لذلك²، فإننا نرجح أن ما قام به من إجراءات
زجرية ضد بعض الزوايا، لم يخرج عن دائرة مسؤولياته كأمر للمومنين
يفرض عليه الواجب الحفاظ على بيضة الإسلام و التصدي لكل من أراد
الإضرار بها، بمعنى أن عمله هذا يدخل في إطار درء المفسدة و جلب
المصلحة للمسلمين.

كيف يمكن إذن الجزم بأنه تأثر بالتحاليم الوهابية في سياسته تجاه
الزوايا، و هو الأمير الذي تصفه المصادر بكثرة ورعه، و شدة تعلقه
بالكتاب و السنة، ينتقي الأساتذة و مشايخ القراء و أعيان العلماء لشرح
الحديث الشريف و فهمه و تدارسه على مر الليالي، و يشاركهم بغزارة
علمه و حسن ملكته، و هو الأمير الذي « لم يلتفت قط إلى شيء مما كان
يتعاطاه إخوته الكبار و الصغار من أمور اللهو، كالصيد و السماع

1 - أبو القاسم الزياني، الترجمانة، م.س.ص 466.

2 - أحمد العماري، رسالة الوترى في محاكمة السلفية الوهابية بالمغرب، مجلة كلية الآداب
و العلوم الإنسانية، فاس، عدد خاص (2) سنة 1985، ص 355 و ما بعدها.

و معاقرة الندمان، و ما يزرى بالمروءة، و لم يأت فاحشة قط من صغره إلى كبره¹».

أما بالنسبة لمن يرى أن سيدي أحمد التجاني بدوره أيد التعاليم الوهابية بشكل من الأشكال، إما اعتقاداً أو مجاملة للسلطان، فإننا نعتقد أنه بجانب للصواب لعدة أسباب أهمها أن الوهابية معادية للطرقية بكل أشكالها، و لم يثبت لنا من خلال قراءتنا لما كتبه التجانيون أو الوهابيون أو غيرهم أن سيدي أحمد التجاني أو أحد خلفائه التقى ببعض الوهابيين أو حدث تبادل للرسائل بين الطرفين، نوقشت من خلالها أفكار المذهبين، وتم التوصل تبعاً لذلك، لصيغة تعايش مذهبي ما. صحيح أن كلا من التجانية و الوهابية يحارب البدع من إقامة للمواسم و زيارة للأضرحة وغير ذلك، لكن مع احتفاظ كل منهما بمنطلقاتها الفكرية و العقدية الخاصة بكل واحدة منهما. فالوهابية حركة فكرية سنية سلفية حنبلية²، يطبعها التشدد في الالتزام بأحكام الكتاب و السنة إلى درجة التطرف، و لا تعطي أي وزن للتصوف، أما التجانية فهي طريقة صوفية سنية مالكية، ملتزمة أشد الالتزام بمقتضيات و نصوص الشريعة

1 - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا، م.س، ج 8، ص 86.

2 - الشيخ أحمد بن حجر بن محمد آل أبو طامي آل بن علي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عقيدته السلفية، و دعوته الإصلاحية و ثناء العلماء عليه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، د.ت.ص 31 و ما بعدها.

الإسلامية، مع إمام شيخها بعلمي الظاهر و الباطن. و قد روي عن الشيخ التجاني أنه قال : «إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه بميزان الشرع فإن وافق فاعملوا به وإن خالف فاتركوه»¹ و بصفته هذه كعالم عامل وولي صالح، ذي مواهب ربانية و فتوحات إلهية و كرامات سنية، وبصفته شيخاً لعدد لا يحصى من الأتباع، لا يمكن أن يصور الباحث إمكان قبول الوهابيين بأي تعاون مع التجانيين، و عليه فالذي قرب بين وجهات نظر المولى سليمان وسيدي أحمد التجاني، هو تشبثهما معا بتعاليم الكتاب والسنة و محاربة الخارجين عنها بكل الوسائل الممكنة.

د - ورع مولاي سليمان و حبه لكل من أحب الله و رسوله صلى الله عليه و سلم، من أولياء الله و أصفیائه، كسيدي أحمد التجاني، و لا أدل على هذا الحب من انخراط المولى سليمان في الطريقة التجانية و اعتنائه الكبير بشيخها، و إيمانه الشديد بتعاليمها. كما يتضح ذلك من خلال إحدى الرسائل التي وجهها السلطان إلى الشيخ التجاني، و التي يخاطبه فيها قائلاً، بعد البسملة و الصلاة على النبي: «... عوض والدنا، سيدنا و شيخنا و قدوتنا المحمدي أبو العباس سيدي أحمد، أحمد الله و أصلي وأسلم على نبيه الكريم، بلغنا مسطوركم الأبرك و حمدنا الله تعالى

1 - محمد الطيب السفيناني، م.س.ص 13.

على ما خصنا به من رضى مولانا رسول الله¹ ...».

هذه العناصر الأربعة إضافة إلى الأسباب السابقة في اعتقادنا هي التي تفسر سهولة اندماج الشيخ التجاني في المحيط السليمانى و الترحاب الكبير الذي لقيه من قبل عاهل البلاد الذي وقف إلى جانبه بكل الوسائل من أجل بناء زاويته.

2 - تأسيس الزاوية التجانية.

لم تطل مدة نزول سيدي أحمد التجاني بفاس عند أقارب علي حرازم برادة بدرب الطويل. فبعد أن وفق في فرض نفسه على المولى سليمان وأصبح أحد المقربين منه، بادر هذا الأخير إلى منحه دارا من ملكه الخاص تقع بحي زقاق الرواح، المعروفة بدار المرايا ليسكنها مع أسرته². و حول هذا الموضوع، يقول أحمد بن خالد الناصري «... ولما اجتمع به و رأى سمته و مشاركتة في العلوم أقبل عليه و اعتقده و أعطاه دارا معتبرة من دوره كان انفق في عمارتها نحو من عشرين ألف مئقال، ورتب له ما يكفيه³ ...». و يذكر صاحب البغية أن سيدي

1 - أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س.ص 499.

2 - إدريس العراقي، اليواقيت ... م.س.ص 24.

3 - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا، م.س، ج 8، ص 105.

أحمد التجاني امتنع في البداية عن قبول هذا العرض¹ لاعتقاده ربما، في احتمال أن يكون المال الذي بنيت منه ليس مال حلال، فتفطن السلطان لذلك، و أوضح للشيخ أنها ليست من ملك الدولة وإنما هي إرث له من تركة والدته². وبما أن الإرث في الشرع الإسلامي من أنواع الحلال، فإن أسباب الحرج الذي كان يشعر به بدأت تزول. غير أنه لم يشعر بالراحة التامة، وهو يسكن بدار المرايا إلا بعد أن وافقه الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك شريطة أن يتصدق بقدر كرائها على الضعفاء والمساكين. وهذا ما فعله، إذ كان يشتري بالمال المقدر للكرء عند نهاية كل شهر من شهور المدة التي سكن بها خبزاً يوزعه على الفقراء إلى أن توفي³.

ولا حاجة للتذكير هنا أن المصاير التجانية تجمع على أن شيخهم كان يستشير في كل أموره مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وبه كان يهتدي في كل تصرفاته، وقد أسهب سيدي العربي بن السايح القول في هذا الموضوع، من أجل البرهنة على أن كمل الأولياء رضوان الله عليهم، لا

1 - محمد العربي بن السايح، م.س، ص 180.

2 - ادريس العراقي، م.س.ص، 24

3 - نفسه، ص 24.

يفعلون فعلاً إلا بعد استئذانهم فيه من الرسول صلى الله عليه وسلم¹ ،
وإذا كانت هذه هي الظروف التي حصل فيها صاحبنا على مسكن يأويه مع
عائلته بفاس، فكيف تم بناء الزاوية؟

قبل قيام الزاوية التجانية بموقعها الحالي كان سيدي أحمد التجاني
يجتمع مع أصحابه لذكر الوظيفة بباب داره في غالب الأحيان و تارة في
بعض مساجد المدينة إلى أن أمره النبي صلى الله عليه وسلم ببناء الزاوية
كما هو وارد في أكثر من مصدر تجاني² . وحسب المصادر نفسها، فإن
الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي أمره بأن يختار لها أحسن البقاع،
فاختار المكان المعروف الذي بنيت فيه بحومة الدرداس³ وهو المعروف
اليوم بحي البليدة، وقد أدى ثمن القطعة الأرضية (الخربة) المخصصة
لذلك من ماله الخاص الحلال، و استلم منه ثمنها مالكوها من أولاد أكمي.
و من الأمور المرتبطة بهذه البقعة الخربة التي ستبنى عليها الزاوية، ما
أورده أحمد العياشي سكيرج من أنها كانت مهابة لا يستطيع أحد أن يدخلها
وحده، وكان يسمع فيها في بعض الأحيان ذكر جماعي⁴ ، كما كان عدد كبير

1 - محمد العربي بن السايح، م.س.ص 181.

- ادريس العراقي، م.س.ص، 25.

2 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س.ص 20.

3 - نفس المصدر السابق.

4 - نفسه، ص 20 - 21.

من مجاذيب فاس يقصدونه، مما يعني تبعا لهذه الرواية أن هذه البقعة كانت معدة من قبل العناية الربانية لتكون زاوية دون أي شيء آخر. و بما أن سيدي أحمد التجاني، بهدي من الله، كان يتوقع النجاح الكبير لزاويته والإقبال المتزايد من الأتباع و المريدين عليه، فإنه اهتدى إلى شراء ما جاورها من أرض ليصبح في الإمكان الزيادة في مساحة الزاوية. وكانت المساحة المضافة عبارة عن بيت محبس على امرأة، ورغم أن حساده ضغطوا على هذه المرأة لكي لا تحقق رغبة الشيخ التجاني، إلا أنهم فشلوا في ذلك لأن هذا الأخير أرضاها في الثمن بإذن من الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قال له: «... ذلك مكاني لا أحب أن تبقى فيه تبعة لمخلوق»¹.

و عندما اقتنى سيدي أحمد التجاني القطعة الأرضية وأراد الشروع في البناء وقف في وجهه حساده والمنكرون عليه من أهل فاس، وعبروا عن رفضهم لبناء الزاوية، ولعل موقف أهل فاس هذا هو الذي أقلق الشيخ التجاني وجعله يفكر في الهجرة إلى الشام لولا أن «أولياء المغرب أبوا أن يفقدوا من بين ظهرائهم نوره و سناه، فطلبوا من حضرة سيد الوجود ورغبوا إليه صلى الله عليه وسلم في بقاء وجوده العيني،

1 - نفس المصدر، ص 21.

فأجابهم صلى الله عليه وسلم لمطلبهم وأسعفهم بمرغبهم، فأذن له صلى الله عليه وسلم في المقام وعدم الترحال فلم يمكنه إلا الانقياد والامتثال¹ .»

وبغض النظر عن هذا السبب المثالي الغيبي، فإن السبب الموضوعي الذي شجع شيخنا على البقاء بفاس، هو موقف مولاي سليمان الإيجابي منه مرة أخرى، إذ بمجرد اطلاعه على خبر الاعتراض على بناء الزاوية من قبل بعض الفاسيين، أصدر أوامره بالسماح ببنائها، و ردع كل من وقف ضد تحقيق هذا الهدف، كما بعث إلى صاحب الزاوية قدرا مهما من المال، وكل ما هو في حاجة إليه لمساعدته على البناء إلا أن الشيخ الورع رفض هذه المنحة و ردها لصاحبها بدعوى أنه ليس في حاجة إليها لأن الزاوية أمرها قائم بإذن الله² .

و سواء كانت هذه الرواية الأخيرة تعبر عن ما وقع بالفعل، أم تفترض وقوعه تبعا لعفة الشيخ و سمو أخلاقه فإن الشيء الثابت و المؤكد هو أن الزاوية بنيت و تم تشييدها خلال سنة 1215 / 1800 إما بمال الشيخ و من معه من المحسنين أو بمال السلطان، أو بأموال كل هذه الأطراف، غير أن الذي لا جدال فيه أيضا هو أن سيدي أحمد التجاني

1 - نفس المصدر السابق، ص 18 - 19.

2 - نفسه، ص 21.

لم يكن يعوزّه المال، مع ورعه و تقواه، فعلاوة على امتلاكه لعدد كبير ومتنوع من قطعان المواشي في الصحراء¹، و ارتباطه برجال يعملون في تجارة القوافل الصحراوية²، كان يحيط به أيضا الكثير من مريديه من أثرياء فاس و تجاره³، و لذلك لا نستبعد أن يكون تعفف سيدي أحمد التجاني عن أخذ أموال مولاي سليمان، شيئا حدث بالفعل، خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار ما يمكن أن يخطر ببال هذا الشيخ من أن السلطان كان يريد أن يختبر مدى زهده في حطام الدنيا و زخرفها.

و بعد أن اكتمل بناء الزاوية، و أصبحت مستكملة لكل شروط استقبال المريدين و الأصحاب، أخبر سيدي أحمد التجاني مريديه بأهمية هذا الإنجاز و قال لهم: لو علم أكابر العارفين ما في الزاوية من الفضل لضربوا عليها خيامهم⁴. و لضمان المزيد من الوافدين عليها كان يحض على الصلاة فيها ويؤكد على مشروعيتها قطعاً. و في هذا الصدد يقول صاحب المنية:

1 - المصدر نفسه، ص 156.

2 - نفسه، ص 256، 233، 248.

3 - نفسه، ص 255، 311، 352، 353، 457، 474.

- Berque (J.). op. cité. p. 250.

- AbuN-Nasr (J.). op. cité. p. 16.

4 - أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 21.

و ما بزأويته يصلي قطعاً يكون للقبول أهلاً¹.

و سعيأ وراء ضمان استمرارية طهارة هذه الزاوية و المحافظة على فضائها الواسع و بهائها و قدسيتها و وقارها، و منعاً لكل من هب و دب ممن يسعون في تدنيسها، أوصى سيدي أحمد التجاني بأن لا يدفن فيها أحد و ألح على ذلك حتى قال: من يدفن في الزاوية تأكله النار لا محالة.

و بعد وفاة الشيخ حرص ابنه سيدي محمد الحبيب على تنفيذ وصية أبيه. و حتى لا يقع التهاون في هذه المسألة، بعث برسالة إلى بعض خاصة أبيه يأمرهم فيها بأن يشتروا رخامة و ينقشوا عليها: «و أن من يدفن في هذه الزاوية تأكله النار لا محالة، بوعد صادق منه صلى الله عليه و سلم كما سمعتم أنتم من أساتذتنا في حياته ... و حين تكتبونه تجعلونه تجاه وجه سيدنا في الحائط لئلا تدرس أبداً، و تجعلون فيها: فمن بدل أو غير فالله حسبه و متوليه، و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون² ». و قد امتثل للأمر المحبون في الشيخ من تجانيي فاس فأنجزوا الرخامة و وضعت بالمكان المعد لها طبقاً للوصية³.

1 - محمد العربي بن السايح، م.س.ص، 235.

2 - أحمد سكيرج، كشف الحجاب، مصدر سابق، ص 24.

3 - نفس المصدر، 24.

و الواقع أن هذه الوصية بعدم الدفن في الزاوية كانت في محلها بحيث إن الزائر لضريح شيخها اليوم، و رغم مرور ما يقرب من قرنين على قيامها، باستثناء بعض الإضافات، كما سيأتي، يأخذ بلبه جلال المكان، و بهاؤه، بفعل ما أبدعته يد الصناع عبر الأجيال، و من جراء النفحات الإلهية و الأنوار الربانية التي تملأ جنباتها، و لا نظن أن الزاوية كانت ستحتفظ بنفس المواصفات من الروعة و الجمال لو أبيع الدفن بها. و توجد هذه الرخامة وسط الجدار المقابل لباب الزاوية القديم، و حولها توجد أبيات شعرية من نظم سيدي الطيب السفيناني على لسان الزاوية تخبر بالوصية و صاحبها و تاريخها. و مضمون هذا النظم:

انظر بديع جمالي	يسبي العقول السليمة
و اخضع له و تدلل	عسى يراك خديمه
و لا تمار بقولي	تك ابن أم كريمه
إن حرامي حرام	تدفن فيه رميمه
تاج المعالي التجاني	طهر أرضي الوسيمه
أشهد جمابها هذا	شهاده مستقيمه
و النجل دام علاه	أمضى بصدق العزيمه
تاريخ رمز شريف	فاق العقود النظميه ¹

1 - نفس المصدر 24.

و في نفس الموضوع يقول نظم للحاج الطالب اللبار:

هذا ضريح كريم	يشرق في القلب شمساً
صدق وعظم ثراه	ولا به تبغ رمساً
نهى النبوي وأبدى	نصحا لكونه بخساً ¹
والشيخ أوعد حقاً	من رام خلفاً ورجساً... الخ

يذكر سكيرج أنه طرأت على زاوية سيدي أحمد التجاني بفاس عدة زيادات بعد وفاة مؤسسها، الزيادة الأولى تمت عام 1302/1885² وشملت ما هو موجود من جهة المحراب الجديد، ثم زيادة عام 1316/1898 التي بني فيها الجزء الموجود بجانب السقاية مع الباب الجديد، أما آخر زيادة، طبقاً لنفس المصدر فقد وقعت سنة 1324/1960، و على إثرها أضيفت المزاراة الموجودة بين البابين³. و ما من شك في أن سبب هذه الزيادات يرد إلى الإقبال الكبير الذي شهدته الزاوية على إثر تزايد أعداد المنخرطين في الطريقة التجانية من ساكنة فاس وغيرها من المدن المغربية الأخرى، سواء في عهد سيدي أحمد

1 - نفس المصدر 25.

2 - نفسه 31.

3 - نفسه، ص 34.

التجاني أو بعده عبر تعاقب الأجيال حتى مطلع القرن العشرين، كما يفسر بسخاء المريدين و المنتمين لهذه الطريقة من مختلف شرائح المجتمع الأغنياء منهم و المتوسطون و الفقراء، بحيث أن الذين لا يملكون لا ييخلون بسواعدهم و دوابهم و مهنهم¹.

و مما يساعد على القول بأن الإقبال على التعاون و الاكتتاب قصد إنجاز هذه المعلمة الروحية كان عظيما و تلقائيا، الفترة الزمنية الوجيزة التي استغرقها بناء الزاوية باعتبار أن وصول الشيخ التجاني إلى فاس كان خلال سنة 1213، و الانتهاء من أشغال البناء كان سنة 1215، مع ملاحظة أن المدة الفاصلة بين التاريخين تتضمن فترة ما قبل بناء الزاوية إلى تاريخ بنائها، و هي الفترة التي قضاها الشيخ التجاني في التعريف بنفسه و إقناع السلطان و محيطه بأهميته و علو كعبه. غير أننا مع الأسف لم تمكنا الوثائق و المصادر المتاحة من معرفة تاريخ الشروع في البناء و تاريخ النهاية منه بالضبط. و من جهة أخرى شكلت هذه الزاوية كإنجاز معماري فريد من نوعه في الإبداع و الإتقان، و كتحفة حضارية إسلامية مصدر إلهام روحي و وجداني لنظم العديد من القصائد الشعرية من قبل نخبة من أتباع الطريقة التجانية. و يمكن تصنيفهم إلى نوعين على

1 - تعرض أحمد سكيرج في كشف الحجاب لذكر عدد كبير من تجار و أغنياء فاس الذين

انخرطوا في الطريقة التجانية.

الأقل، شعراء معاصرون لشيخ الطريقة التجانية و آخرون متأخرون،
و نظرا لكثرتهم فإننا سنقتصر على تقديم بعض النماذج منهم فقط، مع
الإشارة إلى أن عدد المتأخرين من النازمين يفوق بكثير عدد المتقدمين.

أ - شعر بعض محبي سيدي أحمد التجاني من معاصريه

يأتي في مقدمتهم الطيب السفيفاني¹ و ابنه أحمد السفيفاني و الحاج
الطالب اللبار ثم أحمد سالم الوداني الشنجيطي.
يقول الطيب السفيفاني على لسان الزاوية:

انظر بديع جمـالي	يسبي العقول السليمة
واخضع له وتـدل	عسى يراك خديمه
ولا تمار بقولي	تك ابن أم كريمة

و لابنه أحمد السفيفاني هذه الأبيات:

بشرى لمن أم في المحراب بشارة إن كان محتسبا لله بشراه

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س.ص 24، و توجد ترجمة السفيفاني هذا في

ص 210 من هذا الكتاب.

أقام وجهته لله خالصة وكان في سره ما يرتضي الله
أحيى طريقة من أحيى الظلام و من تورمت في رضا الإلاه رجلاه
وله أيضا:

هذا ضريح أبي العباس أحمد من عمت فضائله من فضل مولاه
فاخضع له و تأدب دائما معه عسى وجود بفضل منه ترضاه¹
و على لسان الزاوية أيضا يقول الحاج الطالب اللبار:

يا مصلي بشراك نلت قبولا مرتضى للصلاة في أي حال
خصني الحق و ارتضاني فناء لفريد المقام غوث الكمال
صاحب الختم في الأنام مربّي قدما بالوفا فحول الرجال
صل فرضا بمنزلي و تنقل مطمئنا تفز بخير وصال²

أما أحمد سالم الوداني الشنجيطي فيقول:

1 - نفس المصدر، ص 32، و للاطلاع على ترجمة أحمد السفيناني، يمكن الرجوع إلى ص 185، من كشف الحجاب.
2 - نفسه، ص 25، و ترجم سكيرج للبار، في ص 342 من كتابه.

باب السعادة و الأمان و الظفر لداخله جميع السؤل و الوطر
و حاج من حج ذا المقام قد قضيت و صب فيه عليه الخير كالمطر¹

و هذه الأبيات منقوشة بجانب الباب القديم.

2 - شعر بعض المتأخرين عن عصر الشيخ التجاني في مدح الزاوية.

و من بينهم العربي بن السايح، و أحمد بن العياشي سكيرج، و محمد
غيلان الوزاني.

يقول العربي بن السايح على لسان الزاوية:

لك البشرى فقد نلت الأمانى و حفتك المسرة و التهاني
غداه و فيت بابي ذا خضوع لربك بالجوارح و الجنان
فطه المصطفى خير البرايا تكفل بالسعادة و الأمان
لمن يأوي إلى بابي محبا لمن بعلاه أعلا الله شأني
و بهى منظري بين الزوايا فصرت يشار نحوي بالبنان
أبو العباس أحمد من تحلى بنعت الختم فردا دون ثاني

1 - نفس المصدر، ص 31، و عرف سكيرج بالناظم في ص 365 من كتابه.

فريد الدهر في علم و هدى سليل المصطفى الغوث التجاني¹

و في مدح الزاوية التجانية نقراً نظماً لأحمد سكيرج جاء في بعضه:

ألا و أنيخن في روضة بها قبره ترق مع من سعد
فأكرم بها بقعة شرفت جديراً بها ينجلي كل إد
بزاوية بالتقى أسست و رضوان رب و نيل الرشد
و زاوية سرها فائض فعم أريجـه كل بلد
و زاوية أصلها ثابت و نور بها للسماء صعد²

و جاء في مدح محمد غيلان الوزاني للزاوية:

هذي مطالع أنوار السعادات أم ذي حدائق أزهار الكمالات
أم ذي مرابع قوم لا فضلهم شرقاً و غرباً على كل البريات
أم ذا سبيل نجاح السالكين إلى مغنى الرشاد و أشرف المقامات

1 - نفس المصدر، ص 27، و توجد ترجمة بن السايح في ص 313 من كشف الحجاب، كما تحدث عنه في عدة مناسبات في الجزء الثاني من كتابه رفع النقاب بعد كشف الحجاب.

2 - نفسه، ص 22.

أم المقام الذي تزكو الصلاة به و يحصل القطع في أجر العبادات
نعم ضريح أبي العباس أحمد من مقامه قد علا فوق السماوات¹
إلخ

إن لائحة المتغنين بجمال هذه الزاوية و قدسيتها و بهائها طويلة جدا،
و لذلك نكتفي بهذا القدر من الاستشهادات الدالة على تفاعل وجدان
و شعور عدد هام من المنتسبين للطريقة التجانية عند النظر إلى هذا الإنجاز
الذي يجسد الكثير من الأسرار الربانية، لذلك لا نبالغ إذا قلنا أن إنجاز هذه
المعلمة الدينية كان من أهم العوامل التي ساهمت في نشر تعاليم الطريقة.

1 - نفس المصدرس، ص 28.

الباب الثاني

انتشار تعاليم الطريقة التجانية في مدينة
فاس وباقي أنحاء المغرب

الفصل الأول

انتشار تعاليم الطريقة التجانية في فاس ونواحيها

1- انتشار تعاليم الطريقة بمدينة فاس ونواحيها في عهد شيخها المؤسس.

تضافرت عدة عوامل ساهمت في انتشار تعاليم الطريقة التجانية وتزايد إقبال الناس على الانخراط فيها، في مدينة فاس ونواحيها ثم في باقي أنحاء المغرب، منذ قيامها بهذه المدينة إلى حين وفاة شيخها عام 1230هـ/1815م، ومن بين هذه العوامل:

1- أهمية شيخ الطريقة العلمية:

سبق أن أشرنا في فصل سابق إلى المستوى الرفيع الذي وصل إليه سيدي أحمد التجاني في علمي الشريعة والحقيقة، قبل أن يتحقق له الفتح الأكبر في قرية «أبو سمغون». لذلك لن نعود إلى تفصيل القول في هذا الجانب مرة أخرى، وسيقصر تركيزنا هنا على تسليط الضوء على بعض مظاهر تميز شخصيته بمدينة فاس، وتفوقه على بعض المنكرين عليه، مستشهدين بآراء لفقهاء وعلماء ودارسين من المغرب وخارجه، أشادوا بمستواه العلمي وتقواه، وبنزوعه إلى العقلانية، سواء منهم أولئك الذين

عاصروه أو تأخروا عنه، ويمكن أن نصنف هاته النخبة التي نود الحديث عنها إلى مجموعتين تشتمل الأولى على ثلثة من أهل العلم والصلاح وذوي المراتب العليا من مختلف أسلاك الدولة ممن انخرطوا في طريقة سيدي أحمد التجاني وآمنوا بدعوته، فكان لهم تأثير كبير على تزايد طلبات الدخول في التجانية، أما الثانية فتتكون من فقهاء ودارسين أشادوا بقيمة هذا الشيخ الفكرية والروحية من غير أن يكونوا تابعين لطريقته، مع ملاحظة أن عملية الانتقاء فرضت نفسها علينا لحرص عدد عناصر كل مجموعة نظرا لوفرة المعجبين والمنوهرين بهذا الشيخ من كلا الطرفين:

المجموعة الأولى:

هل العناية الربانية هي التي هيأت الأسباب لكي يفوز سيدي احمد التجاني على خصمه الفقيه الطيب بن كيران، وبامتياز في جلسة علمية بحضور السلطان، المولى سليمان وهو الانتصار الذي أظهر للخصوم والأعداء أهمية هذا الشيخ العلمية؟ أم أن سيدي احمد التجاني وجد في هذا اللقاء العلمي الرفيع فرصة لا تعوض، فنزل بكل ثقله مستعملا كافة الأسلحة المتاحة له لتحقيق الفوز الذي كان في أمس الحاجة إليه لمواصلة العمل في إطار الرسالة التي أخذ على نفسه الدفاع من أجل نجاحها حتى النصر؟.

وسواء كان العامل الأول أو الثاني أو هما معا إضافة إلى عوامل

أخرى هي التي ساهمت في خروجه من هذا الاختبار مرفوع الرأس، فإن الشيء المؤكد في تقديرنا هو أن هذه الحادثة التي حصلت له بحضور السلطان المولى سليمان، والتي تعرضنا لبعض تفاصيلها في فصل سابق، شكلت الأساس الحقيقي للبنيان الذي سيعمل على تشييده فيما بعد والذي سيكون من أهم مظاهره رضى السلطان على مستواه العلمي، وتقدير الحاضرين له وابداء رغبتهم في الدخول في مذهبه، وبناء الزاوية ثم نشر تعاليم الطريقة على أوسع نطاق. ومن بين العلماء الذي يصنفون ضمن المجموعة الأولى:

١ - فقهاء في مجلس السلطان العلمي

الفقيه العباس الشرايبي: كان شاهد عيان على ما جرى بين الفقيهين، سيدي احمد التجاني، والطيب بن كيران من نقاش حاد باعتباره كان يشكل واحدا من النخبة التي يتكون منها المجلس العلمي للسلطان إلى جانب فقهاء آخرين أمثال عبد القادر بن شقرون (ت1804/ 1219) وحمدون بن الحاج وغيرهم. وبعد أن أسفرت المناظرة على رجحان كفة سيدي احمد التجاني والصدى الطيب الذي خلفته مداخلته، سارع الفقيه العباس الشرايبي من غده للالتقاء بالشيخ لأخذ ورد الطريقة وطلب منه أن يدعو له بالخير وأن يسامحه على ما صدر منه من سوء الأدب، مقرا في نفس الوقت أنه بالأمس كان متحيزا لشيخه الفقيه الطيب

ابن كيران، ولكن بعد معاينته وتتبعه لأطوار المناقشة العلمية التي جرت بين الشخصين، وبعد رؤيا رآها في نومه تغير رأيه، وأتى يعترف لشيخه الجديد بطول باعه في المعقول والمنقول، فقبل سيدي احمد التجاني طلبه وأذن له بالدخول في طريقته، ودعا له بالفتح المبين، تبعا لما أورده أحمد سكيرج، رواية عن سيدي احمد العبدلاوي¹ المعاصر لهذه الأحداث².

الفقيه محمد أكنسوس (ت 1294 / 1877): هذا الفقيه الأديب العلامة الغني عن التعريف والذي بلغ أعلى المراتب في العلوم العقلية والنقلية، لفت انتباه السلطان المولى سليمان بنزاهته وكفاءته وتضلعه في العلوم الإسلامية، فضمه إلى مجلسه العلمي ثم استوزره، وقد أتاح له هذا الترقي في خدمة السدة العالية بدون شك فرصة التعرف عن كتب على الشيخ سيدي احمد التجاني وسعة فكره، إلى جانب صلاحه وورعه مما كان سببا في بداية الاهتمام بتعاليم طريقته وتتبع أخباره ومجالسة أصحابه، ثم الذهاب لزيارة الشيخ نفسه والتودد إليه من غير أن يأخذ

1 - هو أحد كبار شيوخ التجانية الذي تتلمذ عليه الفقيه أحمد سكيرج ونوه به في كتابه كشف الحجاب، معترفا في الوقت نفسه بفضل عليه في معرفة بعض أسرار الطريقة، واستعانته به في تأليف كتاب كشف الحجاب، كما ورد على لسانه: «وغالب ما في هذا الكتاب مروي عنه، وماخوذ عنه إملاء وكتابة وليس لي فيه الا مطلق الجمع والكتابة فقط...» انظر: أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س. ص 220.

2 - نفسه، ص 493.

طريقته في قيد حياته كما يصرح بذلك أكنسوس في الجواب المسكت :
«...ومع أننا والحمد لله ، قد لقينا شيخنا لقاء التبرك ورأيناه وزرناه، ودعا
لنا بالخير وسمعنا منه ما نفتخر به ، ونتشرف به في الدنيا والآخرة، وأما
الأخذ عنه إذ ذاك فلم نكن بصدده، لأن ذلك في حالة الحداثة وحين السعي
في تحصيل ما قسم من علوم الرسوم والأحكام الشرعية، وكنا نظن إذ
ذاك أنه ليس الشيخ إلا الذين نأخذ عنهم¹...»

ومن الأمور التي حفزت الفقيه أكنسوس على شد اهتمامه أكثر بشيخ
الطريقة قبل أن ينخرط فيها، أنه كان يسمع بعض أشياخه الصالحين الذين
قرأ عليهم بفاس²، يقول في أكثر من مناسبة إذا عنت عويصة من أقوال
المفسرين والمحدثين: قال الشيخ العارف بالله تعالى سيدي احمد
التجاني، ويبالغ في تعظيم ذكره، فجره فضوله إلى أن يسأل الناس عن
هذا الذي يعظمه الشيخ هذا التعظيم كلما ذكره، فقليل له: ولي كبير الشأن
متبحر في العلوم، ولا يسأل عن شيء من العلوم إلا أجاب بصريح الحق

1- محمد أكنسوس، الجواب المسكت في الرد على من تكلم في طريق الإمام التجاني بلا
تثبت، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1913، ص 72.

2 - أمثال الفقيه محمد بن عامر التادلي والشيخ حمدون بن الحاج والشيخ محمد بن أبي بكر
اليازغي والشيخ أحمد التاودي بن سودة والشريف عبد السلام الازمي، والعلامة محمد بن عمور
الزروالي والفقيه المنطقي محمد بن منصور الشفشاوني، انظر: ليفي بروفانصال، مؤرخو الشرفاء،
تعريب عبد القادر الخلافي، الرباط، 1977، ص 137.

والصواب بلا روية ولا مراجعة كتاب. فكان أكنسوس يتعجب من ذلك، فعلم أن الله تعالى أولياء، وزرع الله في قلبه محبة الأولياء وزاد حبه وتعلقه بالشيخ التجاني الذي ما لبث أن لقي ربه من غير أن يوفق فقيها في الأخذ عنه قبل الأجل المحتوم سنة 1230 هـ، فحضر في جنازته والصلاة عليه¹.

لم يهدأ للفقير محمد أكنسوس بال بعد وفاة سيدي احمد التجاني إلا بعد أن أخذ الطريقة التجانية، وأصبح من كبار المدافعين عن تعاليمها وأحد دعائمها الأساسية ضد كل الخصوم والمنكرين، وتأليفه في هذا الباب مشهورة كما سنوضح ذلك في فصول لاحقة، أما الذين أخذ عنهم ابتداء من سنة 1238 / 1823، فهم من أبرز من عينهم سيدي احمد التجاني لإعطاء أوراد الطريقة نيابة عنه يتعلق الأمر ب²:

– مولاي محمد الغالي أبو طالب الفاسي³.

– مولاي محمد بن أبي النصر الفاسي الحسن⁴.

– عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي⁵.

1 – محمد أكنسوس. الجواب المسكت، م. س، ص 73.

2- تفاصيل هذا الموضوع توجد في ص 328 من كشف الحجاب، وما يليها من صفحات.

3- ترجم له احمد سكيرج في ص 262 من كشف الحجاب.

4 – ترجم له احمد سكيرج في ص 158 من كشف الحجاب.

5 – ترجم له احمد سكيرج في ص 231 من كشف الحجاب.

ولما أخذ محمد أكنسوس الطريقة أنشد قائلاً:¹

أتاني هواها بعد معرفة تاهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

ب - فقهاء قضاة وعدول

الفقيه القاضي العباس بن كيران²: هذا الفقيه العلامة الذي كان يمارس القضاء، بادر إلى الدخول في الطريقة التجانية بمجرد ظهور شيخها بفاس، فأصبح بذلك من بين خاصة الشيخ والمقربين إليه الذين اقتطفوا من أسرارهم وأنوارهم. ويبدو أن هذه الصحبة هي التي جعلت منه شخصاً يلجأ إليه لاستصدار الفتاوى بعد وفاة سيدي أحمد التجاني، من ذلك مثلاً أن السلطان مولاي عبد الرحمان طلب منه الجواب على سؤال يتعلق بإعادة الصلاة جماعة بعد صلاة الإمام الراتب، فأجابه بقوله:

«سئل شيخنا التجاني عن ذلك فقال: لا بأس بذلك بعد الراتب الذي يأخذ الأجرة عن صلاته، فقليل له في ذلك: وأي شيء تنكرون؟ فقالوا: خوف الطعن على الإمام، فقال لهم: الإمام مذبوح بأخذ الأجرة فكيف يؤثر فيه الطعن»³.

1 - محمد أكنسوس، الجواب المسكت، م. س، ص 73

2 - أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص: 504.

3 - نفسه.

وأضاف القاضي ابن كيران أن هذه الصلاة جرت بحضرة شيخه وهو لا يسكت عن منكر أبدا، فلو كان هذا منكرا ما أقره.

الفقيه القاضي محمد بن أحمد الجابري¹ : كان قاضيا بالقصر السعيد معروفا بعدله واستقامته، وعندما سمع بخبر هذه الطريقة وشيخها الذي بارز أقرانه في العلم في مشهد حفيظ انضم إلى طريقتهم وأصبح من خاصته الذين احتسبوا بحماهم المنيع وانتموا إلى قدره الرفيع. ولعل صدق اعتقاده بمذهب شيخه وتفانيه في خدمته هو الذي جعله يصنف من قبل شيخ الطريقة ضمن العشرة المضمون لهم الفتح الأكبر².

1 - نفسه، ص 273 وما بعدها.

2 - هؤلاء العشرة الذين ضمن لهم النبي صلى الله عليه وسلم المعرفة بالله والفتح الأكبر كما أخبرهم بذلك سيدي أحمد التجاني، نقلا عن كشف الحجاب هم:

1* مولاي محمد بن أبي النصر العلوي، ص 158

2* أبو يعزى برادة ص 218

3* الحاج عبد الرحمان برادة ص 224

4* عبد الوهاب بن الأحمر ص 231-232

5* محمد الغالي أبو طالب ص 262

6* موسى بن معزوز ص 261

7* محمد بن أحمد الجابري ص 273

8* عم عبد الحق الجابري ص 274

9* عم محمد بن الغازي ص 298

10* عم العباس بن الغازي ص 311

الفقيه العدل التهامي السقاط¹ : فقيه عالم عامل، كان قبل أخذه الطريقة عن سيدي أحمد التجاني من العدول المبرزين للشهادة، وبعد أن أخذ أوراد الطريقة نهاه الشيخ عن البقاء في هذه المهنة وقال له: اعمل دلالة أو حمالا ولا تتعاطاها، فتركها امتثالاً لأمر شيخه، وتحول إلى حرفة صناعة الأمشاط، ومما قيل في ذم خطة الشهادة قول بعضهم:

فسدت خطة الوثيقة لما أن غدا كل جاهل يدعيها
لم تكن غير روضة فاستبيحت فغدا كل ناعق يرتقيها²

وبذلك أصبح من أفاضل أصحاب سيدي أحمد التجاني، وكبار خدام الطريقة خلال وبعد وفاة شيخها، فاختر العديد من سكان فاس التجانية طريقة لهم على يده.

الفقيه العدل العباس الشرقاوي³ : أصبح من خاصة الشيخ سيدي أحمد التجاني بعد أن تولى عن مهنة العدالة كما طلب منه الشيخ الذي قدمه لتلقين تعاليم الطريقة وأورادها لمن رغب في ذلك وهو أحد

1 - أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 277-278.

2 - نفس المصدر، ص 278.

3 - نفسه، ص 442.

التسعة الذين كانوا يذكرون التحاصين بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم حسب ما يستفاد من كشف الحجاب، رواية عن مولاي محمد بن أبي النصر .

الفقيه العدل محمد بن فقيرة¹ : يوصف بأنه كان محبوبا عند الشيخ لصدق تعلقه وإخلاص نيته، وقد كان فقيها وجليها وعدلا نزيها يتحرى الشبهات في أموره كلها، وكان في فن الوثائق لا يضاهاى. وقد أوصى بعض إخوانه بقوله: «إياك أن تبادر بالشهادة في ثلاثة أشياء: التعريف بخطوط الأيدي، فإن الخطوط تتشابه، والمسارة إلى التعريف من علامة المستهزئين بشهادتهم، والتزكية والترشيد، والأول أشدها،²» وينسب إلى هذا الفقيه أنه كان يقول ما يفيد أن من علامة مهارة العدل أن يصغر شكله في الرسم، وأن يكتب الوثيقة على سنن السلف وأن يراعى محل الإطناب ومحل الإيجاز. كان هذا الفقيه حيا سنة 1218 هـ لأنه يتحدث عن اجتماع له بشيخه رفقة أحد أصدقائه في نفس السنة.

1 - نفس المصدر، ص 506.

2 - نفسه.

ج - فقهاء تخلوا عن طرقهم وانخرطوا في الطريقة التجانية.

الفقيه محمد الطيب السفيناني (ت 1259)،¹ يوصف بأنه أستاذ فاضل وفقيه جليل، لم يتردد في الدخول في الطريقة التجانية والتخلي عن الوازانية عندما تعرف على شيخها واطلع على تعاليمها. وكان سبب أخذه لورد هذه الطريقة واحتلاله أهم المقامات بها أنه لما ذهب للحج، ومر بمصر اجتمع بمقدم الطريقة هناك محمد بن عبد الواحد بناني المصري. ولما دخل إلى مسكنه ووقع نظره على كتاب جواهر المعاني في خزانة كتب مضيفه فأخذه وقرأ بعض صفحاته، فاستحسنه وأخذ بلبه ما اشتمل عليه من المعارف واللطائف، متأسفاً في قرارة نفسه عن عدم اجتماعه بشيخ الطريقة التجانية بفاس، والحالة هذه أن مقدم الطريقة الذي استضافه بعيد كل البعد عن المغرب وعن مدينة فاس، وبمجرد رجوعه إلى المغرب قام بزيارة الشيخ واجتمع به في حكاية طويلة وأخذ عنه ورد الطريقة بعد انسلاخه عن الطريقة الأخرى، وقد خاطبه سيدي احمد التجاني في هذا الصدد بقوله: «اترك عنك أهل وزان فإنه لا يأتيك منهم إلا الضرر...»².

1 - نفس المصدر، ص 170-171.

2 - يرى الفيه احد سكيرج، أن مقصود سيدي احمد التجاني بهذا الكلام ليس التنقيص ولكن وجوب الانتباه بالنسبة للمريد إلى ضرورة عدم الاجتماع مع غير الشيخ القدوة، لتكمل له التربية، =

ونظرا لتفانيه في خدمة الطريقة انفاقا بسبب غناه، ومجاهدة وتأليفا مما كان له أحسن الاثر على استقطاب المزيد من الراغبين في أخذ أوراد الطريقة، فإن سيدي أحمد التجاني أحبه محبة خالصة وأثنى عليه بين العامة من أصحابه والخاصة، وشهد له بالشرف، وقام إليه مرارا تعظيما له واحتراما. وكانت عادة الشيخ كما روي بالتواتر على السنة الثقات أنه إذا أراد أحد الاجتماع به وأتى إليه فإن كان شريفا يقوم إليه، أما السفيفاني فقد قال في حق شيخه: «كلامه أجل عندي من كلام غيره، وأوقع في قلبي لجزالته، وكثرة نفعه وكيف لا وهو أعلى من كل نفيس وأعلى ...¹». وبعد وفاة الطيب السفيفاني في التاريخ المشار إليه دفن بجبل زعفران خارج باب عجيسة من فاس.

الفقيه محمد بناني²: كان فقيها متضلعا يعول عليه في تسليط الأضواء على الكثير من القضايا الفقهية كما كان يعتبر حجة في مادة تفسير القرآن، وبعد أخذه للطريقة التجانية صار حاملا لأسرار شيخها،

== ثم إن سادتنا أهل وزان . يضيف نفس المصدر، ينبغي للإنسان أن يكون منهم على بال، فإن كل من خالطهم ولم يحسن الأدب معهم، فإنه يقع في الضرر: انظر: كشف الحجاب. ص 173-174.

1 - محمد الطيب السفيفاني. الإفادة الاحمدية لمريد السعادة الأبدية مصر، سنة 1389م، ص 12.

- احمد سكيرج، كشف الحجاب، مصدر سابق، ص 176.

2 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 188.

عاملا على ساق الجد من أجل نشر تعاليمها، بعد تركه جانبا ارتباطه بالوزانية، ويرجع الفضل في انخراطه في هذه الطريقة إلى أن محمد الطيب السفيناني لما رجع من الحج ووصل إلى فاس عازما على الدخول في الطريقة التجانية، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، تلاقى بهذا الفقيه الذي نحن بصدد التعريف به، وحكى له ما جرى بينه وبين محمد بن عبد الواحد بناني المصري بخصوص الشيخ التجاني، ثم طلب منه أن يرافقه لزيارة هذا الشيخ ومشاهدة أحواله، فرفض أحمد بناني في البداية هذا الاقتراح إلا أنه أمام إلحاح صديقه وإصراره على أن يصحبه كلما التقى به من جديد، نزل عند رغبته. ولما اجتمعا بسيدي أحمد التجاني أظهر لهما من الأسرار ما لم يكن يخطر لهما ببال، مما كان له تأثير كبير على نفسية الفقيه بناني الذي ما لبث أن عاد إلى الشيخ التجاني يستأذنه في أخذ ورد الطريقة، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح من كبار رجالها الحاملين لأنوارها، فتمكن بذلك من الجمع بين علمي الظاهر والباطن، فزاد حب الشيخ له لدرجة أنه كان يسأل عنه إذا غاب¹.

دفن أحمد بناني بقباب باب فتوح بعد أن ترك بصماته في ميدان التربية الروحية على عدد كبير ممن عاصروه وتلمذوا عليه، فقدم بذلك خدمة جليلة للطريقة التجانية في حياته وبعد مماته، باعتبار أن ابنه

1 - نفس المصدر السابق، ص 191.

الحسن بناني واحمد بناني كلا الفقيهين سارا على هديه ولم يحيدا عن نهجه في توظيف علمهما ونفوذهما لنشر تعاليم الطريقة التجانية، خصوصا بعد وفاة شيخها الذي توفي وهما في ريعان شبابهما¹.

الفقيه محمد بن احمد الشهير بالسنوسي² (ت 1257): عالم

دراكة، فهامة، كان عاملا وإماما فاضلا بالضريح الادريسي، درس فيه صحيح البخاري على الخصوص، كما كانت له اليد الطولى في فنون شتى سيما الحديث، وكان أولا على طريقة العارف بالله سيدي احمد بن ناصر الدرعي، وهو الذي قال له سيدي احمد التجاني لما جاء للأخذ عنه: لو كان ابن ناصر هنا وقلت له تحيد لا يسعه إلا التحيد³. ولا زالت عند أحفاد هذا الفقيه بعض ثياب سيدي احمد التجاني للتبرك بها، بحوزتهم برنوسه وبلغته، توفي عام 16 ربيع إعام 1257 ودفن بقباب باب فتوح.

الفقيه الكبير محمد بن عيسى لحلو⁴: فقيه فاضل أكمل، كان

من بين الأشخاص القلائل الذين تعرفوا على سيدي احمد التجاني بمجرد وصوله إلى فاس ليقيم بها بصفة نهائية، وآمنوا بدعوته وتخلوا عن الطرق الصوفية التي كانوا مرتبطين بها من قبل مثل ما حصل لفقيهننا هذا الذي

1 - نفس المصدر السابق، ص 193.

2 - نفسه، ص 195.

3 - محمد الطيب السفيناني، الإفادة الاحمدية. مصدر، سابق، ص 67.

4 - احمد سكيرج. كشف الحجاب. مصدر سابق، ص 507.

كان على الطريقة العيساوية، اقتداء بأجداده، وعن السبب المباشر لانخراطه في هذه الطريقة، تذكر إحدى الروايات المستقاة من مصدر تجاني¹، أن الكبير محمد لحلو كان مصاحباً لبعض الفقهاء ممن يقرأ معه على العلامة الكبير والولي الشهير سيدي إدريس البكراوي، وكان صديقه الفقيه هذا أخذ طريقة سيدي أحمد التجاني، وكلما اجتمع بالكبير لحلو يعود ليذكر له مناقب الشيخ، فاشتاقت نفسه إلى الدخول في هذه الطريقة، ولما قدم الشيخ التجاني إلى فاس، خرج لحلو مع الفقيه المذكور لملاقاته قرب وادي سبو، فقدم الفقيه صديقه للشيخ التجاني، مؤكداً له على اشتياق هذا الشخص للإجتماع به وتعطشه للشرب من حوضه، فرحب به الشيخ. ولما حضرت الصلاة قدمه هذا الأخير ليؤم به، مما اعتبر مؤشراً إيجابياً لقبوله بين الأحاب² وطالعا حسنا لاجتياز كل العقبات والصعاب فلم يرجع إلى فاس حتى أصبح مع الشيخ من جملة خدامه، حاضرا معه في جل أوقاته، فصار أهل الطريقة العيساوية يلومونه على ترك طريقة أجداده، فكان لا يلتفت إلى أقوالهم³.

أول ما يستنتج من هذه الرواية أن الطريقة التجانية كان لها مريدون بفاس قبل أن يهاجر إليها سيدي أحمد التجاني، وهذا ما يفسر أن بعض

1 - نفس المصدر السابق، ص 508.

2 - نفسه.

3 - نفسه.

الفاسيين كانوا تجانين قبل أن تشيد الزاوية التجانية بفاس، بل وقبل أن يحظى شيخ الطريقة بموافقة المولى سليمان على قبول طلبه بالاستقرار بهذه المدينة، ويمكن تفسير هذه الحقيقة في تقديرنا بعدة عوامل أهمها:

- كثرة تردد سيدي احمد التجاني على مدينة فاس وجامع القرويين خلال فترة شبابه والتقاءه بعدة رجالات من الفقه والتصوف بهذه المدينة، قبل رحلته الأخيرة إليها.

- قرب عين ماضي مسقط رأسه وقرب أبي سمغون من مدينة فاس ودخول هاتين البلديتين لفترات طويلة من التاريخ تحت السيادة المغربية، وما يترتب على هذا الواقع من صلات بشرية لا تنقطع.

- تحرك ونشاط مريدي سيدي احمد التجاني ودعائه في كل الاتجاهات بما في ذلك فاس، ومن خلالها كل بلاد المغرب للتعريف بدعوته وكسب الأنصار لا نجاح قضيته، وذلك منذ أن وقع له الفتح الأكبر بأبي سمغون.

وثاني استنتاج يخرج به الباحث من خلال نفس الرواية هو أن دور الفقهاء كان أساسيا في التعريف بالطريقة وشيخها لأن مراتبهم العلمية كانت تؤهلهم للتمييز بين ما هو سني وما هو طريقي بدعي، من الطرق الصوفية، وبما أن عامة الناس كانت تستنير بهديهم، فإن دخولهم في الطريقة التجانية دفع بالكثير من المعتقدين من مدينة فاس ونواحيها ثم من باقي جهات المغرب إلى الإقبال بأعداد متزايدة على أخذ أوراد الطريقة

والاسترشاد بتعاليمها.

د - فقهاء راسلهم الشيخ وناقشهم

الفقيه محمد بن عبد القادر الزواق¹ : هذا الفقيه الأجل والعلامة المبجل، كان من السباقين للانخراط في الطريقة، فأصبح ملحوظا بعين المودة من قبل الشيخ الذي أذن له في تلقين الطريقة التجانية لكل من سأله عنها، وفي هذا الموضوع يذكر احمد سكيرج أنه وقف بنفسه على رسالة من أحد مريدي الشيخ وعلى طرتها كتب سيدي احمد التجاني: «وسلم منا على الفقيه الاجل أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر الزواق وأخبره أنه بلغنا سلامه مع سيدي الحاج علي، وأعلمه أننا على محبة الله، وإن أراد أن يذكر هذا الورد بعد إخبارك له بفضل فلقيه له أنت، وقد أذننا له هو أن يلقي كل من سأل من المسلمين والسلام»².

الفقيه مولاي الزكي المدغري³ : علامة زمانه وفريد عصره وأوانه، المتضلع في كل علم الموصوف، من الأوائل الذين سارعوا

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 393.

2 - نفسه.

3 - نفسه، ص 283.

إلى الدخول في الطريقة، وصاروا من الدعاة لها المدافعين ضد المنكرين عليها.

وقد كان وقع له مع الشيخ حين سمع أنه يستعمل البسملة في أول فاتحة الكتاب، في الصلاة الفريضة وغيرها مع أمر أصحابه بذلك فأتى إلى الشيخ بعد أن طالع جملة من كتب المالكية في المسألة، وأتى بكراريس من شراح المختصر وغيره، ممن تكلم على البسملة في الصلاة الفريضة. فلما جلس بين يدي الشيخ ومعه ذلك سأله قائلًا: إن مشهور المذهب الكراهة فماذا تقول؟ فكان جواب سيدي احمد التجاني أن شراح المختصر وغيره بسطوا الكلام في هذه النازلة، فقال فلان كذا، وقال فلان كذا، حتى ذكر له جميع ما معه من الكراريس باللفظ، على طريق المكاشفة حتى بقي صاحب الترجمة متعجبا من شأنه. وبعد أن علم أن مشهور المذهب هو الكراهة بتقرير الشيخ، تساءل عن سبب عدم عمل سيدي احمد التجاني بالمشهور. وكان رد الشيخ النهائي هو قوله لمحاوره، «يا مولاي الزكي أنا أخالف فيها مذهب مالك على رغم أنفك»¹.

وكان سيدي احمد التجاني قد صرح بأنه لم يترك قط البسملة متصلة بالفاتحة لا في الصلاة ولا في غيرها للحديث الوارد في فضلها المؤكد باليمين ونص الحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم «قال الله تعالى:

1- المصدر نفسه، ص 284.

يا إسرافيل وعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ باسم الله
الرحمان الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة، فاشهدوا
علي أنني غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت له عن
السيئات، ولا أحرق لسانه بالنار وأجيره من عذاب القبر وعذاب
النار يوم القيامة والفزع الأكبر¹.

الفقيه سيدي عبد العظيم العلمي²: كان من أفاضل علماء الطريقة
المتفانين في الإخلاص لها، اختاره الشيخ لقراءة المختصر مع ولديه محمد
الكبير ومحمد الحبيب، وعندما طلب من شيخه أن يعين الوقت لذلك أجابه
سيدي أحمد التجاني بالقول: انت الذي تعين ذلك وتعين المكان الذي تقرأ
معهما فيه، فإن العلم يؤتى ولا يأتي، فامتثل الأمر إلى أن توفي.

1 - المصدر نفسه، ص 284.

وقد عقب الفقيه أحمد سكيرج على هذا الحديث بأنه أورد سنده في كتابه نور السراج، مشيراً
في نفس الوقت إلى أن الحاج عمر أورده أيضاً في كتابه رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم،
غير أن الباحث يتساءل من جهته، بخصوص هذا الأمر عن السبب الذي جعل سكيرج يقول في هامش
خاص: إذا صح الحديث من طريق الكشف أخذ المحققون به وقد ألف الحافظ
السيوطي كتابه تنوير الحلك في رؤية النبي والملك لذلك. انظر كشف الحجاب
ص 284، هامش 1 فهل مرد هذا التأويل إلى كون سكيرج لم يجد سنداً صحيحاً
لهذا الحديث؟.

2 - نفسه، ص 396.

الفقيه احمد بن محمد بناني : سبق التعريف به في المحور المخصص للفقهاء الذين تخلوا عن طرقهم الصوفية السابقة، وسبب إدراجه هنا أنه كانت له مناقشات في إطار علمي مع سيدي احمد التجاني. وهذا نموذج لذلك:

كان يقول له مثلاً: ماذا يقول المفسرون في آية كذا وكذا، فيجيب أحمد بناني بما ورد عند المفسرين في ذلك، فيصحح له الشيخ كلام البعض ويرد كلام من لا يصادف الصواب منهم، مع بيان وجه الحق في ذلك بالأدلة العقلية والنقلية، ثم يضيف الشيخ متوجهاً إلى مريده، وهذا غاية ما يقوله المحققون من علماء الظاهر: أما باطن الآية، فهو كذا وكذا. ونفس المنهج يسلكه مع محاوريه في الأحاديث النبوية الشريفة².

هـ - فقهاء أخذ الشيخ بيدهم وخصهم ببعض الفوائد أو أنابهم عنه في بعض الأذكار الخصوصية:

الفقيه محمد المازري³: أصبح في ظرف وجيز أحد خاصة الخاصة من أصحاب الشيخ سيدي احمد التجاني، الذي كان ينوه بقدره وعلو مرتبته، وينزل عنده في العلوم الظاهرة بمنزلة الإمام المازري، أحد

1 - نفس المصدر السابق، ص 188.

2 - نفسه، ص 192.

3 - نفسه، ص 408.

الفقهاء المالكية المشهورين برسوخ القدم في العلم مع سلامة الإدراك والفهم. ويذكر أحمد سكيرج أنه وقف مباشرة على فوائد شريفة وفرائد لطيفة بخط الفقيه المازري الذي نحن بصدد الحديث عنه، تلقاها عن الشيخ سيدي أحمد التجاني، وأذن له فيها مما يشهد له بالخصوصية التامة عنده، وهذه الفوائد كثيرة تمتد على ما يزيد على ثلاث صفحات (409-410-411) ونكتفي هنا بذكر فائدتين فقط:

الأولى: يقول كاتبه أحمد بن محمد التجاني عفا الله عنه، بعد البسملة «أخذت بالإذن والإجازة عن السيد محمد بن يوسف التونسي¹... بسم الله الرحمان الرحيم يا عزيز يا وهاب يا ودود اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني». ويفيد الشيخ التجاني أنه بإمكان المريـد المأذون له في هذه الفائدة أن يذكر هذا الدعاء متى شاء من غير حد في الوقت ولا في العدد.

الثانية: وأخذت عنه (يضيف الشيخ التجاني) أيضا للحفظ من النفس والشيطان، ومن شر كل ذي شر في سائر أوقات الليل والنهار والبر والبحر وكل ما خفت منه وكل ما وقع لي خوف وهو:

1 - وهو أخذ عن شيخه السيد عمر بن الحاج محمد وهو أخذ عن السيد الحاج سليمان وهو أخذ عن الشيخ سيدي محمد شمهروش أحد ملوك الجان المعروف عند الحكام بشمهروش الطيار وهو أخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم: انظر كشف الحجاب، ص 409.

«بسم الله الرحمن الرحيم يا لطيف يا حفيظ يا مانع يا ستار»¹ من غير حد في العدد ولا في الوقت يضيف الشيخ التجاني.

فقهائ زرهون الثلاثة²: يتعلق الأمر بالفقيه العلامة المحب بن قدور الزرهوني، والفقيه الاجل احمد بن عامر الزرهوني، والفقيه الدراكة محمد الزهني الزرهوني.

ارتأينا أن نخصص لهم محورا واحدا لأن العوامل المشتركة التي تجمعهم متعددة، فهم كلهم فقهاء على مستوى رفيع من المعرفة بالشريعة الإسلامية، اختاروا جميعهم الانتساب إلى الطريقة التجانية منذ السنوات الأولى لظهورها بفاس، ولكثرة تعلقهم بالشيخ أذن لهم بأذكار خصوصية، كما جرت بين الشيخ واثنين من هؤلاء الفقهاء مراسلات وهما الفقيهان المحب بن قدور الزرهوني، وأحمد بن عامر الزرهوني، مع الإشارة إلى أن الثلاثة من أصل زرهوني. وقد أورد صاحب كشف الحجاب نص رسالة أحمد بن عامر الزرهوني إلى سيدي أحمد التجاني، مما جاء فيها بعد البسملة والحمدلة: «...إلى سيدنا ومولانا الشيخ الأكبر العلامة القطب الأشهر... سيدي وسندي، ومن على الله ثم عليه اعتمادي، شيخ الطريقة وإمام الحقيقة، سيدي احمد التجاني... أما بعد...مرادي...

1 - نفس المصدر، ص 409.

2 - نفسه، من ص 523 إلى ص 525.

أن نخبر مولانا مما صعب علينا تناوله من قطع كل عائق وصاد عن وجهتنا إلى خالقنا... فمهما أردت النهوض إلى خدمته إلا وأقعدني اورمت قطع الشهوات إلا وعجزت، ذلك العجز الكلي... فهذه حالي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونظر سيدنا أوسع وأتم وأكمل... والسلام»¹.

ومن خلال مضمون جواب سيدي أحمد التجاني على هذه الشكوى سيظهر كيف أخذ بيد المشتكي عليه، كما يطلعنا فحوى نفس الرسالة على تلبية طلب آخر، تقدم به الفقيه المحب بن قدور الزرهوني قصد زيادة الأذكار على الورد ويبدو أن سيدي أحمد التجاني أجاب على رسالتين في واحدة، حسبما يفهم من الرسالة الجوابية.

ففيما يخص شكوى أحمد بن عامر الزرهوني أجابه الشيخ قائلا: «...وأما ما ذكرت من صعوبة انقياد نفسك لأمر الله ودوامها على التخطي فيما لا يرضي الله فتلك عادة جارية أقامها الله في الوجود، لكل من أهمل نفسه وتركها جارية في هواها... ومن أراد تقويم أعوجاج نفسه، فليشتغل بقمع نفسه عن متابعة هواها مع دوام العزلة عن الخلق والصمت وتقليل الأكل والإكثار من ذكر الله

1 - نفسه، ص 524.

بالتدريج وحضور القلب مع الذكر..... والشيخ في هذه الأمور دال ومعين
لا خالق وفاعل إذ الخلق والفعل لله¹....» ومما جاء في جواب نفس الشيخ
لرسالة المحب ابن قدور الزرهوني «... وبعد نسأل الله جلت عظمته
وتقدس اسماءه أن يسلك بك حالا ومآلا مسالك أوليائه المتقين وأن يوقفك
بين يديه موقف أحبابه العارفين في الدنيا والآخرة... ثم إنك طلبت مني أن
أذن لك في زيادة الأذكار على الورد، فاعلم أنني أخبرتك في كل ما أردت
من الأذكار والأسماء والآيات والأدعية حيثما أردت وكيفما أردت، إلا ما
كان من أوراد الشيوخ التي هي لازمة للدخول في طرقهم فلا نأذن لك
فيها²...».

هذه العلاقات التي نشأت بين الشيخ ومريديه من فقهاء زرهون، كما
يتضح من خلال الرسائل المتبادلة لم تكن لتتم بدون تفاني الأصحاب
في خدمة شيخهم ومثابرتهم في التعريف بالطريقة وأورادها، سواء في
مدينة فاس أو في زرهون، التي ينحدرون منها، والتي يبدو
أنهم لم يقطعوا الصلة بها إن لم يكونوا من قاطنيها.
ومن المحتمل في تقديرنا أن يكون الاعتكاف هو دأبهم في زاوية

1 - من نفسه، ص 524.

2 - من نفسه، ص 523.

الشيخ بفاس لفترات قد تطول وقد تقصر، يعودون بعدها لزيارة عائلاتهم وتدبير شؤونهم الدنيوية بزrehون في انتظار العودة ثانية إلى الزاوية الأم بفاس، ولا يستبعد أن يكون هؤلاء ومن انضاف إليهم من أحباب الطريقة بالمنطقة قد عملوا على تأسيس زاوية تجانية بزrehون قبل وفاة سيدي أحمد التجاني. ومما يعزز طرحنا هذا ما أورده أحمد سكيرج من أن أحد مقدي زاوية زrehون هو الذي زوده بالكثير من المعلومات المتعلقة بهؤلاء الفقهاء الزrehونيين الذين نحن بصدد الحديث عن دورهم في التعريف بالطريقة التجانية، إذ لا يستبعد أن يكون تأسيس هذه الزاوية الفرعية بضواحي مكناس، بمبادرة من نفس الفقهاء ومن انضم إليهم من الفقراء التجانيين بنفس الإقليم، الشيء الذي ساعد على توسيع دائرة إشعاع هذه الطريقة بالمناطق المجاورة لمكناس.

و- فقهاء من مدن وأقاليم بعيدة عن فاس.

الفقيه عبد القادر السلاوي¹: هو أحد العلماء المرموقين بسلا، والذين لهم مكانة عند الحضرة السلطانية. لم يتردد رغم جسامه قدره في العلوم، وعلو مكانته لدى المخزن، وبعده عن مدينة فاس، في الدخول في

1 - المصدر نفسه، من ص 501 إلى ص 504.

حمى الشيخ التجاني وأخذ أورد الطريقة، فسرت بسبب ذلك المحبة بين الطرفين. ويتضح ذلك من خلال المراسلات التي جرت بينهما، فهذا سيدي أحمد التجاني في مقدمة رسالة جوابية إلى الفقيه السلاوي يخاطبه بعد البسملة والصلاة على الرسول بالقول: «...وبعد فقد وصلنا كتابكم وقرأناه وفهمنا ما تضمنه خطابكم، وسألت فيه عن أحوالنا وأحوال أصحابنا، فاعلم أننا والحمد لله بخير وعلى خير... والذي أوصيك به ويكون عليه سيرك وعلمك هوان تعلق قلبك بالله ما استطعت..¹». ومن جهته كان الفقيه عبد القادر السلاوي يوجه أسئلة لشيخه كتلك التي سأله فيها عن قوله صلى الله عليه وسلم: **« ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام »**²، مع أنه عليه الصلاة والسلام حي في قبره بذاته الشريفة التي كان عليها في دار الدنيا، ومع أن روحه الشريفة دائمة في حضرة القدس أبد الأبد، يضيف نفس الفقيه. وفي رسالة من الفقيه السلاوي إلى شيخه، يفهم منها أنه توصل منه بالجواب على سؤاله، وأنه بعد عرض هذا الجواب على محمد بن ريسون أحد كبار فقهاء الوقت، في الحضرة السلطانية

1 - المصدر نفسه، ص 502.

2 - نفسه، ص 503.

نال إعجابه ووافق عليه، وفي ذلك يقول الفقيه السلاوي بعد أن حمد الله: «...المقام الذي سما قدره ومقداره.... من لاحت لنا معالم تقواه وبدت بين سرب الأقطاب جدواه، سيدنا الإمام ومولانا الهمام صاحب السر الرباني مولانا أحمد التجاني... وبعد فبما يجب به الإعلام لسيدنا أن مولانا الشريف الهمام المنيف... سيدنا محمد بن ريسون العلمي، أفضت بنا معه مذاكرة إلى أن ذكرت له سؤالي لسيادتك عن الحديث الشريف: «ما من مسلم سلم علي... الخ...» فاستحسن الجواب وما تضمنه من الصواب، وكتبته له بخطي ونبهته ليريه مولانا الإمام، فساعفني لذلك بقلبه وقاله، وذلك من محبته فيك وفي من يحبك، ثم أخذه ودخل به لسيدنا نصره الله فاستحسنه غاية الاستحسان وتذاكر مع الشريف المذكور في شأنه، وكتب بخط يده الشريفة كتابا لك لا علم لنا بما فيه...¹».

انطلاقا من هذا النص الذي تعمدنا إدراج أهم ما ورد فيه رغم طوله يمكن فهم الدعم الذي كان يجده شيخ الطريقة التجانية من النخبة المستنيرة والنافذة في السلطة والمجتمع بفاس وبمدن أخرى، مما كان يخدم انتشار مذهبه وتعاليم طريقته بشكل فعال.

1 - نفس المصدر، ص 504.

فقهاء مكناس الثلاثة¹ : هم الفقيه الأمجد عبد الرحيم حميش المكناسي، والقفيه الجليل محمد بم حمدوش المكناسي والعلامة محمد بلقاسم بصري المكناسي. كان الأول من أفاضل الإخوان الذين بادروا بقبول دعوة الشيخ والدخول في طريقته وكان كثيرا ما يأتي إلى زيارة الشيخ سيدي احمد التجاني، وهو مدفون بمكناسة الزيتون، وعلم أحمد سكيرج عن هذا الفقيه أنه هو الذي خاطبه شيخ الطريقة التجانية على لسان الحضرة بهذه الأبيات:

توجه نحونا تعط الامانا وغمض عين قلبك عن سوانا
وسلم كل أمرك إلينا وجد بالنفس أن تحب لقانا
ولازم عهدنا ما دمت حيا وغض الطرف عن غير ترانا
ولازم باب حضرتنا فقيرا تكن إذن معصوما في جمانا
فإن صددت بالإعراض عنا فهاتيك الجحيم لمن عصانا²

أما الفقيه الثاني فكان يحبه سيدي احمد التجاني محبة خاصة بعد أن حصل له امتحان في هذه الطريقة بسبب زيارته لبعض الأولياء. ثم سافر إلى فاس ليلتقي بالشيخ ويطلب منه أن يجدد له الاذن فرفض سيدي

1 - المصدر نفسه، 525.

2 - نفسه.

أحمد التجاني ذلك تربية له لان عدم الزيارة شرط في الطريق، وبعد ندمه وتذله وتوسط بعض الأصحاب لصالحه اشفق عليه الشيخ وجدد له الاذن، وبلغ شأوا كبيرا في خدمة الطريقة والترقي في مقاماتها بعد ذلك¹.

أخرنا الكلام عن الفقيه الثالث رغم أهميته البالغة في التفاني في خدمة الطريقة ونشر تعاليمها حيثما حل وارتحل وخصوصا بمكناس، لسبب واحد هو تضارب الآراء حول ما إذا كان أخذ الورد عن الشيخ أو بعد وفاته على يد بعض خلفائه ومقدميه، وما عدا هذا فإن العلامة محمد بلقاسم بصري المكناسي يعتبر من الدعامات القوية للطريقة، بعد وفاة الشيخ مباشرة، وسنفصل في شأنه القول، في فصل لاحق.

الفقيه محمد الأمين الزيزي² : يذكر صاحب كشف الحجاب أنه من الشرفاء اليوسفيين، قدم من زيز إلى فاس من أجل طلب العلم، ويبدو أنه بعد أن حقق هذا الهدف غير رأيه في الرجوع إلى بلده الأصلي، بعد أن تعلقت همته بالطريقة التجانية.

ويدعم هذا الرأي ما أورده الطالب بن الحاج في كتاب الإشراف عن بعض من بفاس من مشاهير الأشراف، من أن أبناء هذا الفقيه يسكنون بدرب سيدي عواد عدوة فاس الأندلس، وأن والدهم كان قد قدم من

1- نفسه، ص 526.

2- نفسه، ص 415.

زين إلى فاس واستوطنها وأخذ عن والده (أي حمدون بن الحاج) ومن في طبقته، واتصل بالعارف بالله سيدي أحمد التجاني وسلب إليه الإرادة، وكان عالماً ناسكاً، ولي الخطابة بالمدرسة العنانية، وكان يقرأ على حمدون ابن الحاج خريدته في المنطق¹.

الفقيه محمد الشرقي العمري (المدعو الحفيان)² : رحل من بلده في طلب العلم إلى مراكش، فأخذ القراءات وأحكامها عن ابن عمه الولي الصالح سيدي محمد بن عبد السلام الشرقي دفين روضة القطب الأكبر سيدي محمد بن سليمان الجزولي، وسمع بها شيئاً من الحديث ثم رحل إلى فاس فأقام بها مدة وقرأ بها على غير واحد من مشايخها. وفي هذه المدة لقي الشيخ التجاني وأخذ عنه ورده، وصحبه، وصار من المقربين إليه، وهناك من يرى أن صاحب البغية لم يورد ترجمته لأنه من عائلته، بسبب ما يمكن أن يشكل ذلك من تزكية.

المجموعة الثانية:

يدخل تحت هذه المجموعة بعض العلماء والفقهاء والباحثين المتمرسين الذين أشادوا بمرتبة سيدي أحمد التجاني العلمية،

1 - نفس المصدر السابق.

2 - نفسه، ص 312.

واعترفوا له بالولاية والصلاح، من غير أن يدخلوا في طريقته، ويمكن أن نميز في هذه المجموعة بين علماء من المغرب وخارجه، معاصرين له ومتأخرين عنه.

أ - من المغرب / فاس

الفقيه حمدون بن الحاج (ت 1817)¹: كان أديبا شاعرا متضلعا في التفسير والفقيه والتصوف، وكان من المقربين إلى السلطان مولاي سليمان، ويرتبه محمد الطيب بن كيران في درجة الامام البصري فيما يخص المديح النبوي، كما يشبهه بلسان الدين ابن الخطيب في الامداح السلطانية²، هذا العالم الموسوعي كان معاصرا للشيخ سيدي احمد التجاني ومن خاصته المقربين، رغم أنه يثبت للفقيه أحمد سكيرج أنه أخذ الطريقة، ولم يكن كثير التردد على زاوية الشيخ في وقت قراءة الوظيفة كما هي عادة جل الأصحاب، بسبب ارتباطه بخدمة المخزن، إلا أنه كان كثير التنويه والتعظيم للشيخ بحضور المنكرين والجاحدين للطريقة التجانية، غالبا ما يزور سيدي احمد التجاني ليستفسره عن قضايا

1 - نفس المصدر، ص 493.

- محمد الأخضر. الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، الدادالبيضاء 1977، ص 352 - 353.

2 - نفسه، ص 352.

علمية طلبا للإفادة وللأخذ من الأسرار والمعارف ما كان يساعده على إثراء رصيده العلمي والروحي، ومما يترجم الاحترام الذي كان يكنه الفقيه حمدون بن الحاج لهذا الشيخ والمحبة التي كان يخص بها القصائد التي نظمها في هذا الموضوع، ومن بينها قوله:

إن شئت تصبح في رياض أمان وارتدت تغدو في منى وأمانى
وتروح دأبا في حياض مواهب تسقى بكاسات من العرفان
وتظل في ظل المكارم ساميا أبدا وتمسي في حلى الأمان
وتبيت قطب معارف وعوارف متبخترا بحظائر الإيمان¹
فعليك بالبدر المنير سنى أبي ال العباس أعني أحمد التجاني

وقد ذكر جزءا من هذه القصيدة ابن حمدون بن الحاج العلامة أبوعبد الله الطالب في كتاب الأشراف الأنف ذكره². ومما لا شك فيه يقول الفقيه أحمد سكيرج أن الشيخ التجاني بدوره كان يعتبر العلامة حمدون بن الحاج من كبار خاصته المنخرطين في الوظائف المخزنية الذين وفقهم الله للجمع بين علمي الشريعة والحقيقة علاوة على إلمامه بفنون أدبية

1 - أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 494.

2 - نفسه.

أخرى، ويظهر تقدير سيدي احمد التجاني لهذا الفقيه من خلال الرسالة التي بعثها لأحد أصدقائه والتي ورد فيها أن ابن الحاج «أمير علماء وقته وأرجو الله أن يكتبه في قائمة الشعراء الذين مدحوه»¹. ومع تأكيدنا من أن حمدون بن الحاج وقف إلى جانب سيدي أحمد التجاني، ودافع عنه ضد المناوئين والخصوم، وفي كل المحافل التي كان يتردد عليها، مما كان له أحسن الأثر على انتشار الطريقة بفاس، فإن عدم أخذه لوردها وأذكارها وعدم انخراطه فيها بشكل جلي يظل شيئاً محيراً، وإن كنا نميل إلى أنه كان تجانياً في السر وفقياً متصوفاً غير مرتبط بأية طريقة في العلن جبراً لخواطر الكثير ممن كانوا يرتاحون لموقفه الأخير هذا. ومما يساعد على القول بأنه ربما كان آخذاً للورد التجاني، ما أورده أحمد سكيرج من أن «هذا السيد الجليل لم يصح عندي أخذه طريقة سيدنا إلا من طرق مختلفة»²....

1 - محمد الأخضر. م. س، ص 352.

مع ملاحظة أن محمد الأخضر هذا لم يشر إلى المصدر الذي اعتمد عليه، كما أننا نعتقد أن ما اقتبس من هذه الرسالة غير تام المعنى، أو أن كلمة أو كلمات سقطت من النص فحالت دون وضوح مراده، بحيث لا يدري القارئ على من يعود الضمير المتصل في «مدحوه»، هل على الله أم على الرسول أم على سيدي أحمد التجاني، لكن الشيء الأكيد في ما أورده محمد الأخضر هو تقدير سيدي احمد التجاني لحمدون بن الحاج.

2 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 493.

الفقيه العلامة الطالب بن الحاج (ابن سابق): كان يقدر الشيخ

سيدي احمد التجاني ويجله مثل أبيه¹.

الفقيه عبد الواحد الفاسي²: يصفه صاحب كشف الحجاب بأنه

بحر العلوم الزاخرة ومعدن الاسرار الفاخرة. اقتطف من سيدي احمد
التجاني ثمارا وأسرارا، واستفاد من علومه وحاز من بركاته، ولم يثبت أنه
أخذ عن الشيخ التجاني طريقته، غير أن هذا الواقع لم يمنعه من مدح سيدي
احمد التجاني في قصائد متعددة، أورد بعضها الشيخ علي حرازم برادة
في جواهر المعاني³:

لقد مدت الامداح اعناقها إلى مديح إمام فائض النور والسر
فقال لسان الحال كيف بدا وقد غدا قلبه مرسى به مظهر الامر⁴

1 - محمد فال أباه بن عبد الله العلوي، رشح السهام في ما في كلام المنكر على الشيخ
التجاني من الاغلاط والأوهام، مطبعة الامنية الرباط، 1974، ص 143.

2 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 416.

3 - علي حرازم برادة، جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني،
بيروت 1988، ج 1، ص 56، مع الإشارة إلى أن علي حرازم برادة لم يذكر اسمه في كتابه هذا بل
اكتفى بالقول: «...وصفه بعض المحبين الادباء من السادات الفاسيين.... بالخلافة التصريفية
وكونه مظهرا للأمر الإلهي..في قصيدة له أحببت إيرادها لاختصارها وحسنها...»

والفقيه احمد سكيرج هو الذي أورد في كتابه كشف الحجاب أن الفاسي صاحب القصيدة في
جواهر المعاني هو: الفقيه عبد الواحد الفاسي: كشف الحجاب، ص 416.

4 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 416.

والفقيه عبد الواحد الفاسي قصيدة أخرى طويلة توصل إلى الله فيها
بالإسم الأعظم، املاها عليه الخليفة الأعظم علي حرازم برادة، ومما جاء
فيها:

بحمدك يا من لا يخيب راجيا بدأت وأنت عالم الغيب والجر
تعاليت يا من لا ترام صفاته وعندك مفتاح الأمور بما تدري¹

ومن خلال استعانتة بالشيخ علي حرازم برادة في كتابة هذه
القصيدة الصوفية الطويلة التي بلغت 47 بيتا، بتبين لنا مدى هيامه بالشعر
الصوفي ومدى تعلقه بشيوخ التجانية، ورغم أنه لم ينخرط في طريقة
التجاني على ما يبدو، فإنه كفقيه ساهم في نصرة الشيخ أحمد التجاني
ومريديه.

الفقيه المكي الشرايبي²: كان هذا الفقيه في البداية من المبغضين
للطريقة التجانية، وكان بعض علماء وقته ممن في مرتبته كالشيخ الطيب
ابن كيران، لا يكمل لهم جمع إلا به لموافقته لهم في الطبع، لكن بعد اشتهار
أمر الشيخ التجاني على إثر ما وقع له مع العلامة الطيب بن كيران، ووفاة

1 - نفس المصدر، ص 318.

2 - نفسه، ص 489.

بعض المنكرين على حالة سيئة، بادر إلى التوبة وقصد الشيخ التجاني وصار يتذلل بين يديه طالبا منه المساحة مما كان يصدر منه، وأنه من الآن تائب لله تعالى، فقبل الشيخ عذره وسامحه، وقال له: أبشر بمحبتك فينا فإنك لا تموت إلا وليا، وهذا ما جعل الفقيه المكي الشرايبي يمضي بقية حياته في طاعة الله وحب أوليائه من التجانيين، وفي العمل على إبراز محاسن الطريقة من دون أن ينخرط فيها¹.

الفقيه عبد القادر بن شقرون الفاسي (ت 1229)² : من أجل

فقهائه وقته علما وعملا، تولى القضاء بسجلماسة وفاس فشهد له بالعدل والاستقامة، وتتلذذ عليه الكثير من العلماء الذين عاصروه. وكان يعتبر من أكبر شيوخ الحضرة السليمانية وعلمائها، وتبعها لما أورده صاحب رفع النقاب بعد كشف الحجاب، فإن هذا الفقيه دافع عن سيدي أحمد التجاني وأقر بفضله أمام الملأ في مجلس السلطان مولاي سليمان، كما سبق، عندما أطلق فيه لسانه بعض الحساد خشية أن يختاره السلطان لمجالسته واستشارته في مختلف القضايا العلمية. وكان من نتيجة تزكية الفقيه عبد القادر بن شقرون لسيدي أحمد التجاني والاشادة بحسن أخلاقه وسمو

1- نفس المصدر، ص 489، 490.

2 - أحمد سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، مطبعة الأمنية، الرباط 1975، ج 4،

ص 40-41.

مستواه العلمي، أن طلب السلطان المولى سليمان التعرف على هذا الشيخ فكان له ما أراد. وبذلك أمكن للشيخ التجاني أن يجتمع بالسلطان¹ الذي رحب به وانتفع من علومه وأسراره. ورغم أن هذا الفقيه لم يتقيد بتعاليم الطريقة بشكل رسمي، فإنه تعبد ببعض أذكارها، ودافع عن تعاليمها، وعمل على نشرها بين الخاص والعام. ومن خلال رسالة منه إلى سيدي احمد التجاني نعلم مدى تعلقه به وحبه له.

الفقيه محمد بن ريسون² : هذا الفقيه العلامة كان من حاشية السلطان مولاي سليمان، ورغم أنه لم يكن تجانيا فإن موضوعيته وتقديره للعلماء الكبار، جعله يقف موقفا مشرفا ومؤيدا لسيدي احمد التجاني دون أن يخشى منافسته، ولا نعلم الشيء الكثير عن هذا العالم باستثناء ما أفادتنا به رسالة من الفقيه العلامة عبد القادر السلاوي، إلى سيدي احمد التجاني، التي سبق أن تحدثنا عن بعض فحواها، فيما سبق. ونعود مرة أخرى إليها لحضور الفقيه محمد بن ريسون فيها كطرف. ذلك أن العلامة عبد القادر السلاوي، وهو يخبر سيدي احمد التجاني بأنه توصل بجوابه عن سؤال كان قد تقدم به إليه، حول معنى الحديث الشريف : «ما من مسلم سلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه

1 - احمد سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، م. س، ص 41.

2 - احمد سكيرج كشف الحجاب، م. س، ص 503.

السلام»¹، وأن الجواب لقي استحسان الجميع، وعلى الخصوص الفقيه العلامة محمد بن ريسون، الذي أبلغ خبر هذا الشرح إلى السلطان بطلب من صديقه الفقيه السلاوي، فأعجب المولى سليمان ايما إعجاب بهذا التفرد في الاجتهاد، مما زاد من ثقة السلطان وبقائه برسوخ قدم الشيخ التجاني في علوم الشريعة والحقيقة².

ومن خلال هذه الرسالة يتضح مدى تقدير الفقيه محمد بن ريسون العلمي للشيخ التجاني، ومدى اعتقاده بدعوته، وهذا كان له انعكاس إيجابي على سمعة الطريقة وذبوع أمرها في شتى الأرجاء.

ب - من خارج المغرب.

العالم التونسي محمود قبادو³ (ت 1288): شاعر مفلق وعالم أجمع على فضله أهل المشرق والمغرب، ويرى صاحب مسامرات الظريف أن ما أتى به ابن خلدون في مقدمته في الباب الأول من الكتاب الأول في العمران البشري، أتى به أديب العلماء بلا منازع، العلامة الشريف محمود قبادو في قصيدته الشهيرة التي مطلعها:

1 - نفسه، ص 503 - 504.

2 - نفسه، ص 504.

3 - نفسه، ص 531.

-خير الدين الزركلي، الاعلام، دار العلم للملايين بيروت 1992، ج 7، ص 185.

العدل عهد خلافة الانسان ومداد ظل الامن والعمران
وتمدن البشر اقتضى إيلافهم فتعاضدوا من دائن ومدان
وتطامح الخطاء لاستبدادهم بالقتل داعيهم إلى العدوان
فتقرر السلطان ضربة لا زب لنظامهم بالعدل والاحسان¹

كان هذا العالم التونسي معاصرا لسيدي احمد التجاني، ورغم أنه لم يأخذ ورد طريقته، فإنه أظهر له من التقدير والاحترام الشيء الكثير. وتحدث عن علمه وصلاحه في عدة مناسبات، ومن مظاهر هذا التقدير قصيدته التي مدح فيها شيخ الطريقة التجانية، وقد جاء في مطلعها:

احمد سراك بليل شك عسعا أو ما ترى صبح اليقين تنفسا
هذه المعالم من حمى فاس بدت كادت تطير من الجسوم الانفسا
أفديك يا حادي الركائب نحوها إما دنوت إلى حماها عرسا
خل المطايا ودس حماها راجلا وارتع بواد لا يزال مقدسا

1 - أبو عبد الله محمد بن عثمان السنوسي، مسامرات الظريف بحسن التعريف، تحقيق وتعليق الشيخ محمد الشاذلي النفير دار الغرب الإسلامي. بيروت 1994. ج 1. ص 402-403. وقد أفاد المؤلف أن محمود قبادو قال هذه القصيدة تنويها بعهد الامان وتأكيدا على أنه من صميم الدين. مذكرا في الوقت نفسه أنه لو كان العلماء متبرئين من عهد الامان... ما كان صاحبها ليقدم على نظمها: نفسه، ص 402.

أو ما علمت بأنه قد حلها ختم الولاية وابتغاها مرمسا¹

إلى أن يقول:

أكرم بها من مشرق في مغرب أنحى على ليل الظلام فأشمسا
فاليوم شمس الحق قد طلعت لنا من مغرب اثر الظلام معسعا
فاتبع لها سببا تجد أنوارها في عين ماض منهلا متبجسا²

الشيخ أبو عبد الله محمد بن عثمان السنوسي: ت 1255 /

1839³ هو أحد كبار علماء جامع الزيتونة بتونس خلال العقود الأخيرة من القرن 18 والعقدين الأولين من القرن 19. وصفه الشيخ محمد الشاذلي النيفر محقق مخطوط له بعنوان: «مسامرات الظريف بحسن التعريف» بأنه كان فقيها واسع الاطلاع محيطا بالكثير من كتب الفقه واعتنى عناية خاصة بما كتب الفقهاء التونسيون.

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 531.

2 - نفسه.

3 - أبو عبد الله محمد بن عثمان السنوسي، مسامرات الظريف م. س، ج 1، ص 15-16.

لم ينخرط الشيخ محمد السنوسي في الطريقة التجانية، لكنه وصف شيخها بالعالم الرباني والاستاذ المربي ودافع عنه ضد أهل الأهواء الذين نسبوا إليه ما شاع سنة 1241 من خبر فناء العالم خلال القرن الثالث عشر الهجري، مؤكداً أن مقام أدبه وسلوكه في الشريعة التي صينت من كل نقص، يحميه من الوقوع في مثل هذا الزلل¹.

الشيخ محمد بيرم الرابع²: يبدو تقدير هذا الشيخ لسيدي احمد التجاني، من خلال القصيدة التي سنكتفي بالاستشهاد ببعض أبياتها. وقد كان السبب المباشر لنظمها، طلبه رأي العلامة التونسي سيدي ابراهيم الرياحي التجاني الطريقة، في ما أشيع عن شيخه من قوله بفناء الدنيا في القرن الثالث عشر الهجري. وهذا بعض ما ورد في هذه القصيدة الاستفسارية:

أيا من رقى أوج المعالي وقد غدت	إليه مقاليد العلوم تسلم
لقد ظهرت رؤيا لها نسبة إلى	إمام له بين الانام تقدم
همام على دست المعالي وقد علا	مراتبه من وقع النجم أعظم
ملخصها ان الانام جميعهم	لذا القرن تفنى دون ريب وتعدم

1 - المصدر نفسه، ص 335.

2 - نفسه، ص 335.

أهل هو مما صح عندك نقله عن الشيخ أم للمين فيه توسم؟
أجبنا رعاك الله عن كنه أمرها فأنت لها من غيرك اليوم أعلم¹

فكذب الشيخ ابراهيم الرياحي التونسي الخبر وأجاب بقصيدة أيضا
يقول في مطلعها:

أيا من سبى الالباب لطف كلامه كما أنه في الأذكاء المقدم
اتتني من سحر البيان قصيدة وما هي إلا عقد در منظم
تسائل عما شاع في الناس ذكره أهل له أصل في الثبوت مسلم؟
نعم هو ريب دون مين وماله ثبوت وأمر الشيخ أعلى وأعظم
جزى الله خزيًا مفترية وذلة ومأواه إن لم يعف عنه جهنم²

2 - ترحيب السلطان بالشيخ سيدي احمد التجاني وانخراطه في طريقته.

سبق لنا أن أشرنا في مكان سابق إلى الترحيب الذي لقيه سيدي
احمد التجاني من قبل هذا السلطان، بعد حلوله لاجئًا بفاس، على إثر

1 - نفسه، ص 336.

2 - نفسه.

المناظرة العلمية التي خرج الشيخ منها منتصرا ضد خصومه. وما يهمنا هنا هو أن السلطان المولى سليمان أقدم على خطوة أخرى أعطت شحنة مادية ومعنوية قوية لترسيخ جذور الطريقة التجانية بفاس والمغرب، وذلك عندما أخذ ورد هذه الطريقة، مع ملاحظة أن الشيخ احمد سكيرج هو الذي انفرد بهذا الخبر الذي لم نجد له ذكرا في كتاب جواهر المعاني لعلّي حرازم برادة، وحسب نفس المصدر¹، فإن هذا الأمير والإمام العادل، قد انخرط في التجانية على يد شيخها بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم الذي شهد للشيخ أن السلطان من أبنائه الحقيقيين. وقد شهد المولى سليمان طبقا لنفس الرواية من كرامات هذا الشيخ ما ثبت الله به اعتقاده فيه رغم دسائس الخصوم والمنكرين.

ويذكر احمد سكيرج أنه بلغه على لسان الثقة أنه كثيرا ما كان يطلب من الشيخ التجاني أن يريه النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة، ورغم أن سيدي احمد التجاني رفض في البداية خوفا على السلطان، إلا أن هذا الأخير عندما ألح في طلبه نزل الشيخ عند رغبته وأوصاه أن يكتم سره عن كل أحد، ويخصص مكانا طاهرا فارغا من كل شيء، يعده لذلك على أن لا يرافقه أحد إلى ذلك المكان، فنفذ السلطان التوصية بحذافرها:

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 495 وما بعدها.

«ولما أراد الدخول إلى ذلك المحل حصلت له هيبة عظيمة لم يقدر على الجلوس به وحده لذكر ما لقنه من الأذكار الخصوصية لذلك فلم يكمل العمل من كثرة ما حصل له من الدهش»¹.

ويضيف صاحب كشف الحجاب أنه سمع من بعض الإخوان أن السلطان طلب من الشيخ الحضور معه بنفسه، في المكان المذكور، فأجاب طلبه، وبينما هما يذكران: «إذ أشرق المحل الذي هما فيه وامتلاً بالأنوار الاحمدية، وحصل الدهش لصاحب الترجمة (السلطان) لما رأى ذلك وغاب عن حسه، وبعد ساعة أفاق من غيبته، فوجد يد سيدنا رضي الله عنه على صدره، فلما فتح عينيه قال له سيدنا رضي الله عنه، لا بأس عليك وأنه صلى الله عليه وسلم ضمن لك كذا وكذا، فقال له صاحب الترجمة: جزاك الله عنا خيراً»².

ومما يدل على العلاقات الخاصة التي كانت تربط بين السلطان وشيخه سيدي احمد التجاني الرسائل المتبادلة بينهما، ففي رسالة أولى ينعت الشيخ السلطان بأنه «أمين من أمناء الله في بلاد الله وعباده، والله سائلك عن أمانته وعن ما فعلت فيها، فاحذر من الله أن يجدك فرطت أو

1 - نفس المصدر، ص 495.

2 - نفسه.

اشتغلت عن أمره بلعب... فلا تأمن من مكر الله في حال من الأحوال¹...». ويصفه في رسالة ثانية بحامي حمى الملة والاسلام، ويسأل الله أن يصلح به العباد والبلاد وأن يشد به أركان الإيمان والدين، وأن يقلب قلبه في مراقبته حتى «تصير جوارحك متصرفة في أغلب أوقاتها في خدمته...» ويعلمه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له: «أكتب كتابا لولدنا سليمان بن محمد أمير المؤمنين وقل له ليس على وجه الارض أعظم خطرا من وردي الذي أملتته عليك، فقل له يتلوه، فبذكره إياه يصلح الله له عاقبة أمره في دنياه وأخراه»².

وفي نفس الرسالة عرض عليه قراءة بعض الأدعية لدفع البلايا الظاهرة والباطنة. وفي رسالة جوابية من السلطان مولاي سليمان إلى الشيخ التجاني، ورد ما يلي: «عوض والدنا، سيدنا وشيخنا وقدوتنا المحمدي أبو العباس سيدي احمد بلغنا مسطوركم الأبرك وحمدنا الله تعالى على ما خصنا به من رضى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم... والله يوفقنا بجاهكم عند رسول الله... وتوجه إلى الله سيدي في صلاح قلبي، وأن يعصمني من كل ما يمنعي من النظر إلى وجهكم الكريم،

1 - نفس المصدر، ص 497.

2 - نفسه، ص 498.

ويحطني عن رتبة المقربين بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأيضا
يجب عليك هذا لأنك تعلم أن بصلاحي صلاح من ولاني الله عليهم،
وبفسادي فسادهم فالدعاء لي دعاء عام»¹.

هكذا يتضح أن المولى سليمان قدم كل أنواع الدعم لسيدي احمد
التجاني، بما في ذلك انخراطه في طريقته، مما كان له أحسن الأثر على
ذيوخ صيت الشيخ وانتشار مذهبه.

II- أطر التنفيذ والعمل على نشر الطريقة.

1 - تفاني صفوة من الأصحاب في خدمة

الطريقة وشيخها.

هذه الثلة من الاصفياء اعتمد عليهم الشيخ منذ البداية فرحبوا
بدعوته ودخلوا في طريقته وصاروا من خاصة خاصته، وبفضلهم كتب
الذيوخ والانتشار لتعاليم مذهبه بمدينة فاس أولا ثم خارجها فيما بعد،
وكانت وسائل عملهم لتحقيق هذه الغاية متنوعة منها المادي ومنها
المعنوي، وسنكتفي هنا بذكر أهم الذين كان لهم بالغ التأثير، منهم، في
خدمة الشيخ وقضيته أثناء حياته وبعد وفاته.

1 - نفسه، ص 500.

الفقيه علي حرازم برادة (ت 1218/1803)¹ : هذا الفقيه

الفاسي الدار والمنشأ والقرار، احتل مكانة خاصة في قلب ووجدان الشيخ سيدي احمد التجاني قبل أن يستقر بفاس استقراره الأخير، ذلك أن أول لقاء بينهما تم سنة 1191/1777 عندما كان الشيخ سيدي احمد التجاني بمدينة وجدة في طريقه إلى مدينة فاس².

ويذكر الفقيه الحجوجي أن هذا اللقاء شكل أول فرصة لتعرف الشخصين على بعضهما البعض، مع ملاحظة أن الحاج علي حرازم برادة سبق له أن رأى رؤيا قبل عامين تدل على صحة هذا الولي الصالح والاختصاص به، فكاشفه سيدي احمد التجاني وذكرها له في هذا اللقاء، فسر علي حرازم برادة بذلك³، عندما رجع بذاكرته إلى الوراثة وتيقن أن ما سمعه من الشيخ كان قد رآه فعلا في منامه، معترفا أن النسيان كاد أن يمحو كل أثر لهذا اللقاء الروحي من باله. وخلال المدة التي مكثها سيدي احمد التجاني بفاس وزار خلالها قبر الولي ادريس، لقن تلميذه الطريقة الخلوتية وأذن

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 68.

- محمد الحجوجي الحسني، كتاب اتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، مخطوط بخزانة الخاصة، من ص 98 إلى ص 117.

2 - علي حرازم برادة، جواهر المعاني، م. س، ج I ص 42.

3 - نفسه، ص 42.

- احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 68 وما بعدها.

- محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 99 وما بعدها.

له في الحزب السيفي المنسوب للقاضي أبي محمد شمهروش الجني، وقبل أن يعود الشيخ التجاني إلى تلمسان أخبر علي حرازم برادة بأنه ينوي الانتقال من هذه المدينة إلى مكان آخر¹.

ولما وقع الفتح الأكبر لسيدي احمد التجاني بأبي سمغون عام 1782/1196 كما سبق تفصيل ذلك، صار علي حرازم برادة يتردد على الشيخ بهذه البلدة من حين لآخر، أخذ عنه، متتبعا تطور دعوته، مشاركاً له في أذكاره وخلواته، لا يحيد عن توجيهات مذهبه إلى أن عزم سيدي احمد التجاني على الانتقال إلى فاس بصفة نهائية، فصحبه في هذا السفر الذي استفاد خلاله من الشيخ على حد تعبيره أيما استفادة وبعد مضي شهرين على وصولهما إلى هذه الحاضرة أمره الشيخ بجمع جواهر المعاني من املائه، بعد أن كان أمره بتمزيقه، فمزق بالفعل ولم يصدر الشيخ أمره بإعادة جمعه إلا بعد أن أوحى له الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك².

ويرى شيوخ التجانية وفقهاؤهم أنه نظرا لجلال هذا الكتاب، وعظيم منفعته، فقد دخل بسببه كثير من الناس في الطريقة التجانية.

1 - علي حرازم برادة، جواهر المعاني م. س، ج I . ص 43.

- محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 100 وما بعدها.

2 - نفسه، ص 100.

- علي حرازم برادة، جواهر المعاني م. س، ج I ص 45 وما بعدها.

وفي هذا الصدد يقول الفقيه محمد الحجوجي: «وقد شوهد لهذا الكتاب، يعني الجواهر في المكان الذي يكون فيه من الحفظ وسعة الأرزاق وكثرة السعادة وتحسن الأخلاق ما لا يحيط به إلا الملك الخلاق»¹. كما أن هذا الكتاب كان مصدر إلهام لعدد من الشعراء كما سنوضح ذلك فيما بعد.

وبناء على هذه المعطيات، فقد ساهم علي حرازم برادة بقسط كبير في تدعيم ركائز الطريقة التجانية بفاس وخارجها، بإيمانه بدعوة الشيخ منذ وقت مبكر، ومساندته له في أبي سمغون وفي فاس² التي ضمن له بها المأوى قبل أن يرحب به المولى سليمان، وخصوصاً بجمعه لكتاب جواهر المعاني المتضمن لشذرات عن شخصية سيدي أحمد التجاني، وأطوار حياته العلمية والصوفية، ومعلومات ضافية عن تعاليم الطريقة التجانية، وأقوال شيخها وأفعاله وتفسيراته لبعض ما ورد في الكتاب والسنة، وبعض رسائله إلى جهات مختلفة، مما استحق معه لقب خليفة الشيخ بامتيان، وهذا الاستحقاق هو الذي نقرأه في إجازة من الشيخ سيدي أحمد التجاني إلى علي حرازم برادة بتاريخ 8 ذي الحجة

1 - محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 100.

2 - ادريس العراقي، اليواقيت العرفانية في التعريف بالشيخ أحمد التجاني وبطريقته وزاويته الأم التجانية، مرقون ضمن ندوة الطريقة الصوفية التجانية المنعقدة بفاس ما بين 23 و29 دجنبر 1985، ص 18.

- أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 69.

1214¹ «...من عظمه فقد عظمنا ومن احترمه فقد احترمنا ومن أطاعه فقد أطاعنا، ومن أطاعنا فقد أطاع الله ورسوله، ومن خالفه فقد خالفنا ومن خالفنا فقد خالف الله ورسوله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وقد أجزنا وأذننا له في جميع ما لنا مقروع ومسموع، ومفروق ومجموع... وقد جعلناه الخليفة عنا، وأقمناه مقامنا في العلوم والأحوال والدرجات»².

غير أنه يبدو أن علي حرازم برادة لم ينل هذه الثقة وتلك التزكية من شيخه إلا بعد أن مر بصعوبات جمّة جعلت سيدي احمد التجاني يقسو عليه أحيانا ويوجه له من العتاب مما كان من شأنه أن يصلح ظاهره وباطنه، خصوصا عندما كان يتعلق الأمر بتطلعات الفقيه برادة إلى مقامات صوفية بعيدة المنال، وما كان يقع فيه من تجاوزات لا تشرف المرید أمام شيخه.

ومن المقاطع التي تعبر عن اللوم الذي وجه لحرازم برادة من قبل شيخه في رسالة جوابية له: «... واترك عنك ما يتغلغل في قلبك من خواطر السوء المفضية إلى سوء الأدب مع الله ومعنا بطلبك أمور لا نسبة

1 - أورد محمد الحجوجي الحسني تاريخا مخالفا لتحرير هذه الإجازة وهو سنة 1216

عوض سنة 1214: انظر اتحاف أهل المراتب العرفانية، م.س.ص 109.

2 - محمد الحجوجي الحسني، م.س، ص 106 إلى 108.

لها فيك، بل ليس فيك إلا نسبة نقائضها¹، لأن من يتصرف هكذا، في تقدير الشيخ التجاني، يريد أن ينال بدون أدنى مجهود، وهو ما عناه بقوله لمريده حرازم:

لقد رمت الحصاد بغير حرث يغوص البحر من طلب اللآلي²

ثم انتقل الشيخ التجاني، في نفس الرسالة إلى إعطاء رأيه في ما طلبه منه مريده هذا، وما وقع له من أمور لم تساعد على بلوغ مراده... «أما ضمان المعرفة بالله من مقام محيي الدين فأنا اضمنه لك إلا القطبانية فلا أعلم فيها أمرا ولا أضمنها، وهي موكولة إلى مشيئة الله وعلمه... وإنني تخوفت عليك من طلب الأغراض منا أن تنقطع عنا... فإذا طال أمرك ولم تر من أغراضك إلا الوساويس... فانهدم قصر اقتصارك علينا برغبتك في غيرنا، فتنقطع المحبة من أصلها وتقع فيما لا قدرة لك على حمله من الضرر...»³. ولم تخل هذه الإجازة، علاوة على ما سبق، من تحذير هدفه تقويم مريده وتنبيهه إلى الأخطاء التي يقع فيها، وهذا ما

1 - المصدر نفسه، ص 105-106.

2 - نفسه، ص 106.

3 - نفسه.

جعله يقول متحدثاً عن علي حرازم برادة «وقد سامحته وتجاوزت عنه في جميع ما أخذ وأكل من متاعي بعلمي أو بغير علمي، ظاهراً أو باطناً في جميع الأمور الظاهرة والباطنة المتقدمة والمتأخرة مسامحة تامة عامة خالدة تالدة»¹. وبعد هذه المجموعة من التوجيهات والملاحظات القاسية لعلّي حرازم برادة، خلاص الشيخ التجاني إلى القول، موجهها مريده: «واذهب، والزم والتزم ما قلناه لك من الأوراد، مسلماً قيادك لله في الرضا بما أقامك فيه حتى يأذن الله لنا ولك بالفتح... وأنا ضامن لك أن لا تسلب ما دمت في محبتنا²...»

ومهما تكن أخطاء علي حرازم برادة، فإنه تمكن من تجاوزها والتغلب عليها بفضل همة شيخه، وقوة باطنه، وامتناله لارشاداته والاعتراف أمامه بانكساره وضعف حوله، فنال بذلك مبتغاه، بعد أن نال رضا شيخه الذي عينه خليفة له، واصطفاه لتدوين كل أقواله وأفعاله طيلة المدة التي صاحبه فيها فنتج عن ذلك كتاب جواهر المعاني الذي ذكر مؤلفه أن الرسول صلى الله عليه وسلم نسبه إليه عندما قال في شأنه: «كتابي هذا وأنا الفتة»³، رواية عن سيدي احمد التجاني الذي نسب إليه

1 - المصدر نفسه، ص 108 - 109.

2 - نفسه، ص 106.

- احمد سكيرج، كشف الحجاب، ص 89. =

أيضا قوله: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هو (حرازم برادة) منك بمنزلة أبي بكر مني وبمنزلة هارون من موسى»¹.

ونود أن لا نترك الكلام عن علي حرازم برادة دون طرح سؤال عريض: لماذا كان يطلب الشيخ التجاني من كل من حصل له الفتح من أصحابه أن لا يبقى معه في البلد الذي يوجد فيه²؟ فعلاوة على علي حرازم برادة الذي سيضطر إلى مغادرة فاس إلى بلدان أخرى، سيعرف نفس المصير كل من ابن المشري وابن الأحمر وغيرهما.

صحيح أن هؤلاء الثلاثة قدموا خدمة جليلة لتوسيع نفوذ التجانية في البلدان الأفريقية والاسيوية، وتعزيز أواصر المسلمين في تلك الأصقاع. ومع ذلك فإن هذا الأمر في حاجة إلى معرفة أسبابه وأهدافه الحقيقية، وهي مهمة استعصيت علينا. وقد نزل علي حرازم برادة عند رغبة شيخه، فقصد الديار المقدسة مرورا بتونس ومصر. وفي طريقه

= 3 - أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 73.

1 - نفسه، ص 68.

2 - ينسب لسيد أحمد التجاني قوله: «إذا فتح الله على أصحابي فالذي يجلس منهم في البلد الذي أنا فيه يخاف على نفسه من الهلاك، فقال له بعض أصحابه: منك أو من الله فأجابه بقوله: من الله تعالى من غير اختيار مني...» انظر:

- محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 111.

- أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 83.

كان يربي ويلقن الناس تعاليم الطريقة وأورادها، وكان برفقته في هذا السفر عبد الوهاب بن الاحمر، وعندما وصل إلى الحجاز قام بنفس الدور إلى أن وافته المنية هناك سنة 1218م، ومن الذين حضروا جنازته الحاج عبد الوهاب بن التاودي المعروف بابن الاحمر السابق ذكره¹.

الفقيه محمد بن المشري الحسني السائي التكريتي (ت

1224)². يصف علي حرازم برادة في كتابه جواهر المعاني هذا الشيخ بأنه عالم علامة فاهم دراية جامع بين الحقيقة والشرعية والإفادة وعلوم الطريقة، خازن سر الشيخ التجاني وحافظ عهده ومحل وده وخليل أنسه. ونفس الانطباع نقرأه في كتاب ميزان الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية، وبغية المستفيد لشرح منية المريد. أما احمد سكيرج فقد ذكر عنه أنه علامة فهامة دراية حامل مذهب الإمام مالك، والسالك في العلوم أقوم المسالك، خزانة الاسرار العرفانية وترجمان الطريقة التجانية، كان من خاصة الخاصة من أصحاب سيدي احمد التجاني والوارثين من

1 - محمد الحجوجي الحسني، اتحاف أهل المراتب العرفانية. م. س، ص 117.

2 - علي حرازم برادة، جواهر المعاني، م. س، ج I، ص 86.

- سيدي عبيدة ابن انبوجة الشنقيطي التيشيتي، ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية، م. س، ص 14.

محمد العربي بن السائح، بغية المستفيد لشرح منية المريد، م. س، ص 256.

منهل علومه الوهية والمطلعين على بعض أسرارهِ الغيبية¹.

هذا الولي الصالح الذي تجمع كل المؤلفات التجانية، بما في ذلك جواهر المعاني على المكانة الخاصة والتميزة التي كان يحتلها في قلب سيدي احمد التجاني، شكل احد المنارات المشعة إلى جانب علي حرازم برادة، في تاريخ الطريقة التجانية بما قدمه لها ولشيخها من خدمة من أجل إشاعة مبادئها بين الناس في فاس وخارجها إما عن طريق اللقاءات المباشرة التي يعقدها مع المحبين والمريدين وإما عن طريق تأليفه المتعددة، ناهيك عن الدور الذي قام به عدد مهم من أفراد عائلته لنفس الغاية، وفي هذا الصدد يذكر علي حرازم برادة متحدثاً عن محمد بن المشري، ما يفيد أن دار أسرته دار علم وصلاح، ولا زالوا إلى الآن من العلماء العاملين، جلهم أخذوا طريقة الشيخ سيدي احمد التجاني² الذي كانوا يتجشمون عناء السفر لمدة تزيد عن عشرين يوماً من أجل زيارته حاملين معهم للشيخ أصنافاً متعددة من متاع الدنيا كالثياب والتمر وغير ذلك. وقد رآهم علي حرازم برادة عند الشيخ في مناسبات متعددة، فما رأى أحسن منهم «سمتا ودينا وعلمنا وجلهم منذ عرفنا سيدنا رضي الله عنه وتأتيه الوفود من جميع النواحي والهدايا، ما رأيت أحسن منهم في

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 149.

2 - علي حرازم برادة، م. س، ص 86.

الأدب والتعظيم وحسن النية¹....».

كان أول لقاء بين محمد بن المشري وسيدي احمد التجاني هو الذي تم عام 1774/1188 بتلمسان بعد عودة هذا الأخير من الديار المقدسة وفيه تلقى ابن المشري عن الفقيه التجاني الطريقة الخلوتية مع أسرار وأذكار أخرى. وكان إلى جانب شيخه عندما حصل له الفتح الأكبر بأبي سمغون. وعندما قرر الانتقال إلى فاس كان ضمن الأشخاص الذين رافقوا الشيخ في هجرته، ونظرا لعلمه وورعه وتذله وتفانيه في خدمة الطريقة، وبسبب الثقة التي أصبح يحظى بها عند الشيخ فقد اتخذ منه هذا الأخير إماما في صلاته منذ 1794/1208²، بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم، وكاتبا له محرر تارة الرسائل والأجوبة التي يبعث بها إلى جهات مختلفة ولاغراض متنوعة باسم شيخ الطريقة، وتارة أخرى محرر ما يمليه عليه نفس الشيخ أو يسمعه منه، وهو ما مكنه من تأليف كتاب الجامع لما افترق من العلوم³، على غرار ما فعله علي حرازم برادة في كتاب جواهر المعاني.

1 - نفس المصدر، ص 87.

2 - نفسه.

3 - العنوان الكامل لهذا الكتاب الغير المنشور هو: الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، انظر أيضا كشف الحجاب لاحمد سكيرج ص150.

هذا الفقيه الذي أصبح خليفة لسيدي احمد التجاني بعد وفاة علي حرازم برادة سنة 1218، سيجد نفسه مضطرا للابتعاد عن فاس بعد أن فتح الله عليه بفضل هذه الطريقة المحمدية خوفا على نفسه من الهلاك، كما أمر بذلك سيدي احمد التجاني الذي قال: «إذا فتح الله على أصحابي فالذي يجلس منهم في البلد الذي أنا فيه يخاف على نفسه من الهلاك¹...» وقد سبق لصاحب كتاب جواهر المعاني أن انصاع إلى تنفيذ نفس الامر كما مر بنا.

ومرة أخرى نعود لطرح نفس السؤال، بنفس المناسبة. لماذا كان يطلب سيدي احمد التجاني من أصحابه المفتوح عليهم أن يبتعدوا عن المكان الذي يوجد فيه؟

ودون أن نطمح إلى الإجابة على هذا السؤال بما يشفي الغليل في الوقت الراهن، نكتفي بالقول أن محمد بن المشري استمر في تعبئته لمواصلة نشر تعاليم الطريقة بالصحراء بعد أن شد الرحال إلى عين ماضي وظل على عهده إلى أن توفي بها سنة 1224².

1 - سبق أن أشرنا إلى هذه القولة في صفحة سابقة، وقد وردت عند احمد سكيرج في كشف الحجاب، ص 152. وعند محمد الحسني الحجوجي في اتحاف أهل المراتب العرفانية ص 111.

2 - احمد سكيرج. كشف الحجاب. م. س، ص 151.

- محمد الحجوجي، م. س، ص 147.

الفقيه محمد الطيب السفيفاني (ت 1259):¹ فقيه، وعلى كامل

المعرفة بالتجويد، موصوف بالولاية الكبرى والفتح الكبير، ورغم أنه اشتهر بالسفيفاني فإنه لا تجمع له أية رابطة دموية بالسفيفانيين القاطنين بفاس، وسبب شهرته بالسفيفاني تربية جده في احضان الولي الصالح سيدي الحسن بن ابراهيم السفيفاني والذي استقر بفاس إلى أن توفي سنة 1089هـ، وكانت له طريقة واتباع وكان سبب دخول الطيب السفيفاني في الطريقة التجانية أنه لما ذهب إلى الحج ومر بمصر، اتاحت له فرصة الاطلاع على كتاب جواهر المعاني، فتاقت نفسه على إثر ذلك إلى الدخول في هذه الطريقة والتخلي عن الوزانية. وهذا ما تم له بالفعل بعد رجوعه إلى فاس، في قصة قدمنا ملخصا لها في مكان سابق.

ولم تمض مدة طويلة على دخول السفيفاني في هذه الطريقة، حظي بمحبة خالصة لدى الشيخ الذي صار يثني بين العامة والخاصة من أصحابه². وقد قام الشيخ إليه مرارا تعظيما له واحتراما جريا على عادته في تقدير الشرفاء، وفي هذا الصدد يذكر صاحب كشف الحجاب أن الإمام النووي ألف في استحباب القيام لأهل الفضل جزءا مستقلا،

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب. م. س، ص 170.

- محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 156 إلى ص 162.

2 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 174.

وتعقبه ابن الحاج في المدخل. كما ورد في بعض الآثار يضيف نفس المصدر، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رآه سيدنا حسان بن ثابت مقبلاً بادر بالقيام وانشد:

أقوم والقيام إليك فرض وترك الفرض أنى يستقيم
أيمكن من يكون له عقل رجيح ومعرفة يراك ولا يقوم¹

لم ينل الطيب السفيفاني هذه الرتبة من حب الشيخ له، إلا بعد أن أظهر مثابرة متميزة في بث تعاليم الطريقة واذكارها بين جموع الناس التي ارتفعت أعدادها مع مرور الزمن بمدينة فاس وقد ساعده على ذلك علمه وهمة الشيخ وماله الواسع الذي حباه به الله، ولعل هذه الصفات هي التي أهلت له لنيل مرتبة المقدم من شيخه.

لقد أظهر محمد الطيب السفيفاني بصفته عالماً وولياً صالحاً ومقدماً سخاء كبيراً في انفاق الأموال الباهضة خدمة لأهداف الطريقة التجانية، تارة بإطعام الفقراء والمساهمة في بناء الزاوية، وأحياناً أخرى في أداء ثمن مشتريات متنوعة لفائدة الشيخ وأسرته وضيوفه، هذا مع الإشارة إلى أنه كان في آخر عمر الشيخ هو الذي يتولى صائر داره²، ومما يدل

1 - نفس المصدر، ص 175.

2 - محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 162.

على أن حطام الدنيا كان في يده ولم يكن في قلبه، طلبه من الشيخ التجاني أن يدعو الله له بأن يتوفاه على محبته فدعا له بذلك وقال له: أعد للفقر جلبابا. وبعد هذا الدعاء بدأت ثروته في التراجع سنة بعد أخرى مقابل اطمئنان قلبه بمحبة الشيخ إلى أن وافته المنية، ليدفن بجبل زعفران بفاس. وعلى غرار علي حرازم برادة ومحمد بن المشري فإن محمد الطيب السفيناني ألف كتابا مساهمة منه في تدوين بعض كلام سيدي احمد التجاني، ويحمل هذا الكتاب عنوان: الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، ورتبه على عدد من حروف المعجم، وقد نشأ ابنه احمد بن الطيب السفيناني على محبة الشيخ وطريقته.

عبد الوهاب بن الاحمر (ت 1269 هـ)¹: هو الولي الصالح
عبد الوهاب بن التاودي المعروف بابن الاحمر نسبة إلى المدينة الحمراء،
الغرناطي الأصل الفاسي المولد والدار والإقبار. من الأوائل الذين بادروا
إلى الوقوف إلى جانب الشيخ سيدي احمد التجاني، فأصبح في مدة
قصيرة من خاصة خاصته الذين لازموا حضرا وسفرا². ويشهد على هذا
السبق قراءته للوظيفة مع جماعة من أحباب الطريقة بباب دار سيدي احمد

1- نفس المصدر، ص 148.

- احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 231 وما بعدها.

2 - نفسه، ص 232.

التجاني، قبل إنشاء الزاوية بفاس، وبحضور الشيخ نفسه¹، وهو أحد العشرة الذين ضمن لهم النبي صلى الله عليه وسلم الفتح الكبير حسب ما أخبر به سيدي احمد التجاني، كما أنه كان من الملازمين لعلي حرازم برادة إذ رافقه في سفره إلى الديار المقدسة بأمر من الشيخ، وحج معه، وأخذ عنه، وتعلم منه الشيء الكثير بفضل هذه الصحبة الطويلة خارج الوطن. ولم يفترق عن شيخه حرازم، إلا بعد أن فرق بينهما الموت، عندما شاءت الأقدار الالهية أن يلفظ هذا الأخير أنفاسه الأخيرة في أطهر بقعة ببدر²، فحضر ابن الأحمر جنازته وعاد إلى فاس محملاً بالكثير من أسرارهِ، متألماً لفراقه. وكان عزاءه الوحيد في هذا المصاب، والأمل الذي كل من تمسك به أصاب، هو شيخه الأكبر سيدي أحمد التجاني الذي يختفي برؤيته كل كرب، فلازمه بزاويته بعد هذه العودة، واستمر يقبس من أنواره، ويستنير بهديه وإرشاده، حتى صار بحرا في أسرار الطريقة

1 - كانت البقعة التي تتم فيها هذه القراءة طاهرة. صلى بها الشيخ مع جماعة من أصحابه، ولما كان هذا المكان يكثر عليه توارد الزوار. وممر للدخل والخارج من الدار، أمر سيدي احمد التجاني نشر ثوب يغطي كل البقعة التي يتعبد فيها حتى تتأكد طهارتها، وبعد الانتهاء من القراءة يطوى ذلك الثوب ويصان، ولا يستعمل إلا لنفس الغرض. وبعد إنشاء الزاوية دأب التجانيون على نشر الثوب أمامهم وسط الحلقة أثناء تلاوة جوهرة الكمال بمرأى ومسمع من الشيخ لاستحسانهم له لما فيه من الأدب الخاص.. ثم تتابع الناس في سائر اقطار الارض على هذا العمل. انظر كشف الحجاب. م. س، ص 238.

2 - حدثت هذه الوفاة سنة 1218. انظر كشف الحجاب، م. س، ص 232.

لا يضاهاى، مما جعل الفقيه محمد الحجوجي يقول نقلا عن العربي بن السائح: «...لم يرو الحزب الموسوم بحزب البحر عن الشيخ رضي الله عنه أحد من جميع أصحابه إلا صاحب الخاص لسيدنا رضي الله عنه سيدي الحاج عبد الوهاب بن الاحمر ولم يأذن فيه أحد من أصحاب الشيخ إلا هو...»¹.

ومما يدل على الجهود التي بذلها للتعريف بالطريقة التجانية وترغيب الناس في الدخول فيها، كثرة الأشخاص الذين انخرطوا في الطريقة على يديه، والإجازات التي أجاز بها عددا من المريدين، ونكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة لذلك.

من الأشخاص البارزين الذين أخذوا عنه أسرار الطريقة ولطائفها² العربي بن السائح الغني عن التعريف، والذي سنفصل القول بشأنه في المكان المناسب، ومولاي عبد الله الودغيري البدراوي³ نقيب الشرفاء الوداغير المتوفى سنة 1316، ومولاي عبد الملك العلوي الضرير مربي المريدين وإمام المرشدين، وهو صاحب كرامات ومناقب وخطب وأحزاب، اعتنى بعض العلماء من الطريقة التجانية بجمعها في تأليف حمل

1 - محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 148.

2 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 237.

3 - نفسه، ص 236.

عنوان: «الروض النضير بترجمة الشريف مولاي عبد الملك الضرير»¹.
وقد أورد صاحب إتحاف أهل المراتب العرفانية نموذجاً للإجازات التي كان يجيز بها مريديه، عندما قال: «وقد وقفت على إجازة أجاز بها بعض الفضلاء وإليك نصها»². ونكتفي من جهتنا بانتقاء بعض العبارات منها: «الحمد لله بلسان المرتبة الجامعة للكمالات كلها والصلاة والسلام على من خصه الله بالعلوم والأسرار بأجمعها وبعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه عبد الوهاب بن التاودي الشهير بابن الأحمر التجاني طريقة المسكين حقيقة، قد أذنت وأجزت للفقير النبيه الناسك النزيه أبي حفص سيدي عمر بن الفقيه سيدي محمد بن علي الجلاوي المراكشي في كل ما اشتمل عليه شيخنا... أحمد بن محمد التجاني... من جواهر المعاني وبلوغ الأماني من جميع الأحاديث والأذكار والصلوات على النبي المختار، وأن يأذن لمن طلب منه دعاء أو صلاة أو غيرها... وكذا أذنته في تلقين الورد لكل من طلبه من المسلمين بالشرط المذكور... وكن الله يكن لك الله... نور الله قلبك بالمشاهدة وزين ظاهرك بالمجاهدة... واقبل عليك بفضله ورضاه... تجاه النبي وآله وسلم تسليماً». بتاريخ أول صفر عام

1 - نفس المصدر، ص 234-235.

2 - نفسه، ص 150.

اثنتين وستين ومائتين وألف (1262/1853)¹. توفي عبد الوهاب بن الأحمر عام 1269 هـ كما سبق، بعد ستة عشر شهرا لإدراكه القطبانية، حسب ما أخبر به الفقيه الحجوجي دون أن يذكر المصدر الذي اعتمد عليه، وتم دفن ابن الأحمر بقباب باب الفتوح².

محمد الغالي بوطالب (ت1244)³ : كان يسكن بمكناسة الزيتون وقصد سيدي احمد التجاني بمجرد أن سمع به، وفي مدة قصيرة صار من أفاضل خاصة الخاصة من أصحاب هذا الشيخ، وهو أحد العشرة المضمون لهم الفتح الأكبر، كما قيل عنه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له: أنت ابن الحبيب وأخذت طريقة الحبيب⁴. وصفه صاحب البغية بأحد أركان الطريقة التجانية ممن انتشرت على أيديهم بالمشرق والمغرب، وعنه انتقلت إلى السوادين⁵. ولم ينل هذه الدرجة العظمى في الطريقة إلا بسبب حبه للشيخ وإخلاصه في إذاعة أفكارها بين

1 - محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 151 وما بعدها.

2 - نفسه، ص 153.

3 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 262 وما بعدها.

محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 132 وما بعدها.

4 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 263

5 - محمد العربي بن السائح، بغية المستفيد....، م. س، ص 259

الخاص والعام، مما جعل الشيخ يجيزه في الطريقة ويأذن له بتقديم أربعة، وكل واحد من هؤلاء الأربعة يسمح له بتقديم أربعة لا أكثر، حسب ما ورد في كشف الحجاب، لكن صاحب أهل المراتب العرفانية يضيف رواية أخرى علاوة على الرواية السابقة مفادها أن سيدي احمد التجاني أمره أن يقدم ستة عشر مقدما وكل واحد منهم يقدم أربعة، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، بضيف نفس المصدر¹.

ويمكن التوفيق بين الروايتين بكون الشيخ التجاني رخص له في مرحلة أولية حسب الرواية الأولى، ثم رقاها بعد ذلك، تبعا لكفاءته في مرحلة ثانية. وأيا كان الأمر فالملاحظ أن سيدي احمد التجاني لم يكن إذنه في التقديم لمحمد الغالي بوطالب مطلقا، وأمام هذا الواقع وبناء على معطيات أخرى نتساءل عن سبب تجاوز هذا الأخير للحد المرخص له فيه؟ تجيب الأدبيات التجانية على هذا التساؤل بكون هذا الشيخ لم يتعد الحدود المسموح له بها في التقديم طيلة حياة الشيخ وقبل أن ينتقل محمد الغالي إلى الحرمين الشريفين، لكن بعد أن أصبح مقيما بالديار المقدسة، تقول هذه الأدبيات، فالذي صار يظهر من عمله الاطلاق، إذ لا شك تضيف نفس المصادر أنه حصل له الاذن فيه من بعض من لقيه في البلاد المشرقية من المقدمين، وإما من غيرهم بطريق الاستفاضة من روحانيات

1 - محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 135

الأنبياء و ورثتهم¹. أما سبب انتقاله إلى الحرمين الشريفين فيبدو أنه مرتبط بوصية الشيخ التي لا بد من الحرص على تنفيذ مقتضاها، بالرحيل عن المكان الذي يوجد فيه الشيخ بالنسبة لكل من فتح الله عليه. وبما أن محمد الغالي بوطالب كان ممن أدرك التصرف في الوجود والتربية الخاصة في الطريق، فإنه يعد من بين الذين تحتم عليهم مغادرة البلد الذي يوجد فيه الشيخ كما حصل لعلي حرازم برادة ومحمد بن المشري². ومما يشهد لمحمد الغالي بالدور البارز الذي قام به في نشر تعاليم الطريقة وتعزيز وجودها في داخل المغرب وخارجه علاوة على ما سبق، تخرج جماعة من أعيان الطريقة على يده كسيدي بوعزة ولد الخليفة حرازم برادة وحمامد لحلو وموسى بن عزوز صفي الشيخ الذي أجازته في بعض أسرار الطريقة، ولسان الطريقة محمد أكنسوس الذي أخذ عنه أول ما أخذ، وسيدي احمد بناني كلا، والحاج عمر الفوتي التكروري³. توفي محمد الغالي سنة 1244 ودفن بجانب أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، بمكة المشرفة⁴.

1 - محمد العربي بن السائح، بغية المستفيد...، م. س، ص 259.

- احمد سكيرج، كشف الحجب، م. س، ص 262.

2 - محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 135.

3 - نفسه، ص 137.

4 - نفسه.

الحاج الغازي¹ : رجل بربري من قبيلة بني مطير، كان من الأولياء الصالحين العابدين الزاهدين، أخذ عن سيدي احمد التجاني مباشرة، وكان من قدماء أصحابه، من الذين وقفوا إلى جانبه في الأيام العصيبة الأولى رغم بعد سكنه. ونظرا، لقوة إيمان هذا الرجل وقيامه على ساق الجد في الطريقة، تمشيا مع إرادة الشيخ التجاني قبل وفاته، ومع العلم أن الحاج الغازي لم يكن له شأن كبير في الثقافة والعلوم، فإنه فاز بهذا الحظ، لأن الترقى في مدارج السلوك لمعرفة الله يرتكز أساسا على الصدق والثبات أكثر من أي شيء آخر. ومما يبرز الدور الذي لعبه الحاج الغازي هذا في العمل على الدفع بالطريقة إلى الامام على عهد الشيخ وبعده، الاذن الذي منحه لمحمد بلقاسم بصري المكناسي في تلقين أوراد الطريقة لمن رغب فيها، رغم علو كعب هذا الأخير في شتى ميادين العلم والمعرفة والذي سيلعب دورا متميزا في خدمة الطريقة.

محمد بلقاسم بصري (ت 1293هـ)² : يفتح الفقيه محمد

الحجوجي الكلام عنه بوصفه بالشيخ الإمام العالم الهمام، الولي الصالح

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 429 وما بعدها.

- محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 235 وما بعدها.

2 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 422 وما بعدها.

- محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 213.

والمقدم الناصح، أحد أركان الطريقة أبو عبد الله سيدي محمد بلقاسم بن الطيب المعروف بابن بصري، كان خطيباً بالجامع الكبير بمكناسة الزيتون، أخذ عن سيدي احمد التجاني وتأدب وتخلق بأخلاقه. وغطاه هذا الأخير مرة بردائه وقال له: «قبلناك على أية حالة كنت»¹، ويستفاد من نفس المصدر أن الشيخ التجاني لم يناد أحد قط باسم المقدم إلا له، غير أن محمد بلقاسم بصري، طبقا لما تتضمنه المصادر التجانية، لم يحظ بأخذ الإذن في تلقين الطريقة وأورادها عندما كان الشيخ على قيد الحياة، فهل يرد ذلك إلى صغر سن هذا المريد آنذاك ثم وفاة الشيخ فيما بعد؟ ويبدو أنه نظرا للمكانة التي كان يحتلها بلقاسم بصري، في قلب الشيخ قبل وفاته، ونظرا لما برهن عليه فيما بعد من تفان في التعريف بالطريقة، مما شهد له به الكثير من الأصحاب والاحباب من كبار أطر التجانية، فقد حصل على الإذن بالتلقين من أكثر من شيخ تجاني تتوفر فيه شروط الترخيص والإجازة كعلي التماسيني، وعبد الوهاب بن الأحمر، والحاج الغازي² وبخصوص الإذن الذي خصه به التماسيني يقول بلقاسم بصري: «ومما من الله على أفقر الوري إلى رحمة مولاه... أن حصل له الإذن في تلقين ورد شيخنا العارف الأكبر والكبريت الأحمر...

1 - نفسه، ص213.

2 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص422 إلى 429.

مولاي أبي العباس احمد بن محمد التجاني (ر)، من أخينا في الله المحبوب
البركة الذي كان يشهد له الشيخ (ر) حال حياته بالفتح تصريحا وعنده
الاذن من الشيخ وكان يلقي الأوراد حال حياة الشيخ وهو سيدي الحاج
علي بن الحاج عيسى من بلاد تماسين بصحراء الجريد، ومن هناك كتب
إلي بالإن بخط يده....»¹.

وقد أجازة عبد الوهاب بن الأحمر أيضا. ومما جاء في هذه الإجازة:
«أجزت لحبيينا وصفينا ومحل ودنا وسرنا الفقيه المحب في الله... محمد
بلقاسم بصري... في تلقين الأوراد والأذكار المشهورة والمأثورة عن
شيخنا وخليفته رضي الله عنهما، مما اشتمل عليه كتابه المسمى بجواهر
المعاني... وكذا مما سمع منه وأخذ عنه من كل ما يرجع للطريقة التجانية
من خاص وعام تلقينا وإجازة عامة وكذا إن ظهر له من يصلح للتقديم من
غير سكان بلد مكناسة الزيتون مدة حياته ما يظهر له فيه صلاح الإخوان
والمسلمين»².

ومما وجد بخط يد محمد بلقاسم بصري، في شأن إجازة الحاج
الغازي له، أن هذا الأخير بدروه كان قد أجازة محمد الغالي بوطالب، الذي
سبق أن ذكرنا في شأنه أن سيدي احمد التجاني أذن له في تقديم أربعة

1 - محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 213.

2 - نفسه، ص 215-216..

أشخاص، وكان الحاج الغازي أحد الأربعة الذين قدمهم بوطالب، وحصل هذا الاذن في أوائل عام أربعة وأربعين ومائتين ألف (1244 / 1829) بضريح الشيخ بزاوية فاس¹. و سواء أخذ محمد بلقاسم بصري التقديم عن الشيخ مباشرة أو عن غيره من خلفائه، وبعيدا عن الجدل الذي أثاره هذا الموضوع بين فقهاء التجانية، فإن المؤكد هو أن هذا الشيخ بلغ حدا من السلوك والترقي في مدارج الفتوحات والأنوار جعله ينال احترام كبراء الطريقة التجانية في شمال المغرب وجنوبه، ونكتفي هنا بإدراج مثالين الأول من الشمال والثاني من الجنوب.

الشخص الذي نقدمه كمثال من الشمال هو سيدي العربي بن السايح الذي يخاطب محمد بلقاسم بصري في إحدى رسائله بقوله: «سيدنا الأعظم الذي إليه تنتهي المساند وركننا الشديد الذي إليه الإيواء في

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 429.

والواقع أن مسألة أخذ بلقاسم بصري عن الشيخ التجاني مباشرة ليس حولها اجماع بين مؤرخي التجانية، وحتى إذا كان أخذ عنه مباشرة، هل أخذ الورد أم التقديم؟ يقول الفقيه الحجوجي حول هذا الموضوع: «ما ذكرناه قبل أن صاحب الترجمة أخذ عن سيدنا رضي الله عنه الاذن في الورد وأخذ الاذن في التقديم عن سيدي الغازي المطيري وعن سيدي الغالي بوطالب هو الصواب» حسب ما وقفت على ذلك في كناشه فعليه التعويل.

انظر: محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 217.

غير أن احمد سكيرج في الجزء الثالث من رفع النقاب (ص 55) المنشور سنة 1971 بعد كشف الحجاب، يذكر أن بعض الإخوان احتج عليه مؤكدا أن بلقاسم بصري أخذ التقديم عن الشيخ مباشرة.

الشدائد، مظهر الأنوار الحميدة... المحيط بإرث هدى السلف بلا نزاع...¹ وفي رسالة أخرى موجهة من العربي بن السايح أيضا إلى ابن محمد بصري واسمه بلقاسم، ورد: «ما نرغب إلى سيادتك فيه أن تنوب عنا في أداء ما يجب لجلالة سيدنا والدكم الأعز حفظنا الله في وجود بركته، وتطلب لنا رضاه ودعاءه الصالح...»²

النموذج الثاني المقترح في التدليل على أهمية محمد بلقاسم بصري، ينتمي صاحبه إلى بلاد شنقيط من أقصى جنوب المغرب الموغل في الصحراء وما وراءها، ولم يذكر المصدر الذي اعتمدنا عليه اسم هذا الشخص، بل اكتفى بنعته بأحد الفحول من أهل شنقيط³ الذي أمره الفقيه محمد أكنسوس إذا ذهب لزيارة سيدي أحمد التجاني عليه أن يزور أيضا ثلاثة نفر من أصحاب الشيخ، وأحد هؤلاء الثلاثة، المقدم محمد بلقاسم بصري، وبعد حياة مليئة بالزهد والعمل الصالح والتفاني في خدمة

1 - أحمد سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، مطبعة الأمنية، الرباط، 1971، ج 3،

ص 55.

2 - نفسه، ص 56.

3 - الغالب على الظن أن الشخص المقصود، هو أحمد العلوي الشنقيطي مؤلف روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر الطريقة والذي له عدة مراسلات مع كبار فقهاء التجانية خلال النصف الثاني من القرن 19 كما سيأتي.

الطريقة التجانية توفي فقيها عام 1293/1876¹.

مولاي محمد بن أبي النصر العلوي (ت 1273)² : فاسي
المنشأ والقرار، علوي سجلماسي الأصل، كان من أكابر العارفين وخاصة الخاصة المقربين، وهو أحد العشرة الذين ضمن لهم النبي صلى الله عليه وسلم المعرفة بالله والفتح الكبير كما يعتبر أحد الخاصة الذين طالت صحبتهم لسيدي أحمد التجاني. ومع طول صحبتته لم يفارقه لا في الليل ولا في النهار، إلا في بعض الأوقات الضرورية، لذلك لم تفتحه أي فريضة خلف الشيخ لمدة ست عشرة سنة، وظهر على ابن أبي النصر هذا كرامات شهد له بها الكثير من الناس وفي مقدمتهم محمد العربي ابن السائح، ومحمد أكنسوس³، مما كان سببا في دخول عدد كبير من المريدين على يده في الطريقة، بل إن البعض من الشعراء كالطاهر السوسي الإفراني الذي وقع تحت تأثير مهابة هذا الرجل لشدة ورعه وعظم قدره المؤيد بالأسرار الربانية والأنوار المحمدية، عندما شاهده بمناسبة قدومه لزيارة سيدي أحمد التجاني تفتقت قريحته عن قصيدة

1 - أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 422.

- محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 217.

2 - أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 158.

3 - نفسه، ص 158 وما بعدها.

استعطف فيها ابن أبي النصر، ورجا من خلالها تحقيق مراده وجاء في
مطلعها:

أمولاي يا ذا الجود يا ابن أبي النصر
ويا من له فضل يجل عن الحصر
ويا من سما عرش الخلافة رافعا
على الرأس من دون الورى راية النصر
ويا من بإرث الشيخ قاد خطة التـ
صرف بالتخصيص من مالك الأمر
اغثنني من دهر تألب صرفه
علي ومن هم يضيق به صدري.¹

وبسبب علو مكانته عند الشيخ سيدي احمد التجاني، ونظرا
للكرامات التي ظهرت عليه، أورد الفقيه احمد سكيرج أن الخاصة من فقهاء
الطريقة كانوا يصفون محمد بن أبي النصر العلوي بالخلافة الكبرى
والوساطة العظمى، في وصول المدد من حضرة الشيخ، بعد وفاة
ال خليفة الأعظم سيدي الحاج علي حرازم برادة، ويضيف أنه وقف في

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 161.

- محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 131.

كناش شيخه العلامة محمد الحبيب الداودي على أسرار عظيمة المقدار، نقلها من خط بن أبي النصر العلوي الذي حصل عليها بدوره من سيدي احمد التجاني¹.

وتوفي في شوال عام ثلاث وسبعين ومائتين ألف (1273/ 1857)، ودفن بروضة سيدي التواتي المجاورة لروضة الجلالية من طالعة فاس². وقبل وفاته أوصى أن يخرج من ثلث إرثه أربعمئة مثقال من عملة الوقت لفائدة الزاوية تصرف في مصالحها. وخلف ثلاثة أبناء هم مولاي بلقاسم ومولاي الطاهر الذي امتاز بين اخوته في مواصلة خدمة الطريق بدون انقطاع، وقد انتقل كل من مولاي بلقاسم ومولاي احمد للاستقرار بثغر الصويرة، إلى أن توفيا وتركاه به ذرية أعطت للطريقة التجانية بهذه الأقاليم دعما وانتشارا نظرا للدور الذي قاموا به في التعريف بها هناك³.

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 169.

2 - نفسه، ص 170.

3 - محمد الحجوجي الحسني، م. س، ص 132.

2 - شبكة من المتقدمين مدعومة بفئة من التجار والحرفيين والمنشدين:

إن المدة الفاصلة بين وصول سيدي أحمد التجاني إلى فاس سنة 1798/1213 للإقامة فيها بصفة نهائية، وتاريخ وفاته سنة 1230/1815 كانت كافية لهذا الشيخ لاعداد المرتكزات الضرورية التي ضمنت ذبوع دعوته وبقاءها وانتشار تعاليم طريقته واستمراريتها داخل مدينة فاس ثم في باقي أنحاء المغرب وخارجه.

فخلال هذه الفترة التي دامت حوالي سبعة عشر سنة وبمساعدة ثلة من أكثر الناس إخلاصا له من أصحابه كالفقيه علي حرازم برادة ومحمد ابن المشر، والطبيب السفيناني، وعبد الوهاب بن الأحمر ومحمد الغالي بوطالب، وغيرهم ممن تعرفنا عليهم، نما عدد الأشخاص الذين يمكن الاعتماد عليهم إما بتزكية من الشيخ أو من أصحابه الذين كان لهم الترخيص المطلوب وفق شروط محددة¹ لتعيين المزيد من المسؤولين في

1 - حدد بعضهم هذه الشروط في تسعة وعشرين، لكن أهمها في تقديرنا الستة الأولى

وهي:

الشرط الأول: أن يكون الشيخ الذي يلحق الأوراد اللازمة والاختيارية مأذونا إننا صحيحا من القدوة أو ممن أذن له.

الشرط الثاني: أن يكون طالب التلقين خاليا من أوراد المشايخ.

الشرط الثالث: عدم زيارة الأولياء الأحياء والأموات.

الشرط الرابع: دوام المحافظة على الصلوات في الجماعة إن امكن ذلك للفضل الوارد ==

افق تعليم الناس أورد الطريقة وأذكراها. وهذا ما كان سببا في ظهور عدد مهم من المقدمين موزعين على مختلف أنحاء مدينة فاس وخارجها، حققوا نجاحا بينا في مهامهم، بمساندة فئة من التجار والحرفيين والمنشدين للقصائد الصوفية المتغنية بالعشق الالهي والنور المحمدي:

فالتجار والحرفيون من التجانيين كانوا على استعداد لتوفير الشروط المادية الضرورية التي تتطلبها تحركات المقدمين وأنشطتهم، في تنظيم حلقات الدروس والافتاء وترؤس تجمعات ليلا ونهارا، وشراء بعض الكتب، وتقديم بعض الهدايا من المصنوعات المحلية عندما تدعو الضرورة إلى ذلك، في حين كان دور ذوي الاصوات الجميلة من المنشدين على إيقاع بعض الآلات الموسيقية، هو جعل الناس يتذوقون أنغام الشعر الصوفي وأبعاده الروحية، ويتلذذون بما يجدونه في الألحان العذبة التي يستمعون إليها من متعة باطنية شبيهة بما يحس به

= = في صلاة الجماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الشرط الخامس: دوام محبة الشيخ سيدي احمد التجاني

الشرط السادس: عدم الأمن من مكر الله لقوله تعالى: ﴿فَأَمْنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمُرُ بِكَ اللَّهُ

إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ﴾.

انظر: محمد سعد عبد الله الرباطي، الدرر السنية في شروط واحكام أورد الطريقة التجانية،

مكتبة القاهرة 1955 ص 4-5.

المريد المتمرس في الطريقة من نشوة وسعادة، عندما يكون بصدد تشغيل سبحته وفمه ولسانه وكل جوارحه، لاهجا بذكر الله، متجردا عن كل الأسباب والحظوظ الدنيوية المادية منها والمعنوية، وهي المقامات التي لا بد أن يصل إليها كل من سار على الطريق من هؤلاء المبتدئين الذين يأخذ المقدمون بأيديهم.

وبما أن الباحث لا يمكن أن يحصر عدد المقدمين والتجار والحرفيين وغيرهم ممن نحن بصدد الحديث عنهم، فإننا نكتفي هنا بتقديم بعض الأمثلة فقط بواسطة الجداول الآتية:

أ - المقدمون:

اسم المقدم	الشيخ الذي أجازته	مكان عمله	بعض المعلومات المتعلقة به	المصدر
أبو يعزى برادة	أجازة كل من عبد الواحد بناني المصري ومحمد الغالي بوطالب والحاج علي التماسيني ومحمد الحبيب	الطالعة، فاس	هو ابن علي حرازم برادة وأحد العشرة الذين ضمن لهم النبي صلى الله عليه وسلم الفتح الكبير، تخرج على يده كثير من المفتوح عليهم في هذه الطريقة .	كشف الحجاب ص، =218 219
عبد الوهاب بنيس الضرير	سيدي احمد لتجاني	فاس	قدمه الشيخ التجاني بشرط ألا يعطي الورد لمن يستعمل القاذورات شما وأكلا وشربا (الحشيشة وتابغة والأفيون). وهذا المقدم هو الذي قال فيه سيدي احمد التجاني، أنت مني بمنزلة ابن أم مكتوم من	كشف الحجاب ص229 ==

==			النبي صلى الله عليه وسلم.	
الحاج الطيب القباب	سيدي احمد التجاني	فاس	كان سيدي احمد التجاني إذا كتب إلى فقراء فاس يصدر به في مكاتباته غالبًا كما كان يخصه في بعض الأوقات دونهم بالكتابة ودخل على يد هذا المقدم خلق كثير في الطريقة التجانية.	كشف الحجاب ص 214- 215
سيدي محمد الغالي بوطالب	سيدي احمد التجاني وغيره	فاس مكناسة والحجاز	هو أحد العشرة المضمون لهم الفتح كما أخبر بذلك سيدي احمد التجاني. وعلى يديه انتشرت الطريقة بالمشرق والمغرب والسودان الغربي	كشف الحجاب ص، 263، بغية المستفيدة ص 259 أهل ==

المراتب العرفانية ص 32 وما بعدها				==
كشف الحجاب ص 261=262	أحد العشرة الذين ضمن لهم النبي (ص) الفتح الكبير واحد أركان الطريقة، قال فيه سيدي احمد التجاني إنه عندنا محبوب على أي حالة كان عليها.	عدوة فاس	محمد الغالي بوطالب	موسى بن معزوز
كشف الحجاب ص 272=273	عالم فاضل. رغم أنه في مصر فقد أخذ عنه المغاربة خصوصا من فاس في عهد سيدي احمد التجاني وعنه يقول صاحب كشف الحجاب: ولقد طارت بفضائله الركبان وشاعت مآثره في غالب	مصر	سيدي احمد التجاني الذي قدمه تقديما مطلقا بخطه الشريف كما تلقى التقديم أيضا من علي حرازم برادة	عبد الواحد بناني المصري
==				

	البلدان وكم من عالم فاضل أخذ عنه التجانية			
محمد الحافظ العلوي الشنقيطي	سيدي احمد التجاني	فاس شنقيط	كان سببا في دخول عدد لا يحصى من الفقراء في الطريقة التجانية بفاس وبلاد شنقيط، وسنفضل الكلام في شأنه بمكان لاحق.	كشف الحجاب 354=356، ثم ص 540.
محمد عبد الله الجيلالي	سيدي احمد التجاني -	-فاس وهران	كان صديقا لسيدي احمد التجاني في الدراسة، وبعد أن أصبح هذا الأخير شيخا استمرت الصلات بينهما وجرت مراسلات بين الطرفين يظهر من خلالها اعتراف محمد عبد الله الجيلالي	كشف الحجاب من ص، 292، إلى 297 ==

	بولاية صديقه القديم، فتشبت بأدياله ودافع عنه. ولما نال التقديم منه دخل على يديه عدد كبير من المريدين في الطريقة			
كشف الحجاب ص 392=393	وقف احمد سكيرج على هذا التقديم بخط يمين الشيخ سيدي احمد التجاني، وقد انتفع به في الطريق أناس من فاس والجزائر.	فاس الجزائر	سيدي احمد التجاني	عبد القادر بن عبد الله المشرفي

محمد بن عبد القادر الزواق	سيدي احمد التجاني	= فاس = الجزائر	توصل بالإذن بخط يد الشيخ التجاني نفسه، وهو فقيه علامة	كشف الحجاب ص 393
محمد بلقاسم بصري المكناسي	علي التماسيني = عبد الوهاب بن الأحمر = الحاج الغازي	= فاس = مكناس	كان أحد أركان الطريقة للمقدمين في تعليم أوراها للناس كما سبق، فانخرط في الطريقة التجانية بسببه خلق كثير في فاس ومكناس وطارت شهرته حتى بلاد شنقيط التي راسله بعض علمائها، وهناك من يرى أن الشيخ التجاني قدمه بدوره.	كشف الحجاب ص 422 وما أهل المراتب العرفانية ص 212 وما بعدها
العباس الشرقاوي	سيدي احمد التجاني	فاس	كان قبل دخوله في الطريقة من العدول المبرزين للشهادة،	كشف الحجاب ص 422 ==

	ولما دخل للطريقة أمره الشيخ بترك حطة العدالة. وهو أحد التسعة الذين كانوا يذكرون التحاصين بأمر من النبي (ص) لسيدي احمد التجاني، توفي بعد وفاة هذا الأخير.			
كشف الحجاب ص 455	انتفع على يده كثير من الخلق بدخولهم في الطريقة التجانية. وهذا المقدم هو أحد حفدة الرحالة الشيخ أبي سالم العياشي	فاس	سيدي احمد التجاني أجازة إجازة مطلقة عامة خالية من كل قيد.	عبد الله بن حمزة العياشي
كشف الحجاب ص 539 إلى 542 ==	هذا الرجل قدم من الصحراء وطلب الدخول في الطريقة فكان له ذلك وقدمه	فاس	سيدي احمد التجاني الذي منحه المقيد ¹ والمطلق ¹	الحسن البوكيلي

==			الشيخ في إعطاء الأوراد وعينه ليؤم الناس في الصلاة بالزاوية.	
المفضل السقاط الفاسي	سيدي احمد التجاني الذي أجازته الاجازة العامة والإذن المطلق	فاس مصر	رغم أنه استقر بعد حجه في مصر، وكان يعلم فيها أوراد الطريقة وتعاليمها لمن أرادها هناك، فإن عددا من سكان فاس تعلموا على يديه تعاليم الطريقة قبل رحيله عن فاس.	كشف الحجاب ص 277 بغية المستفيد ص 260.

1 - التقديم المقيد والمطلق

المقيد: ينقسم إلى قسمين

الأول: أن يجيز الشيخ المقدم في تلقين أوراده فقط ومع بعض الأذكار الخصوصية من غير إذن في تقديم أحد وهذا القسم إنما هو مقصور على صاحبه فلا يقوم مقامه غيره إذا مات.
الثاني: أن يأذن له في إعطاء الورد فقط أو مع الأذكار الخصوصية أيضا كالأول، لكنه يزيد عليه بجواز تقديم عدد مخصوص إن احتاج إليه هذا المقدم من غير زيادة على العدد المقيد له فيه، فإذا نفذ العدد لم يجز له ولا للمأذون له فيه أن يقدم إلا بإذن خاص أيضا.
المطلق: ينقسم أيضا إلى قسمين : ==

ب - التجار:

اسم التاجر	مستوى ثروته	مكان العمل	بعض المعلومات المتعلقة به	المصدر
محمود التونسي	كانت له دينا واسعة	فاس	كان أمينا على أموال الشيخ بالإضافة إلى تسيير ثروته التي رهنها لخدمة الطريقة وتدعيم وجودها بمدينة فاس وخارجها، توفي في شهر ذي ==	كشف الحجاب ص 155/156.

== الأول: هو أن الشيخ قد أطلق فيه الإجازة للمقدم في تقديم من أراد دون حصر لكن هذا التقديم إنما هو في تلقين الأوراد اللازمة فقط وهكذا الثاني يفعل ثم الثالث كذلك إلى يوم القيامة الثاني: أن الشيخ يطلق للمقدم أيضا في الإجازة مثل الأول إلا أنه يزيد عليه في الإطلاق في تلقين الأذكار الخصوصية المكتومة وغيرها. وهذا القسم أعلى درجة في هذه الطريقة، انظر: كشف الحجاب، مصدر، سابق، ص 359 - 540.

==			الحجة عام 1230هـ، ودفن بمقبرة باب الفتوح.	
الطبيب السفياني	كانت له دنيا واسعة	فاس	كان فقيها جليلا عارفا بالتجويد، وهو صاحب الإفادة الأحمديّة، سخر كل ما أعطاه الله من متاع الدنيا، كما سبق، في خدمة الطريقة ومساعدة المريدين فيما يحتاجون إليه ماديا.	كشف الحجاب، ص 170 وما بعدها.
عم العباس ابن الغازي	كانت له دينا واسعة	زقاق الرواح فاس	هو أحد العشرة المضمون لهم الفتح الأكبر. كان سيدي احمد التجاني كثيرا ما يدخل لداره، ونظرا لثروته	كشف الحجاب ص 311. ==

	فقد أظهر سخاء منقطع النظير تجاه الطريقة التجانية ومريدها، وإليه ينسب بناء زاوية درب البشارة على زقاق الرواح، وقد بناها متصلة بداره. ¹			
الحاج الطالب اللباز.	كان له مال وتجارة	فاس إيطاليا	كان أديبا مرموقا ورغم أنه اشتغل بالتجارة فقد اعتبر أحد فحول شعراء الطريقة. ومن مظاهر حبه للتجانية وشيخها وسخائه في بذل الأموال لها مساهمته في بناء الزاوية الزاوية التجانية وما =	كشف الحجاب ص 342 وما بعدها

1 - وهو مدفون بزاوية الولي الصالح سيدي عبد الوارث الكائنة بزقاق الحجر: انظر: كشف

الحجاب، م. س، ص 311.

				اشتراه لها من شبابيك ودراييز ووقوفه إلى جانب المقدمين وغيرهم من العاملين على بث تعاليم الطريقة وذيوعها ¹
اسم التاجر	مستوى ثروته	مكان العمل	بعض المعلومات المتعلقة به	المصدر
الحاج محمد الحبابي	تاجر أمولاك	فاس زنقة حجامة	انتفع بسخائه مريدو الطريقة في فاس وباقى أنحاء المغرب ومن ذلك أنه أوصى قبل وفاته بجزء من إرثه للفقراء والشرفاء. وكانت داره تعرف بدار السودان لما فيها من كثرة الخدم والعبيد. وقد اعتق جميع ذلك،	كشف ص 352 إلى 354

في سنة 1265 بجنوة، بإيطاليا انظر: كشف الحجاب، م، س، 342.

	ومن ماله الخاص عمل على حفر بئر بالصحراء لا زالت إلى الآن تعرف ببئر الحبابي، يراها الرائح والغادي. وينسب إليه أيضا ما رتبه من حبس على من يقرأ البردة بضريح سيدي عبد القادر التاودي المدفون خارج باب عجيسة كل سبت. توفي عام 1252 ودفن بسيدي قاسم ابن رحمون بجوار المحارب القديم هناك.			
نفسه الحجاب كشف ص 239=238 ==	هذا الشيخ هو والد والدته أحمد سكيرج مؤلف كشف الحجاب وكتب أخرى، وبما أن مهمته الأساسية داخل الطريقة كانت تنحصر في	فاس	متواضع على ما يبدو	عم عبد الوهاب التازي

				الاهتمام ببيوعات الشيخ وشراءاته وكل شؤونه، يمكن أن نستنتج أن تجربته في هذا الميدان لم تأت من فراغ مما يعني أنه كانت له تجارته الخاصة، كان سببا في دخول إخوته السبعة الذين يكبرهم سنا في هذه الطريقة وهم بدورهم عملوا بنفس الاخلاص فانخرط مريدون جدد على أيديهم في الطريقة
اسم التاجر	مستوى ثروته	مكان العمل	بعض المعلومات المتعلقة به	المصدر
سيدي هاشم ابن معزوز	له تجارة	عدوة الاندلس فاس	كان لا يبخل بشيء من ماله خدمة للطريقة وكان سخاؤه ملفتا للنظر في الصدقات وأعمال البر والإحسان، حتى أن سيدي	نفسه ص: 255 وما بعدها ==

	أحمد التجاني في رسالة جوابية له ينصحه بالاعتدال في بذل المال في أوجه الإحسان مبيناً له أنه إذا استمر في ذلك سيكون مضراً بنفسه شرعاً وطبعاً، معززاً كلامه بآيات من كتاب الله العزيز.			
نفسه ص 517 518	كان قبل دخوله في الطريقة التجانية شديد البحث عن الأولياء والتبرك بالصالحين منهم والمجاذيب وتلقى عنهم أذكارا كثيرة، ولما علم بسيدي أحمد التجاني ذهب لزيارته وطلب أخذ ورده، فاستجاب الشيخ لطلبه على شرط أن يتخلى عن كل التزاماته بالطرق الأخرى، فقبل بنونة ذلك ووضع أمواله في خدمة الطريقة والوقوف إلى جانب	فاس	ثروة كبيرة جدا	عم احمد بنونة

==			مقدميها وفقرائها.	
محمد مخا التازي	تاجر أملاك كبير	فاس (البلدية)	عاش الحاج محمد أيام السلطان المولى سليمان والمولى عبد الرحمان وكان ضمن المجلس الذي وقع بفاس على بيعة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بتاريخ 2 صفر 1276، كان يدير تجارة الحجاب واسعة في فاس والرباط، وكان يتاجر في طائفة من أنواع القطن، والحرير والصقلي. قدم دعما كبيرا للطريقة ولشيخها وخلفائه ومقدميه، ومن مظاهر تعلقه بهذه الطريقة أنه يأتي في مقدمة الذين وقفوا على الزاوية نصيبا من عقارهم في زنقة الجياد المقابلة لضريح التجاني وأن مجرد	عبد الهادي التازي رسائل مخزنية القسم 1. مطبوعة أكسال الرباط (د.ت) ص: 7, 15, 16 17 كشف الحجاب ص 570 ==

	اختيار سكنه على مرمى حجرة من الزاوية يدل على مدى تعلقه بهذا الشيخ ولا يستبعد أن يكون لمخا التازي هذا قرابة مع التازيين السبعة السابق ذكرهم وبذلك يتضح أن أسرة آل لتازي تعتبر من بين الاسر الفاسية الأكثر تشبثا بمحبة آل البيت والأولياء والصالحين ولعل الأسرة التازية هذه هي التي كانت وراء دخول أسرة لحلو المجاورة لها بنفس المكان في الطريقة التجانية.			
--	---	--	--	--

ج - الحرفيون والمنشدون:

اسم الفقير	مهنته	مكان عمله	معلومات تتعلق به	المصدر
علي أملاس	يستخرج الأدوية من العقاقير الكيمائية	البلدية فاس	كان من أكثر المريدين تفانيا في خدمة الطريقة فوضع خبرته الصيدلية والعلاجية رهن إشارة سيدي احمد التجاني ومن يخدمه وينتسب إلى طريقته، فحصلت له بذلك ترقيات عجيبة في مقامات الطريقة، يشهد على ذلك أن سيدي احمد التجاني كان لا يخاطبه إلا بلفظ السيادة، كما كان يسلم عليه بالخصوص إذا كتب إلى فقراء فاس. توفي في جمادى I، عام 1245، ودفن خارج باب فتوح.	كشف الحجاب ص، 270 إلى 272

عبد الله القهوجي	قهوجي	فاس ومراكش على الخصوص	رغم أنه من مراكش فإنه أتى إلى فاس وأخذ الورد عن سيدي احمد التجاني الذي رخص له بخطه في تلاوة الحزب السيفي. وقد كان له دور كبير في التعريف بالطريقة بفاس ومراكش بلده على الخصوص، ومما يدل على علو شأنه في الطريقة أن الفقيه أكنسوس وسيدي العربي بن السايع كانا يعظمانه غاية التعظيم، توفي بمراكش.	نفسه، ص 519
عم محمد بن عيسى الريفي	صاحب فرن	حومة الجيا ف، فاس	دخل الطريقة التجانية وأصبح من خيرتها، وبسببه دخل عدد مهم ممن كان له بهم اتصال وعلاقات عمل، وكان دعمه متصلا للمقدمين ثم ما لبث أن تولى عن حرفته ليتفرغ لخدمة الشيخ سيدي احمد التجاني، الذي اختاره من جملة من جعلهم بباب داره المكلفين بقضاء مآربه	نفسه ص 522

==			لصدق نيته وأمانته. توفي بناحية عين ماضي بعد وفاة سيدي احمد التجاني حين سافر مع أولاد الشيخ	
احمد بن عبد الله	حرفة الحرير وطرزه	فاس	عرف بدمائة أخلاقه وبقضاء حوائج فقراء الطريقة والتساهل معهم في المعاملات التي يأتون إليه من أجلها. ونظرا لسلوكه هذا، فقد اقتدى به الكثير من سكان فاس ودخلوا الطريقة التجانية، ونظرا للحرفة التي كان يزاولها فهو الذي أحضر ثياب الحرير التي كان سيدي احمد التجاني في حاجة إليها بمناسبة إقامة العرس لأولاده ورفض أن يأخذ شيئا من النقود مقابل ذلك، معتبرا ما قدمه هدية للشيخ، ومن خلاله لرسول الله (ص).	كشف الحجاب ص 516
مولاي احمد	خراز	فاس	أخذ عن سيدي احمد التجاني واقتبس من أنواره رغم بساطة	نفسه ص == 542

543	حرفته، وبفضل تفانيه في خدمة الطريقة ووقوفه إلى جانب من يعمل من أجلها، حصل له فتح كبير، وكان سببا في دخول غيره إلى هذه الطريقة المحمدية دفن بعد وفاته في صحن مسجد الخطبة قرب الزاوية			= = البوكلي
كشف الحجاب ص 274	كان من جملة المفتوح عليهم وكان سيدي احمد التجاني يحبه ويرسل إليه في بعض الأوقات ليؤنسه بآلة السماع حين يغلب عليه الحال من ترادف التجليات، ويشهد غير واحد ممن استمع للجابري وهذا أن له اليد الطولى في السماع وتقطيع نغمات الأ طباع، مع صوت جميل يزيل الشجن والأحزان، فكان يجمع حوله الأعداد الغفيرة من المعجبين به الذين سرعان ما يطلبون الدخول في الطريق التي	فاس	عازف على آلة السماع	عبد الحق الجابري
= =				

	يسلكها، خصوصا على إثر الجلسات التي كانت تنظم بحضور المقدمين.			
نفسه ص 491	كان ذا قدم مكين في الطريقة محترفا بيع الحلوى، وكل من اشتراها منه يقول له اكلها بالفتح، وكان حسن الصوت في السماع، ينشد بحضرة سيدي احمد التجاني بصوت كأنه من مزامير داوود عليه السلام. وقد وظف كل خبرته في الحياة من أجل مساعدة الطريقة ومقدميها في إقناع الناس بالإقبال على الدخول فيها.	فاس	بائع حلوى ومنشد	عمر الشرابي
نفسه ص= 515	أحد المنشدين بحضرة الشيخ سيدي احمد التجاني، وكان ذا صوت فخيم يكاد الطيران تتساقط لسماعه، لم ييخل بأي شيء في سبيل نصرة طريقة شيخه من مرافقة	فاس	منشد	محمد ابن جلون

	للمقدمين وإحياء الليالي في التغني بالقصائد الصوفية بهدف تليين قلوب الغافلين وحضهم على سلوك الطريق الموصلة إلى الله.			==
--	--	--	--	----

III- تدخل شيخ الطريقة نفسه لتأطير مجهودات الدعاة

والمقدمين ودعمهم:

اكتسى هذا التدخل عدة مظاهر يمكن حصر أهمها في جولاته وتحركاته داخل المدينة، وفي الأدبيات التي تعكس عددا يكاد لا يحصى من كراماته. وفي الرسائل التي كان يبعث بها إلى مختلف الجهات للإجابة على أسئلة المقدمين والمريدين المختلفة، حول بعض ما كان يصعب عليهم فهمه من تعاليم الطريقة، أو من أجل تحقيق مطالب بعض الذين يودون الحصول على أدعية لتحقيق أغراض معينة.

1- الجولات والزيارات والرسائل:

لم يكن سيدي احمد التجاني، لا قبل بناء الزاوية ولا بعد بنائها بالشيخ المنزوي الذي لا يخرج من خلواته، ولا يراه الناس إلا نادرا بل على

العكس من ذلك كان كثير الحركة كما تتحدث عن ذلك المصادر التجانية نظرا لطبيعة تكوينه في علمي الظاهر والباطن ، وبسبب التزامه بنشر تعاليم مذهبه. فهو الفقيه المتمكن من العلوم العقلية والنقلية، لا يرد طلب من سألته عن أمر من الأمور الدينية والدنيوية، كبر أو صغر شأنه¹، وهو الصوفي الشارب من بحار المعرفة اللدنية، لا يخيب من قصده من أجل الأخذ بيده والسلوك به في الطريق الموصلة إلى الحضرة الربانية، مؤكدا في كل ذلك على ضرورة مراعاة تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية²، موصيا بأن ما وافق الشريعة الإسلامية من كلامه يجب أخذه وما خالفها يجب تركه.

كانت جولات سيدي احمد التجاني وزياراته داخل مدينة فاس وأحيانا خارجها تفرض نفسها إما من أجل مراقبة عمل مقدميه أو من أجل حضور حلقات الذكر في هذه الجهة أو تلك من المدينة، أو نزولا عند رغبة بعض الأسر التي كانت تدعوه لزيارة منازلها للتبرك به بمناسبة أو بدون مناسبة³. وكان وجهه على ما يبدو معروفا جدا عنه عامة الناس وخاصتهم بفاس، لأنه كثيرا ما كان يصلي في القرويين⁴، قاطعا المسافة الفاصلة بين

1 - محمد الطيب السفيني، الافادة الاحمدية، م. س، ص 51 ثم ص 72.

2 - احمد، سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 371.

3 - محمد الطيب السفيني، الافادة الاحمدية، م. س، ص 104.

4 - احمد، سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 536.

مسكنه بزقاق الرواح والقرويين على جواده، فكان المارة وأصحاب الدكاكين يتملون بطلعته كلما مر أمامهم¹، ونفس الشيء كان يقع عندما يذهب للتنزه والتأمل في أسرار الخالق خارج المدينة وبعيدا عن ضوضائها². وبعد بناء الزاوية كان لا بد له كذلك من أن ينتقل بين مسكنه ومقر الزاوية³، ومن ناحية أخرى يجب أن لا يغيب عن بالنا أن خروجه أحيانا كان يكتسي صبغة رسمية عندما يتعلق الأمر بالمشاركة في مجلس علمي يحضره السلطان، من أجل الإفتاء أو الاستشارة أو التفسير⁴ أو ما يشابه ذلك.

غير أنه كيف ما كان نوع خروجه أو زيارته وجولاته في فاس وخارجها⁵ فإن الهدف يكون واحدا، وهو تسليط المزيد من الضوء على مذهبه وطريقته، موضحا ومصححا، ومفتيا، ومرغبا، مبشرا غير منفرد،

1 - محمد الطيب السفياني، الافادة الأحمديّة، م. س، ص 56.

2 - نفسه، ص 94.

3 - كان بناء الزاوية سنة 1215 (1800) حسب الافادة الأحمديّة ص 68.

4 - احمد سكيرج، رفع النقاب، بعد كشف الحجاب، مطبعة الأمانة الرباط، 1975، ج 4،

ص 10-11.

- علي حرازم برادة، جواهر المعاني، م. س، ج 1، ص 75 - 76.

5 - يذكر صاحب كشف الحجاب أن سيدي احمد التجاني لم يغادر فاس منذ رحيله إليها

بصفة نهائية، سوى مرة واحدة زار خلالها الأغواط من أجل العمل على تدعيم نفوذ طريقته بهذه البلدة: كشف الحجاب، ص 469.

سلاحه في كل اللقاءات والمنتديات الكتاب والسنة والشمائل النبوية حتى لا يترك المتقدمين والدعاة لشأنهم، غير قادرين على فك غموض بعض أسرار الطريقة، وهذا ما أعطى شحنة قوية لانتشارها وذيوعها بفاس في زمن قياسي.

أما الرسائل فيمكن أن نميز فيها بين نوعين رسائل من سيدي احمد التجاني إلى المتقدمين والفقراء والأحباب والأمرء، ورسائل من كل هاته الفئات من السالكون إلى الشيخ التجاني، مع ملاحظة أن هدف هاته الرسائل بشكل عام، هو ضمان السير الحثيث والانتشار السليم للطريقة بين كل المنضوين تحت تعاليمها، نظرا لما تتضمنه من: أسئلة من قبل السائلين، ومن أجوبة صادرة عن الشيخ سيدي احمد التجاني.

إن عناصر الأجوبة الواردة في رسائل شيخ الطريقة تدل دلالة قاطعة أنه كان واعيا، بأن مستقبل التجانية من حيث نجاحها أو فشلها يجب أن يحسم فيه قبل وفاته، وهي الغاية التي بذل من أجلها كل ما في وسعه لتكتسب طريقته وهو على قيد الحياة كل ما هي في حاجة إليه من المناعة والتجذر والانتشار، لذلك نجده من خلال هذه الرسائل إما موجهها وداعيا إلى التمسك بحبل الله، أو مؤنبا ومؤدبا لسلوكات بعض مريديه ومقدميه عندما يتطلب الأمر ذلك، أو مفسرا وموضحا لبعض الأمور الغامضة في تعاليم الطريقة، أو محيلا على بعض الأدعية الخاصة لقضاء بعض الأغراض أو درء بعض المصائب والأمراض، ملتزما في ذلك الحدود

المرخص له بها معترفا بعجزه في أمور لا يستطيع البث فيها كماورد في إحدى رسائله إلى بعض أصحابه بتونس عندما قاله: «...ثم إن الأمر الذي طلبته مني في التصرف في زوال ضررك لم أجد إليه سبيلا ولا حيلة ولا تعويلا وكل بقضاء الله وقدره»¹.

لقد تعدت توجيهاً سيدي أحمد التجاني ونصائحه الجمهور العادي لتشمل فئة الحكام والأمراء، حاثاً إياهم على ضرورة تقوى الله والسير في الرعية بما يرضي الله والرسول، وفي ذلك يقول سيدي أحمد التجاني مخاطباً أمير المؤمنين: «...اعلم أن الله عز وجل قد ولاك أمر خلقك وائتمنك على بلاده وعباده، والله سائلك عن أمانته وعما فعلت، فاحذر من الله أن يجدك فرطت أو اشتغلت عن أمره بلعب...»².

وحتى نتمكن من القاء نظرة إجمالية على مختلف محتويات هذه الرسائل الواردة على سيدي أحمد التجاني والصادرة عنه، ليتبين لنا مدى المجهود الذي بذله من أجل ضمان النجاح لدعوته في فاس وخارجها ثم في باقي جهات العالم، لاحقاً بعد وفاته، ارتأينا اعتماد جداول، بعضها يتعلق بالرسائل الصادرة عن الشيخ التجاني والبعض الآخر مرتبط

1 - علي حرازم برادة، جواهر المعاني...م. س، ج II، ص 184.

2 - نفسه، ص 181.

بالرسائل الواردة عليه، مع لفت الانتباه إلى عدم وجود ربط ميكانيكي بين نوعي هذه الرسائل من حيث أسئلتها وأجوبتها، فقد تكون رسالة الشيخ توجيهية وإصلاحية بصفة عامة من غير أن تكون معدة أصلاً للإجابة على أسئلة معينة.

١ - رسائل صادرة عن سيدي احمد التجاني
(بدون تاريخ):

من	إلى	المصدر	بعض عناصر الرسالة
سيدي احمد التجاني	إلى كافة من بفاس والمغرب من الإخوان والفقراء	جواهر المعاني ج II ص 151 152 + كشف الحجاب ص 250	*نسأل الله أن ينظر في جميعكم بعين المحبة والرضا وأوصيكم وإياي يتقوى الله تعالى وارتقاب المؤاخذه منه في الذنوب، فإن لكل ذنب مصيبتين لا يخلو العبد منهما والمصيبة واحدة في الدنيا وواحدة في الآخرة.. × إياكم و العياذ بالله من لباس حلة الأمان من مكر الله باقتراف الذنوب باعتقاد أنه آمن من مؤاخذه الله في ذلك ... × شروط الورد المحافظة على الصلوات في الجماعات و الأمور الشرعية ... اكثرُوا من مكفريات الذنوب و أكد ذلك صلاة الفاتح ...

سيدي	فقراء فاس	جواهر المعاني	* حفظ الله جميعكم من جميع المحن.
احمد	وما بإزائها	ج II من	أوصيكم ونفسي بما أوصاكم الله به
التجاني		153 إلى	وأمركم به من حفظ الحدود ومراعاة
		156	الأمر الالهي. فإن هذا زمان انهدمت
		× كشف	فيه قواعد الأمر الالهي جملة
		الحجاب ص	وتفصيلا....
		251.	× عليكم بصلة الأرحام... وأكثروا
			العفو عن الزلل وأكد ذلك لمن أخاكم
			في الطريقة، فإن من عفا عن زلة
			عفا الله له عن زلات كثيرة فإن شر
			الإخوان عند الله من لا يقبل عذرا...
			وتأملوا قوله تعالى ﴿سارعوا إلى
			مغفرة من ربكم...﴾ إلى قوله ﴿والله
			يحب المحسنين﴾.
			× عليكم بطاعة المقدم وعليكم ملازمة
			الوظيفة المعلومة لمن استطاع
			صباحا ومساء.
			× وأوصي من كان مقدما على إعطاء
			الورد أن يعفو للاخوان عن الزلل وإن
			يبسط رداء عفوّه عن كل خلل...
			وإن يسعى في اصلاح ذات بينهم...
			وإن اشتعلت نار بينهم سارع إلى ==

إطفائها..وأن ينهى من رآه يسعى في النميمة بينهم وأن يزجره برفق... وعليه ان يعاملهم بالرفق والتيسير والبعد عن التنفير. في كل ما يأمرهم به وينهاهم عنه في حقوق الله وحقوق الاخوان... وعليه أن لا يلتفت لما في أيديهم... وأن لا يطلبهم بإعطاء شيء فإن عقول الناس حول هذا المطاف تدور. × وسلموا للعامة وولاية الأمر ما أقامهم الله فيه... واتركوا التعرض للرياسة وأسابها فإنه كعبة تطوف بها جميع الشرور وهي مقر الهلاك في الدنيا والآخرة.				
× ليكن في علمكم أن جميع العباد في هذه الدار اغراض لسهام مصائب الزمن. ومن كبا منكم جواده عن تحمل ثقلها ومقاومة ما يطراً عليها من ==	157 158	جواهر المعاني ج II	كافة الفقراء كل واحد باسمه	سيدي احمد التجاني

أعبائها فعليه بملازمة أحد الأمرين أو هما معا، أولهما ملازمة يا لطيف ألفا خلف كل صلاة إن قدر وإلا ألفا في الصباح وألفا في المساء، ثانيهما: مائة صلاة على النبي (ص) بالفتاح لما أغلق. × وكذا من كثرت عليه الديون وعجز عن أدائها أو كثر عياله واشتد فقره... فليفعل ما ذكرناه. × إياكم ثم إياكم أن يهمل أحدكم حقوق إخوانه مما هو جلب مودة أو دفع مضرة أو إعانة على كربة، فإن من ابتلي بتضييع حقوق الإخوان ابتلي بتضييع الحقوق لالهية. وصونوا قلوبكم إذا رأيتم أحد فعل حقا يخالف هواكم أو هدم باطلا يخالف هواكم أن تبغضوه أو تؤذوه فإن ذلك معدود من الشرك..				
× عليك بالله عز و جل في شرك وعلانيتك... وأكثر ذكر الله فائدة وأعظمه جدوى وعائدة هي الصلاة ==	158 159	نفسه	بعض الطلبة	سيدي أحمد التيجاني

على رسول الله (ﷺ) مع حضور القلب، فإنها متكلفة بجميع مطالب الدنيا والآخرة دفعا وجلبا في كل شيء. ×... وأوصيك بترك المحرمات المالية شرعا أكلا ولباسا و مسكنا، فإن الحلال هو القطب الذي تدور عليه أفلاك سائر العبادات. × ومن لم يقدر عليه ان يلزم بعد كل صلاة هذا الدعاء ثلاثا أو سبعا ثم يمر به على قلبه في غير الصلوات...				=
× أو صيكم بتقوى الله: لأن الله تعالى يقول: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و اياكم ان اتقوا الله﴾ وقال أيضا: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا﴾ إلى قوله ﴿كبر على المشركين﴾ وقال: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾، وقال: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ إلى قوله ﴿قدرا﴾ وقال: ==	160 161	نفسه	كافة الإخوان أين ما كانوا	سيدي احمد التجاني

﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ إلى قوله ﴿ويعظم له أجرا﴾. × وبما أن التقوى صعب مرامها وتناءت بعدا فعليكم بكثرة الاستغفار بعدا، فعليكم بكثرة الاستغفار والصلاة على النبي (ص) وذكر لا إله إلا الله مجردة وذكر لا إله إلا أنت سبحانه إنني كنت من الظالمين وقول حسبنا الله ونعم الوكيل...				==
×... فالذي أوصيكم أوصيكم به وإياي المحافظة على قوله (ص) ثلاث منجيات وثلاث مهلكات، فأما المنجيات فهي: تقوى الله في السر والعلانية وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وأما المهلكات: فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب كل ذي رأي برأيه. × قال (ص): لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا. ==	162 163 164 165 166	جواهر المعاني ج II	إلى كافة تلاميذه	سيدي احمد

×الحذر الحذر لمن تحرك عليه شر الناس منكم أن يبادر إليه بالتحرك بالشر لمقتضى حرارة طبعه وظلمة جهله وعزة نفسه... ×الكيس العاقل إذا انصب عليه الشر من الناس أو تحركوا له به رآه تجليا إليها لا قدرة لأحد على مقاومته إلا بتأييد إلهي. ×أوصيكم في معاملة الأسواق على محافظة قواعد الشرع وأصوله على حسب ما يعطيه الوقت وتجنبوا جميع وجوه الغش والتدليس والكذب في تقويم الاثمان واقتحام ما حرم الله من ذلك بنصوص الشرع.				
×أقول لكم إن مقامنا عند الله في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء.. ×جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا ولا يقاربه لبعد مرامه عن جميع العقول.. ولم أقل لكم ذلك حتى سمعته من =	166 167	كشف الحجاب ص 467	إلى إخوانه وأصحابه فقراء الأغواط	سيدي احمد التجاني

رسول الله (ص) × ليس من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا... إلا أنا وحدي . ×... ومع ذلك فلسنا نستعزى بحرمة سادتنا الأولياء ولا انتهاون بتعظيمهم فعظموا حرمة الأولياء منهم والأموات...				
× إن اردتم مداومة رؤية النبي (ص) في النوم عليكم بالمداومة على جوهرة الكمال سبعا عند النوم وعلى وضوء دائما. ×... وأما سند طريقتنا فطريقتنا عنه (ص) اتصالا منه إلينا وسندنا أيضا في الورد المعلوم مع السيفي عنه (ص) متصلا إلينا. ×... وأجزنا لكم في الورد في كل ما ذكرنا لكم سنده فيما طلبتم فيه السند نفعلكم الله بذلك...	ص 166 ص 167	نفسه المصدر السابق	إلى بعض أحبائه	سيدي أحمد التجاني

سيدي احمد التجاني	إلى بعض أصحابه	جواهر المعاني الجزء II	ص 167 و ص 168	تعلقك بالخواص في طلب الدنيا وأغراضها وشهواتها وأنت مشغول بإطلاق لسانك في الغيبة والنميمة وفيما لا يرضي الله ومنهمك في البعد عن الله. × لا ربح في هذه التجارة إلا التعب، فلا تظفر منها بشيء. × الخواص وأسرارها لا يتمكن منها أحد من خلق الله إلا أحد رجلين، إما رجل ظفر بالولاية وإما رجل جعل أكثر أوقاته في ذكر الله وفي صحة التوجه إليه سبحانه وتعالى وفي الصلاة على النبي (ص) طلبا لوجهه الكريم لا لغرض غير ذلك... × بالدوام على ذلك تنفرج عنك الأمور..
سيدي احمد التجاني	بعض الفقهاء من أحبائه	نفسه	168 169 170	جواب يتطرق لكيفية التصرف بالدائرة الشاذلية وهذا الجواب طويل يمتد على حوالي صفحتين...

سيدي احمد التجاني	بعض الفقهاء من أصفيائه	نفس المصدر	ص170	وأجزت لحبيبنا الفقيه النبيه فلان بن فلان بقراءة الفاتحة بنية تلاوة الاسم الاعظم
سيدي احمد التجاني	أحد أعيان فقهاء سلا (عبد لقادر السللاوي) العلامة الجليل	نفسه × كشف الحجاب	ص171 ص172 ص501 ص502	× وصلنا كتابكم... وسألتم فيه عن أحوالنا وأحوال أصحابنا... الذي أوصيك به أن تعلق قلبك بالله ما استطعت... وإن استبد بك الكرب وضاق بك الأمر فالجأ إلى الله... وليكن ذلك منك على حالة متفرد القلب بالله متفردا عن شواغل مثل حالة المرأة الكبيرة السن التي ليس لها إلا ولد وأخذ من بين يديها ليقطع رأسه... فإنها في هذا الحال ليس لها هم غير ولدها... × وإياك والانهماك في طلب دنياك حتى تتعدى حدود الله التي في شرعه.
سيدي احمد التجاني	بعض رؤساء الدولة	نفسه	173 174 175	× نسأل الله أن يجعلك في الدنيا والآخرة من اخيار الأمة حتى تكون ذنوبك كلها كلا شيء... = =

×وأما ما أعظك به فاسمع ما يقوله ربنا في كتابه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد...﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا﴾. ×..واعلم أنك في مرتبة قد حوت ما لا يحاط به من الخيرات والبرور وجمعت ما لا ينتهي إلى غاية من البلاء والشرور وأنت واقف بينهما في هذه المرتبة، فراقب الله في قلبك وانظر إلى خلق الله بعين الشفقة. × وإياك والاستهزاء والتواني بهم في تبليغ أمورهما إلى مولانا السلطان.				
×شكواكم بإعطاء مالكم للسائلين ومضايقتهم وعدم طاقتكم لردهم، فاعلم يا أخي أنك في هذا الحال مضر بنفسك شرعا وطبعاً. ×أدلة قرآنية ×كن في وسط الأمر بين البخل =	ص 175 176 256	جواهر المعاني الجزء II ×كشف الحجاب	بعض أحبائه من تجار (سيدي هاشم بن عزوز)	سيدي احمد التجاني

				والتبذير واعط الله بقدر اتساع مالك وقدر مصروفك على أهلك ونوائبك، وعلى قدر ما يدخل يدك من التجارة...
سيدي احمد التجاني	بعض الأمراء (م. سليمان)	نفسه × كشف الحجاب	ص 81 و 496	× يصل الكتاب إلى الذرة اليتيمة والنسمة الكريمة... اعني بذلك أمير المومنين خليفة رب العالمين... نسأل الله أن يديم على سيدنا عواصف نصره وتأييده... وأن يملك قلبه بالخوف من الله في سره وعلايته. × فالذي أوصيك به كل الوصية بل هي واجبة من خالفها هلك وهو الكتم عما ذكرناه لك... × اعلم أن الله عز وجل قد ولاك أمر خلقك وأئتمنك على بلاده وعباده والله سائلك عن أمانته وعما فعلت فيها فاحذر من الله أن يجدك فرطت... × قال رسول الله (ص) إذا أمرتكم بشيء فافعلوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا، واحذرك بما سمعت من ==

				الخصوصية التي أعطيتها من فضل الله تعالى... وأوصيك في الضعفاء من الخلق... وأوصيك بالمظلومين...
سيدي احمد التجاني	إلى بعض أصحابه	نفس المصدر	183	× وأنا أظن أنه تعلق قلبك بما سمعت وقوعه لفلان ظنا منك أنني أثرته فاعلم أنه لم يقع منه شيء لكني أخبرك بأمر لا علم به لأحد هو أن الله نفحات وتوقعات من الغيب، يهبها لمن يشاء لكنه سبحانه وتعالى يبعث تلك النفحات على أيدي صور الغيب، يظهرها الله متصورة في صور بعض الأولياء الأحياء أو الأموات. × ثم إن من وقع له ذلك شرط انتفاعه أن يدوم اعتقاده وتعظيمه لذلك الولي الذي جاءته الصورة على صورته فإن ساء اعتقاده في ذلك الولي الذي جاءته الصورة على صورته وانتقص تعظيمه من قلبه سلبه الله سره وبقي في ذل وهانة.

سيدي احمد التجاني	بعض أصحابه بتونس	جواهر المعاني ج II	184	× نسأل الله أن ينزل عليك اللطف والراحة مما تشتكي منه، ونسأله سبحانه وتعالى أن ينظر فيك بعين اللطف والرحمة... ×...وأما ما أخبرتني به من من تصرفات الأولياء السابقين طالبا مني أن أفعل في ضررك مثل ذلك كي تستريح. × فالجواب أن أحوال الأولياء لا تجري على قانون واحد ولا في سبيل واحد ولا حيث كل ما أرادوا بل الأمر في ذلك موكول إلى الله جاريا على قانون مشيئته. × فما قام ولي في أمر باختياره. قال الجنيد(ر) لقد مشى باليقين رجال على الماء ومات بالعطش رجال أفضل منهم. × ثم إن الأمر الذي طلبته مني في التصرف في زوال ضررك لم أجد له سبيلا ولا حيلة ولا تعويلا وكل بقضاء الله وقدره.
سيدي احمد التجاني	علي حرازم برادة	كشف الحجاب	96	×...وأما ما ذكرت من الأخبار لك ببعض الأمور ليطمئن قلبك وتزيد محبتك ويدوم سرورك، فأقول لك الأولى من ذلك الكرامة التي شاعت =

				وزاعت عند المعتقد على رغم المنتقد، وهي أعظم خير يرجى...وهو أن من أخذ وردنا ودام عليه إلى الممات يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب، هو ووالداه وأزواجه وذريته إن سلم الجميع من الانتقاد. ×وأما من كان محبا ولم يأخذ الورد فإنه لا يخرج من الدنيا حتى يكون وليا ×كذلك من حصل له النظر فينا يوم الجمعة والاثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب ان لم يصدر منه سب في جانبنا ولا بغض ولا إذاية. ×ومن حصل له النظر في غير هذين اليومين فهو من الآمنين بأن يموت على الإيمان. وإن سبق أنه يحصل له العذاب في الآخرة فلا يموت إلا كافرا.
سيدي احمد التجاني	فقراء فاس	نفس المصدر	241	×نسأل الله أن يفيض عليكم بحور الخيرات والنعم وأن يكفيكم جميع الشروور والبلايا. ×استوصوا خيرا بسيدي الحاج الطيب القباب فإنه نائبنا فيكم وقد أقمناه هناك لنفع العباد فمن لقنه فكأنه

تلقى منا وأخذ عنا، فله مثل من بأشرنا بغير واسطة، كل ذلك بوعد صادق لا يتخلف.				
--	--	--	--	--

من	إلى	المصدر	ص	بعض عناصر الرسالة
سيدي أحمد التجاني	إلى أيدي أحبابنا ورفعاء المكانة من قلوبنا سيدي الحاج الطيب وسيدي هاشم بن معزوز... وكافة أحبابنا بقاس.	كشف الحجاب	242	×...نسأل الله أن يفيض عليكم في الدنيا والآخرة بحور فضله عليكم ورضاه عنكم...وأن يسلك بكم في كل طريق مسلك أكابر أهل السعادة. ×...ومن أكد ما أوصيكم به إصلاح ذات بينكم محبة ومودة وإقالة العثرات بينكم والعفو عن زلل الإخوان
سيدي أحمد التجاني	محمد بن المشري	نفسه	390	×... وارجع إلى الله بصدق التوجه لا لغرض بل لطلب وجهه... ×كل السخون مع الإدام واعمل للذكر أوقاتا وللراحة أوقاتا ×وعليك بمدوامة الذكر وقلة مخالطة الخلق ما استطعت والصمت ما ==

استطعت..				
بعثتم إلينا طالبين ذكر وردنا، فها أنا أكتبه لكم وهو:.....	420	نفسه	سيدي عمر الدباغ	سيدي احمد
× حلو الشمائل كريم الأخلاق والفضائل...حامي حمى الإسلام رافع راية الخلافة الإسلامية الإلهية...نسأل الله أن يكتبك في ديوان أهل السعادة الأبدية...ونسأله سبحانه وتعالى أن يصلح بك العباد والبلاد وأن يشد بك أركان الإيمان والدين... ×...وأوصي سيدنا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه وأعظه بما وعظه الله به. قال الله سبحانه وتعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ إلى قوله ﴿الفائزون﴾ وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا﴾ إلى عظيمه وقوله تعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما﴾ إلى قوله ﴿الغرور﴾	497 498	نفسه	م. سليمان	سيدي احمد التجاني

				× ولك في تدبير آيات الله وعظ واعتبار وهداية واستبصار.
سدي احمد التجاني	المولى سليمان	نفس المصدر	498 499	×..إنه ورد علي أمر عازم من سيد الوجود بحر الكرم والجلود سيدنا محمد (ص) قال لي: «اكتب كتابا لولدنا سليمان بن محمد أمير المؤمنين. وقل له ليس على وجه الأرض أكبر قدرا ولا أعظم خطرا من وردي الذي أمليته عليك فقل له يتولاه. فبذكر إياه يصلح الله لع عاقبة أمره في دنياه وأخراه...» وقل له ليس على وجه الأرض أعظم قدرا ولا أعظم خطرا من دعائي الذي أمليته على علي بن أبي طالب المسمى بالسيفي، فبقراءته يدفع الله عنه البلايا الظاهرة والباطنة... وكذلك قراءة الفاتحة سبعا بنية الاسم دبر الصلوات ولا ييخل نفسه من الصلاة علي بصلاة الفتاح لما أغلق قدر طاقته...

ب - رسائل واردة على سيدي احمد التجاني
(بدون تاريخ)

من	إلى	المصدر	ص	بعض عناصر الرسالة
سيدي محمد بن المشري	سيدي احمد التجاني	كشف الحجاب	153	×...قدوتنا وسيدنا ووسيلتنا إلى الله، قطب الأقطاب... × وبعد فإن سأل السيد عن عبده فإنه بخير ما دام تحت نظره...إلا أن اليد الموجوعة إلى الآن لم يفد فيها دواء... فما بقي إلا دواؤكم النافع الشافي ×...وقد سألناكم بجاه أفضل خلقه سيدنا محمد (ص) وأحبهم إليه أن تدعو الله لنا بالجمع معكم وعدم مفارقتكم إلى الاستقرار في عليين، فقد ضاقت علينا الأرض بما رحبت، ومرضت قلوبنا من هذا الحال وهو فراقكم في كل عام، فلم نطقه. ×...ومع هذا إننا مهملون لا دنيا شغلنا عنكم ولا عبادة، وهذا كله من عدم صدقنا معكم حتى أهملتمونا حتى ضاعت أعمارنا...فإننا لله وإننا =

إليه راجعون. ×إن لم تنظروا فينا بعين الرضى فقد هلكنا...				
×...يطلب منه الدعاء له ولبعض الفقراء القاطنين بتلمسان ويخبره ببعض الأمور. ×...من كتابه إليكم خديمكم ومحكم المختار بن محمد الطالب وإخوانه في الله وفيكم كخديمكم السيد المختار السقال، وإلى السيد محمد الوجدي وبنيه والمقدمة أم المختار السقال والسيد محمد بن قازضا علي وجميع خدامكم إخواننا هنا نسبا وصحبة وكلهم يا سيدي يسألك الصالح . ×...الله الله يا سيدنا لا تهملنا ولا تنسانا فنحن محسوبون على الله وعليكم فاسع في إنقاذنا من المهالك وارشدنا إلى أحسن المسالك لنفوز في الدارين...	433	نفس	سيدي	العلامة
	434	المصدر	احمد التجاني	المختار بن الطالب التلمساني وآخرون

بعض فقراء تلمسان	سيدي احمد التجاني	نفسه	434	×يسألون سيدي احمد التجاني عن أخذ الأجرة عن الصلاة وعن التقدم للإمامة وعن معنى الأحاديث الواردة فيها منها قوله (ص) «من أم قوما فإن أتم فله التمام ولهم التمام وإن لم يتم فلهم التمام وعليه الإثم» رواه أحمد. ×... لأن أقوال العلماء وتأويلاتهم كثيرة تتشعب علينا فأردنا من سيدنا أن يبين لنا وجه الحق، فإننا لا نقنع إلا بجواب شيخنا ويبين لنا ما هو الأصلح في ديننا وآخرتنا، فإننا لا نطمئن نفوسنا إلا بقولكم وعليكم السلام.
مولاي سليمان التجاني	سيدي احمد التجاني	كشف الحجاب	499 500	×...عوض والدنا، سيدنا وشيخنا وقدوتنا المحمدي... ×...بلغنا مسطوركم الأبرك وحمدنا الله على ما خصنا به من رضى مولانا (ص). ×...هذا الأمر لا أريد أن أخلي نفسي عن مباشرته ولا آمن أن أضيع أو أفرط. ×...وتوجه إلى الله سيدي في صلاح قلبي وأن يعصمني من كل ما يمنعني من النظر إلى وجهكم.

×...وأيضاً يجب عليك هذا، لأنك تعلم أن بصلاحي صلاح من ولاني الله عليهم وبفسادي فسادهم فالدعاء لي دعاء عام...				
×حول معنى الحديث «ما من مسلم سلم علي إلا رد الله علي روعي حتى أرد عليه السلام»	503	نفسه	سيدي احمد التجاني	عبد القادر السللاوي
×رسالة جوابية: ×...أخانا العارف بالله ورسوله الجامع في العلم بين فروع وأصوله. ×...وكيف لا وشمس جمالكم قد توارت عليه بالحجاب... ×...وبعد فما أعرضه من الجواب الداعي إليه ذلك العتاب أني أجبت بما يليق بذلك الجناب ويبرزه حجة للقوم دون ارتياب	296 297 298	نفسه	سيدي احمد التجاني	الفقيه العلامة محمد بن عبد الله الجيلالي نزيل وهران

2 - انتشار أدبيات الكرامات وأخبار الخوارق

المنسوبة للشيخ:

لا يجادل اثنان في كون المغاربة في غالبيتهم العظمى، منذ دخول الإسلام إلى أرضهم، آمنوا بهذا الدين وبرسوله وبتعاليمه المتضمنة في الكتاب والسنة، ومع مرور القرون لم يزد هذا الإيمان إلا رسوخا في قلوبهم بفضل توجيهات العلماء والأئمة والدعاة والوعاظ. وإذا كان الإنسان المغربي المسلم بشكل عام يتعرض خلال حياته لأصناف شتى من الضغوط والمعاناة والاحتقار والاذلال، نتيجة لعدم الشعور بالطمأنينة، إما بسبب جهله وخبثه أو بفعل ممارسات جائرة عليه لا قدرة له على ردها، فإن الأمل بالنسبة له في الخلاص من هذه الوضعية المتعبة للخلود إلى الراحة الأبدية الشاملة هو عفو الله تبارك وتعالى وشفاعة رسوله النبي الكريم، عند الانتقال إلى دار البقاء التي لن يشقى فيها مومن بالله وملائكته وكتبه ورسله، ليس بعمله ولكن تكrema من الله الرحمان الرحيم العفو الغفور.

هذه القناعة في اعتقادنا عند عموم المغاربة، وإلى يومنا هذا هي التي جعلتهم يتشبثون بحبل الله ورسوله ويكونون حبا خاصا لآل البيت ولأولياء الله الصالحين، مثل الشيخ سيدي احمد التجاني الذي ينهل من فيض

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في اعتقاد عدد كبير من عامة الناس وخاصتهم، مما يفسر النجاح الكبير الذي عرفته طريقته في مطلع القرن 19. فهو شريف حسني وشيخ صوفي، تلقى مشروعية طريقته من الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة حسب قوله، ومما يميز هذا الطرح عند التجانيين من خلال ادبياتهم، الكرامات التي ظهرت على شيخهم، والتي توحى بأن كل داخل في هذه الطريقة سوف يكون من الناجين يوم الحساب، وهذه الاعتقادات التي سادت خلال حياة سيدي احمد التجاني: وبعد وفاته هي التي أسهمت في تجذر أوراها الطريقة وأذكراها بفاس لتنتشر بعد ذلك في باقي أنحاء المغرب وخارجه، ونظرا لاستحالة حصر عدد الكرامات المنسوبة لسيدي احمد التجاني فإننا سنقتصر على ذكر عشرة منها فقط.

الكرامة الأولى: اجتماع سيدي احمد التجاني بالرسول صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما. ورد هذا الخبر كما اسلفنا في كتاب جواهر المعاني الذي حرره علي حرازم برادة بأمر من شيخه الذي امتثل في ذلك لارادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو الكتاب الذي جمع كل ما فاه به سيدي احمد التجاني، وبخصوص الكرامة المشار إليها يرى علي حرازم برادة أن شيخه عندما كان بقرية أبي سمغون حوالي سنة 1196/1782

وقع له فيها الفتح وأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم في تلقين الخلق بعد أن كان فارا من ملاقاته الخلق....وقع له الإذن منه يقظة لا مناما...وأخبره أنه هو مربيه وكافله وأنه لا يطلب شيء من الله إلا بواسطته¹.

الكرامة الثانية: يذكر أحمد سكيرج أنه بلغه على لسان الثقة أن سيدي احمد التجاني، كان مارا بأعلى زقاق الحجر من مدينة فاس، وكان بعض أكابر الشرفاء جالسين بجانب دار مولاي سليمان المعروفة هناك. فلما رأوا الشيخ نازلا من أعلى الطريق وهو راكب وعن يمينه ويساره خدامه، قال بعضهم لبعض سرا، والله ان هذا التجاني لآية من آيات الله، وسكتوا فلما وصل إليهم، وقاموا ليسلموا عليه قال لهم مكاشفا: قولوا والله إن التجاني لآية من آيات الله العظام وكررها عليهم فتعجبوا من ذلك، وحصل لهم في جانبه زيادة اعتقاد في رسوخ قدمه في الولاية².

الكرامة الثالثة: مولاي عبد القادر الجيلي يستظل بظل شجرة سيدي احمد التجاني.

حدث احمد العبدلاوي أحمد سكيرج مؤلف كشف الحجاب، أن أحد

1 - علي حرازم برادة، جواهر المعاني، م. س، ج I، ص 43.

2 - أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م. س، ص 216.

العارفين من خط الجريد، وهو السيد علي الشتيوي كان مولعا بالصيد، وذات يوم اصطاد غزالا، فبينما هو مشغول به إذ أتاه الشيخ عبد القادر راكبا على فرسه فاستحى منه أن يراه على الحالة التي رآه عليها، وكان آخذا طريقته، فصار يتكلم معه إلى أن قال السيد علي الشتيوي للشيخ المذكور: سمعنا يا سيدي شيئا ظهر بأبي سمغون فماذا تقول فيه؟ فقال له (ر): يا ولدي تلك الشجرة التي نستظل تحتها فكان هذا سببا في أخذه عن سيدي احمد التجاني¹.

الكرامة الرابعة: أحد قطاع الطرق يتوب وينخرط في الطريقة التجانية. ويتعلق الأمر بالمقدم السيد زعنون من عمالة الجزائر، الذي كان قبل أخذه الطريقة التجانية من قطاع الطرق الذين طالما شكلوا خطرا على تجار القوافل الصحراوية ولم يقدر أحد على صده إذا برز إليه، فاتفق أن مات مقدم من مقدمي بعض زوايا سيدي احمد التجاني فاجتمع الفقراء وأخبروا الشيخ بوفاة مقدمهم، وأتوا يطلبون منه أن يقدم عليهم مقدما، فقال لهم سيدي احمد التجاني: إنني قدمت عليكم زعنون. وخرجوا متعجبين من ذلك وقصدوا الموضع الذي يقطع فيه الطريق ويترصده الرفاق حتى وصلوا إليه ووجدوه مع بعض البغاة أمثاله، فقالوا له: إن

1 - نفسه، ص 464.

شيخنا سيدي احمد التجاني قد جعلك مقدما على زاويتنا، فبمجرد ما سمع منهم ذلك أخذه حال عظيم وصار يبكي وفتح عليه في الحين، مع أنه لم يقدم خيرا قبل، وما ذلك إلا بنظرة شيخ الطريقة¹.

الكرامة الخامسة: غرقى في البحر تتحقق نجاتهم بفضل الاستغاثة بسيدي احمد التجاني. يذكر العلامة الحاج الداودي التلمساني الأصل الفاسي القرار، التجاني الطريقة، أنه لما سافر بحرا قاصدا حج بيت الله الحرام، كان من قدر الله تعالى أن تكسرت السفينة بالمسافرين حتى لاحت لهم جزيرة وسط البحر فقصدوها وجلسوا ينتظرون الموت، فبينما هو يفكر إذ ألقى الله في باله مدينة فاس، والشيخ سيدي احمد التجاني، فاستغاث بالشيخ، فأخذته شبه سنة، وإذا بالشيخ وقف أمامه وقال له: قل يا عليما بالألطف نجنا مما نخاف، فانتبه وهو يقولها فلم يلبث إلا قليلا حتى ظهرت له سفينة وعندما رآهم صاحبها حملهم معه وسار بهم حتى أنزلهم في بر الأمان².

الكرامة السادسة: سجين يفك من أسره بفضل قصيدة نظمها يستغيث فيها بسيدي احمد التجاني.

1 - نفسه، ص465.

2 - نفسه، ص441.

هذا الشخص هو الفقيه عبد السلام الزموري، كان منخرطاً في الطريقة التجانية، وحين القي عليه القبض بسبب وشاية كاذبة وأدخل سجن مراكش مع جماعة من الفضلاء، ضاقت به الدنيا، ولم يجد مخرجاً له من هذه الوضعية، فاهتدى إلى نظم قصيدة يستغيث فيها بسيدي أحمد التجاني، ففك الله سجنه في الحين ومما ورد في هذه القصيدة:

يا صاح ان عظم البلا فانهض إلى باب الاله الواحد المنان
وتشفعن بالمصطفى بحر الوفا سر الوجود ومعدن العرفان
وبآله وبصحبه وبمن تلا منهجهم في سائر الازمان
وبقطب دائرة الولاية كلها شيخ المشايخ احمد التجاني¹
ألخ

الكرامة السابعة: نفخة من سيدي احمد التجاني في كفه تشتت
شمل أمهاوش.

أفاد بوعزة البربري الذي أتى من بلاد البربر إلى فاس ليأخذ
الطريقة التجانية في الوقت الذي كان آتياً فيه من بلده للالتقاء بالشيخ

1- نفس المصدر، ص 511.

والأخذ عنه، صادف السنة التي جمع فيها الفتان الشهير أمهاوش جميع قبائل البربر الذين اتفقوا على مساندته للدخول إلى فاس بالقوة. ويضيف نفس الراوي أنه سار معهم متخفياً بنية الوصول إلى فاس، فتم له ذلك والتقى بالشيخ الذي لقنه أوراد طريقته، وحين أراد توديعه سأل عن الفتان المذكور، ومن معه، وماذا يريد فأخبره بما هو عليه من القوة والشدة وبما يريد، فالتفت سيدي أحمد التجاني إلى ناحيتهم ومد كفه وقال «أف» ثم ودعه، وفي صبيحة الغد وصل ابن عزوز إلى المحل الذي ترك فيه أمهاوش ومن معه فسأل عنهم فقليل له انهزموا بالأمس وقت كذا ولم يدر أحد سبب ذلك، فلم يشك بوعزة البربري في أنهم هزموا في الساعة التي نفخ فيها الشيخ التجاني (ر)، في كفه نحو جهتهم¹.

الكرامة الثامنة: الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي أخبر

سيدي أحمد التجاني عن نسبه الشريف.

أفاد علي حرازم برادة في جوهر المعاني أن سيدي أحمد التجاني لم يكتف بما هو مذكور حول نسبه من الآباء والأجداد والرسوم وأخبار الأعيان حتى سأل سيد الوجود صلى الله عليه وسلم عن نسبه، وهل هو من الأبناء والأولاد ومن الآل والأحفاد فأجابه صلى الله عليه وسلم يقظة

1 - نفس المصدر، ص 512-513.

لا مناما: «نسبك إلى الحسين بن علي صحيح....»¹

الكرامة التاسعة: الرسول صلى الله عليه وسلم يخبر الشيخ التجاني بأنه من الأمنين، وكل من رآه كان من الأمنين ومات على الإيمان: ترى المصادر التجانية ان سيدي احمد التجاني طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يغفر لمريديه جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر، وان يرفع الله عنهم محاسبتهم على كل شيء وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى ساعة الحساب وأن يدخلوا الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة وأن يكونوا كلهم معه في عليين في جوار النبي صلى الله عليه وسلم. فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: ضمنت لهم هذا ضماناً لا تنقطع حتى تجاورني أنت وهم في عليين.²

الكرامة العاشرة: لصوص تشل أعضاؤهم لهجومهم على سلع قافلة الشيخ سيدي احمد التجاني. روي هذا الخبر على لسان المقدم عبد الوهاب بن الأحمر، الذي ذكر

1 - علي حرازم برادة، جواهر المعاني م. س، ج I، ص 26.

2 - علي حرازم برادة، جواهر المعاني م. س، ج I، ص 109 - 110.

أنه كان مع قافلة تحمل أمتعة سيدي احمد التجاني، فبينما هو في الطريق إذ خرج عليهم اللصوص ونهبوا جميع القافلة فصار ابن الأحمر يقول للصوص: اتقوا الله يا ناس فإن القافلة لولي الله سيدي احمد التجاني، فلم يأبهوا بقوله، فبينما اللصوص ينهبون الأمتعة إذ احسوا بثقل أعضائهم وضيق أرواحهم في أجسادهم حتى أصبحوا غير قادرين على المشي، وكأن الأرض تبتلعهم. فصار اللصوص ينادون ويستنجدون تائبين نادمين على ما فعلوه. وبعد هذه التوبة رافقوا ابن الأحمر والقافلة حتى وصلوا إلى سيدي احمد التجاني فتبركوا به وأخذوا طريقته المحمدية ورجعوا إلى بلادهم متمسكين بحبل الرشاد¹.

إن الكرامات التي ظهرت على سيدي احمد التجاني تبعا للمصادر الخاصة بالطريقة، لا تعد ولا تحصى منا نقرأ ذلك في كتاب جواهر المعاني الذي يقول جامعہ بخصوص هذا الموضوع: «وقد شاهدنا من سيدنا ما لا يحصى ولا يستقصى من الخوارق العظام والكرامات الجسام في الغيبة والحضور، وفي السفر والإقامة وفي جل الأمور وهي على أصناف مختلفة الأوصاف ما بين تصريفات من رفع خطوب ونصر مظلوم وتكثير طعام وإبراء عاهة وبين مكاشفات

1 - احمد سكيرج. كشف الحجاب، م. س، ص 233.

وإجابة دعوات وغيرها من خوارق العادات...¹ .»

ورغم ما غمر الله به هذا الولي من نفحات وأنوار، وما أظهره على يده من فتوحات وكرامات، فإن الخليفة علي حرازم برادة يخبرنا في نفس المصدر أن شيخه كان يخفي الكرامات ولا يظهر منها شيئاً² . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن ما خفي من كرامات هذا الشيخ أكثر مما ظهر، وأن بعض الكرامات التي لم ترد أخبارها لا في جواهر المعاني ولا في الجامع لما افترق من العلوم، ولا في الإفادة الأحمدية، وانفردت به مراجع ثانوية، قد تكون من قبيل المبالغة.

وقد تبرأ شيوخ التجانية وفقهاؤها بعد وفاة شيخهم من التشويه الذي يكون قد أصاب بعض تعاليم طريقتهم³ ، كما دعوا إلى ضرورة اعمال الفكر والسنة النبوية في كل ما ينسب من أقواله، فما وافق الشريعة من أقواله يعمل به وما خالف ذلك يترك. وبعد أن تعرضنا للدور الذي لعبته

1 - علي حرازم برادة، جواهر المعاني م. س، ج II، ص 207.

2 - نفسه، ص 209.

3 - من أجل الإطلاع على الكثير مما روي، كذبا عن سيدي احمد التجاني يمكن الرجوع إلى الكتاب القيم الذي ألفه الفقيه احمد سكيرج تحت عنوان: جناية المنتسب العاني فيما نسب بالكذب للشيخ التجاني. دار الطباعة الحديثة. د. ت.

الكرامات إلى جانب عوامل أخرى في نشر تعاليم الطريقة على أوسع نطاق في فاس وناحياتها، فكيف امتد اشعاعها إلى باقي أنحاء المغرب؟

الفصل الثاني

انتشار تعاليم الطريقة حتى بلاد درعة وسمارة

مرة أخرى نجد أنفسنا، ونحن بصدد تحرير هذا الفصل أمام نوع وحيد من المصادر تقريبا، وهو ما خلفه أعلام التجانية من كتب عن طريقته، وعن رجالاتها وعن المجهودات التي بذلوها لتعرف تعاليم الطريقة أكبر انتشار ممكن داخل المغرب وخارجه. فبعد قراءة لنا لهذه المصادر وانكبنا عليها، وبعد أن استخرجنا منها كل ما يتعلق بانتشار تعاليم هذه الطريقة في انحاء المغرب، اتضح لنا ان هذا الانتشار تحقق قبل وفاة الشيخ سيدي احمد التجاني، بدليل أن التجانيين المنتمين لمختلف الأقاليم كما سنبين، أخذوا في غالبيتهم مباشرة عن الشيخ التجاني، كما أخذوا بعد وفاته عن مقدميه وخلفائه الوارثين لأسراره، الذين لم يخيّبوا ظن شيخهم في العمل دعوة وتأليفا من أجل الذب ضد المغرضين والحاquدين على الطريقة، وفي مقدمة هؤلاء الخلفاء: بلقاسم بصري المكناسي، عبد الوهاب بن الأحمر، محمد أكنسوس، العربي بن السايح وغيرهم، وهذا ما ضمن للطريقة نجاحا مؤكدا ومستمرا مع الأجيال التي شهدت فترة التأسيس.

من جهة أخرى فرضت علينا المادة المستخلصة من المصادر

المذكورة اتباع خطة تقضي بتقسيم هذا الفصل إلى محورين رئيسين، أحدهما خصصناه لتتبع الانتشار حسب الجهات، لنتطرق في المحور الثاني للتعريف بأهم الرجال الذين عملوا على الانتشار السليم لهذه التعاليم.

I - الانتشار حسب الجهات:

بمجرد ما وصل إلى علم الناس بمختلف جهات المغرب خبر الشيخ سيدي احمد التجاني وطريقته، بدأوا يفدون عليه من كل حدب وصوب، ليأخذوا عنه طريقته ولينهلوا من علومه، فممنهم من كان يعود إلى بلاده بمجرد تحقيق هدفه، ومنهم من كان يفضل البقاء بمدينة فاس قرب الشيخ لإمتاع النظر والقلب والروح بمجالسته من حين لآخر، بل من المريدين من كان بمدينة فاس يدرس أو يدرس غداة قدوم سيدي احمد التجاني إلى هذه المدينة، فطلب الانخراط في صفوف التجانيين، وبعد عودتهم إلى أقاليمهم الأصلية بصفتهم مقدمين في الطريقة بإذن من الشيخ، أو كفقراء عاديين، كانوا يقومون بدور الدعوة والتأطير لفائدة المنخرطين الجدد في التجانية، مع الإشادة في نفس الوقت بشيخها، بما ظهر عليه من علم وورع وكرامات وأنوار وأسرار، والتأكيد على ما أعده الله للتجانيين بعد موتهم من مغفرة وحسن جزاء ومقام في أعلى عليين، كما تنص على ذلك

التعاليم التجانية الخاصة بهذا الموضوع.

وتبعا للمعطيات التي توفرت لدينا بخصوص هذا المحور، وبعد عملية التصنيف التي قمنا بها لضبط المریدین من مقدمین وخلفاء وفقراء عادیین، حسب الجهات والأقالیم التي ينتمون إليها، اتضح لنا أن المناطق الجغرافية الكبرى التي شملها هذا الانتشار في المغرب هي:

شرق المغرب – صحراء المغرب الشرقية – سلسلة جبال الريف والفحص – سلسلة جبال الأطلس والصحراء المتاخمة لها – السهول الأطلسية والسوسية – بلاد درعة وما والاها حتى سمارة.

وطلبا للاختصار والتركيز وتلافيا لكل تفصيل ممل، فضلنا عرض هذه المعطيات على شكل جداول مع التعليق على بعض عناصرها من حين لآخر.

1 - شرق المغرب حتى بلاد الأغواط وتيماسين:

اسم البلدة	اسم الشخص أو الأشخاص التجانيين بها	المصدر	معلومات مختصرة حول الأشخاص المعنيين
تلمسان وهران وجدة	1- محمد بن معمر البوشيخي	رفع النقاب ص 124	من أصحاب الشيخ المهاجرين من تلمسان إلى وجدة عند احتلال الفرنسيين لها. وقد ورث عنه ورثته نعال الشيخ سيدي احمد التجاني.
	2- مفتي وهران المقدم سيدي علي ابن عبد الرحمن	كشف الحجاب ص 203	كان مقدما للطريقة، لكن بعد وفاة الشيخ. وله رسالة إلى أحمد العبدلاوي أحد أعمدة الطريقة بتاريخ رجب 1324 / 1906.
	3- الطاهر بوطيبة التلمساني	نفس المصدر ص 414	كان له التقديم العام من الشيخ وعلى يده اشتهرت وانتشرت الطريقة بنواحي تلمسان. وقد ظهرت عليه كرامات عدة.

4 - محمد ابن عبد الرحمان العزوزي الإيشي.	رفع النقاب م، س، ج III ص 139	من الفقهاء الجلة ، تلقى الطريقة عن الشيخ وهو من جملة الأحاب الذين هاجروا من تلمسان عندما كثرت بنواحيها الفتن. واستوطنوا بتازا. وبعد أن عاد الأمن وسكن الروع، كتب إلى سيدي احمد التجاني يستشيريه في الرجوع إليها مع إخوانه.
5 = احمد الرمضاني اليزناسي الوجينتي	المصدر نفس ج I ص = 109 110.	قطع المغرب طولا وعرضا ليحصل على مطلبه خصوصا الجبال والسواحل والفلوات...حتى سمع بالشيخ...فشد الرحلة إليه إلى فاس وأخذ عنه طريقته، وقام بدور بارز في نشرها ببلاده.
فجيج 1=المقدم احمد ابن رحو الفجيجي	رفع النقاب الجزء I ص 88.	قدمه سيدي احمد التجاني لتلقين الطريقة الأحمدية. فقام بهذه المهمة أحسن قيام. وقد وجهت والدته رسالة إلى الشيخ تستعطفه في الدعاء لولدها المذكور.

2=ابراهيم بن رحو الفجيجي	المصدر نفس ص15.	من أصحاب الشيخ الذين خدموه بإخلاص وهو أخ المقدم احمد بن رحو السابق ذكره. وله تنافس مع أقاربه في خدمة الجانب الأحمدي.
3=ابراهيم بن بوزيان الفجيجي	المصدر نفس ص 11=12 13	كان من خاصة أصحاب الشيخ التجاني، وله أقارب اقتفوا أثره في أخذ الطريقة في حياة الشيخ. وله مراسلات مع سيدي احمد التجاني.
4=احمد بن بوزيان بن عبد الجبار الفجيجي.	المصدر نفس ص 55=56	له محبة كبيرة في الشيخ، يتضح ذلك من الرسالة التي بعثها لسيدي احمد التجاني يعبر له فيها عن حبه وحب سكان فجيج له...
5 =المقدم عبد الجبار الادريسي.	المصدر نفس ج VI ص 13=14.	كان من الأفراد الكمل المتمسكين بحبل الطريقة التجانية ومن المقدمين لتلقيها أو رادها قيد حياة سيدي احمد التجاني. وقد انتفع على يده جم غفير ممن تقيدوا بحبل هذه الطريقة. وهو دفين قصر المعيز من قصور فجيج.

من السباقين للدخول في عهد الشيخ. تلقي عنه طريقته بفجيج حيث كان ينزل الشيخ عنده. ولا زال المحل الذي كان الشيخ ينزل به هناك مشهورا بدرب أولاد زيان. وهو الذي بنى الصومعة بقصر المعيز وله الآن عقب. وكان عنده بخط سيدي احمد التجاني نسخة من دلائل الخيرات...	المصدر نفسه ج III ص 51.	6 = محمد بن حسون الفجيجي.	
مقدم الطريقة في فجيج إلى عهد احمد سكيرج مؤلف كتاب رفع النقاب وهو زوج فاطمة بنت عبد الرحمان التي آلت إليها نسخة دلائل الخيرات الآنف ذكره.	رفع النقاب الجزء III ص 52.	7 =المقدم محمد بن قاضي الفجيجي المعيزي.	

أبو سمغون	1 = المقدم محمد بلعباس السمغوني	كشف الحجاب ص 376.	أحد الخاصة من المقدمين لتلقين أورااد الطريقة في زمن الشيخ
	2 = المقدم ريان ابن المشري السمغوني	رفع النقاب ج II ص 172.	كان من الواقفين على ساق الجد في خدمة أولاد سيدي احمد التجاني.
	3 = سيدي احمد ابن عاشور السمغوني	كشف الحجاب ص 382.	كان محبوبا عند الشيخ التجاني مع صغر سنه لأن والده كان محباللطريقة.
	4 = الطيب بن محمد بن سليمان بن قدور البوشيخي	رفع النقاب ج II ص 234=233.	كان من الفائزين بمحببة الشيخ و الآخذين عنه مباشرة.
	5 = محمد بن فنيش السمغوني الخران	المصدر نفس ج III ص 203 إلى 205.	له حسن اعتقاد بالشيخ مما جعله يقدم له مساعدات مادية لبناء سكناه بأبي سمغون.

	6 = عبد القادر ابن زياد الزيايدي	نفسه ج VI ص 45.	قدم خدمات كبيرة للشيخ التجاني منها تربية ابنه.
تماسين وعين ماضي	1 = الحاج علي التماسيني	كشف الحجاب ص 126 وما بعدها	وصفه احمد سكيرج بالقطب الكامل والغوث الفاضل. وهو في الواقع غني عن التعريف لارتباطه بخدمة الشيخ والطريقة مدة طويلة في تماسين. واستمرت هذه الخدمة إلى ما بعد وفاة الشيخ. وسار أبنائه بعده على نفس النهج.
	2 = المقدم داوود ابن الطاهر ابن الميلود التجاني الماضوي	رفع النقاب ج II ص 168.	عينه الشيخ التجاني مقدما لتلقي أوراد الطريقة. وكان كبير اعتناء بأمور الشيخ. وبعد وفاة داوود هذا تم تقديم ابنه المسمى بالشيخ لإعطاء الأوراد لمن رغب فيها.
	3 = المقدم بو حسون الماضوي	كشف الحجاب ص 403	من أفاضل أصحاب الشيخ، مشهور بالولاية الكبرى. عينه سيدي احمد التجاني مقدما للطريقة بالبلدة التي يقيم بها. كانت حرفته البناء. وهو الذي بنى لشيخ الطريقة الدور = =

والخلوات الشهيرة بعين ماضي وأبي سمغون.			
من أكابر خاصة الخاصة من أصحاب الشيخ الذين كانوا من السباقين إلى نصره سيدي احمد التجاني والدخول في طريقته. فحذت عشيرته برمتها حذوه. وخلفه ابنه احمد في نصرته للطريقة وخدمتها.	كشف الحجاب ص 196 إلى 200.	4 = محمد بن قويدر العبدلاوي وابنه احمد العبدلاوي	
كان قائما على ساق الجد في خدمة الطريقة كما كان مكلفا برعاية إبل سيدي احمد التجاني، زار هذا الأخير بفاس عدة مرات.	رفع النقاب ج IV، ص 47=46	5 = عبد القادر ابن محمد ابن سليمان ابن قدور	
كان قدوة في نشر الطريقة ببلدته لما له من الأسرار الخاصة به والأنوار المشرقة على وجهه. كان له اتصالات ومراسلات مع شيخ الطريقة بفاس.	نفسه ص 48=47	6 = عبد القادر ابن علال السمغرنى	

قصر الأبيض (ناحية أبي سمغون)	1=المقدم الحاج احمد الزاوي الشلالي البوشيخي	نفس المصدر جIص 89	هو أحد المقدمين الذين قدمهم الشيخ لتلقين الاوراد قيد حياته، له مكاتبات مع سيدي احمد التجاني، مضمونها التعلق بالشيخ.
	2 = احمد بن قدور الشلالي.	نفس المصدر جIص 200.	كان سيدي احمد التجاني يوجهه في قضاء بعض أموره المهمة ويتوسط بينه وبين محبيه في الحصول على رضاه عنهم، حتى الموجودين بالصحراء منهم.
	3 = احمد بن سعد الشلالي	نفس المصدر جIص 200	أفنى عمره في خدمة الشيخ سفرا وحضرا، ودخل على يده عدد كبير من الأشخاص إلى الطريقة.
	4 = خليفة بن كربوب الشلالي الظهراني	رفع النقاب جIIص 166	كان كثيرا ما يشد الرحال لزيارة الشيخ من أبي سمغون إلى فاس رفقة جماعات من أسرته وأحابه، وكان كثير الذب عن حرمة الطريقة.

أولاد سيدي الشيخ (ناحية أبي سمغون)	1=الحاج المسكم النبابلي.	نفس المصدر ج II ص 16.	من أحفاد الولي الصالح سيدي ابراهيم بن سيدي الشيخ. وهو من أحباب سيدي احمد التجاني المشهورين بحفظ العهد.
	2 = سيدي محمد ابن المسقم.	كشف الحجاب ص 459.	من أولاد العارف بالله سيدي الشيخ. كان من خاصة أصحاب سيدي احمد التجاني، وله مع الشيخ مراسلات.
	3 = سيدي بو حفص بن عبد الرحمان.	المصدر نفسه 460.	من أولاد سيدي الشيخ. كان من أفاضل خاصة أصحاب سيدي احمد التجاني .
تاجموعات	1 = احمد بو يعقوب	رفع النقاب ج I ص 59.	كان سفيرا في بعض الأسرار للشيخ التجاني ولبعض خاصة أحبابه. وكان يأتي للشيخ ببعض المآرب التي يوجهه لقضائها. وله معه مراسلات .
	2 = حسن بن دحمان	المصدر نفسه ج II ص	من الصادقين في خدمة جناب الشيخ. في رسالة له إلى الشيخ =

==	التاجموعتي	ص 160 و 161	التجاني أخبره فيها أنه بنى مقاما جيدا في المكان الذي كان يقيم فيه سيدي احمد التجاني في تاجمومت حين زارها وجعلها للفقراء والأحباب...
أماكن مختلفة في الصحراء	1=مقدم يعزى برادة .	كشف الحجاب ص 218	هو ابن الخليفة علي حرازم برادة سبق التعريف به في مكان آخر . وتأتي أهميته في هذا المحور من كون الشيخ سيدي احمد التجاني أرسله إلى الصحراء في مهمة تتعلق بانتشار الطريقة بين سكان هذه الجهة.
	2=أبو حفص عبد الرحمان الصحراوي .	رفع النقاب ج I ص 222=221	من رفقاء العلامة بن المشري في الأسفار المهمة لقضاء مآرب الشيخ بالصحراء والقطر الجزائري، لما كان له من وجهة بين سكانها. ويوجد برفع النقاب نص رسالة تخبر أن عبد الرحمان الصحراوي مستمر في مهمته ويطلب الدعاء من الشيخ للتغلب =

على المصاعب.		
رجل من أهل الصحراء له اعتقاد تام في الشيخ وهو واحد من الذين رجعوا إلى محبة الشيخ بعد الإعراض. فتاب وصار من أكثر المخلصين في خدمة الطريقة.	رفع النقاب ج II ص 2 وما بعدها.	3= الجليلي ابن التومي الصحراوي.
من الصحراء بناحية التل وبلاد الجريد وهو من المقدمين لتلقين أوراد الطريقة لمن رغب فيها من سكان المنطقة التي يقيم فيها. فانتفع بذلك على يده جم غفير.	رفع النقاب ج III ص 286.	4 = المقدم مسعود بن كحولة الصفرائي.
من ناحية الصحراء. اتصل بالشيخ وأخذ عنه، وقدمه هذا الأخير في التصرف في بعض الأسرار وتلقين تعاليم الطريقة. وله مراسلة مع الشيخ في الموضوع. كما أن الواسطة المعظم محمد بن العربي الدمراوي كان يخصه بالاطلاع على بعض الأسرار.	رفع النقاب ج IV ص 256.	5 = المقدم ابن زيان الشلالي.

أفراد هذه الجماعة في الصحراء الشرقية. وهم متفانون في خدمة الطريقة التجانية. كتبوا إلى الشيخ سيدي احمد التجاني، يطلبون منه أن يأذن لهم في الانتقال من بلادهم، لما كثر بها المرض العام، إلى بلاد أخرى (بلاد أولاد المصابي)، قصد الاستيطان بها.	كشف الحجاب ص 199=198	6=جماعة من الصحراء الشرقية.
من أولاد سيدي بودواية. وهم من أولاد العارف بالله المشهور سيدي الشيخ. وكان من أصحاب سيدي احمد التجاني القاطنين بالصحراء. دخل على يده عدد غير قليل من الفقراء في الطريقة.	نفسه، ص 380	7=سيدي محمود بودواية
كان من أكابر المفتوح عليهم في الطريقة وظهرت عليه كرامات بالصحراء، مما جعل الناس يجلبونه ويدخلون في الطريقة الصوفية ==	كشف الحجاب، ص 522=521	8=محمد الزين الصحراوي

التي اختارها.		==	
هو من أهل الصحراء المجاورين لأولاد سيدي بوداوية. له اعتقاد كبير بالشيخ التجاني، وكان تحت نظره بعض إبل سيدي احمد التجاني.	رفع النقاب ج I ص 14	9=احمد ابن عبد الرحمان البوشيخي .	
من قصر أربى الأسفل، وهو من الذين تقدمت لهم صحبة مع الشيخ، عندما كان هذا الأخير نازلا بفرقة السعودات في مجاورة أربى الأسفل يؤدب صبيانهم ويعلم كبارهم، فكان يأتيه ليتعلم على يديه قبل أن يسكن سيدي احمد التجاني حضرة تلمسان، وقد رأى في الشيخ من الكرامات ما أبهره، وعندما ظهر أمره بأبي سمغون كان من أول الداخلين في زمرة هو وأقاربه.	نفس المصدر ص 250 251	1=البشير ابن بوعلام الأرباوي.	قصر أربى الأسفل والأغواط
من قصر أربى بناحية أبي سمغون، له رسالة وجهها إلى الشيخ يطلب منه فيها أن ينظر إليه بعين الرضى. ==	نفس المصدر ج II ص 13.	2=الجيلالي ابن عبد الرحمان	

		الأرباوي.	وقد وجه له هذه الرسالة على يد الحاج الطيب العرباوي الفاسي، مما يدل على أن التواصل البشري بين فاس وشرق المغرب كان نشيطا.
	3=المقدم المعمر بن يوسف الأرباوي.	نفس المصدر جIII ص 293	من أربى السفلى من خاصة أحباب الشيخ الذي قدمه لتلقين الطريقة قيد حياته، وانتفع على يده كثير من الأحباب والإخوان من أهل الصحراء وبلاد الجريد.
	4=موسى ابن معمر الأرباوي.	نفس المصدر ص 293=294	لاحت عليه علامات الفتح الذي كتمه فعظم مقداره بين الناس، توفي قيد حياة الشيخ وأوصى بثلاث متخلفه للشيخ.
	5=عبد القادر الأخضر البوطي الساحي.	المصدر نفسه، جIV ص 44.	كان لشدة محبته للشيخ يشد الرحال إلى فاس لزيارة شيخ الطريقة والتملي بطلعته. وهو من خواص أصحاب العلامة السيد سحنون الأغواطي.

6 = العلامة سحنون الأغواطي.	المصدر نفسه، ص 213. =كشف الحجاب، ص 467.	من علماء التجانية، أخذ الطريقة عن الشيخ مباشرة، وله مراسلات معه. يضرّب به المثل بخط ابن مقلة في الحسن. وكان سيدي احمد التجاني ينوه بشأنه في حفظ الفروع الفقهية وتحقيقه لنوازلها.
7 = محمد ابن عبد الله الأغواطي	نفس المصدر ج III، ص 132=133.	من خواص أحباب العلامة ابن المشري خليفة سيدي احمد التجاني. أخذ الطريقة عن الشيخ مباشرة، وأخلص في خدمتها بالأغواط خصوصا والمغرب الأوسط عموما، بشهادة ابن المشري الذي كان يخبر الشيخ التجاني بذلك، فيزيد ارتياحه من اخلاص هذا المريد، مما جعله مغبوطا بين أقرانه.

2 - صحراء المغرب الشرقية:

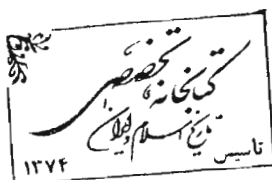
اسم البلدة	اسماء الأشخاص التجانيين بها	المصدر	معلومات مختصرة حول الأشخاص المعنيين
سجل ماسة زين، توات وما والاها	1= المقدم احمد بن عبد السلام الفيلاي الورديغي السجل ماسي	=رفع النقاب ج I، ص 170. =كشف الحجاب، ص 369.	من أكابر أصحاب الشيخ التجاني الذي عينه مقدما لتلقي أواد طريقته ونشر تعاليمها في الصحراء. فانتشر الأخذ عنه في في أقاليم الجزائر وقسنطينة وهران وعين ماضي وأبي سمغون وبلاد الجريد، وله عدة مراسلات مع أصحاب سيدي احمد التجاني، وهو أحد الخاصة الذين غارت مرتبة العلامة محمد بن المشري من مراتبهم العالية.
	2= الفقيه العلامة الأمين الزيزي.	=كشف الحجاب ص 415. =رفع النقاب	من الشرفاء اليوسفيين، وهو أول قادم إلى فاس في بلده زين لأخذ الطريقة التجانية عن شيخها. كان علاوة على تشبته بهذه الطريقة =

عالمنا ناسكا. ولي الخطابة بالمدرسة البوعنانية. وكان يتردد على بلده الأصلي من حين لآخر. وعلى يده دخل عدد غير قليل من الأشخاص إلى الطريقة في ريز.	ج I، ص 216	
شريف حسني من ريز أخذ أفاضل الشيخ التجاني. أتى من الصحراء لأخذ الطريقة التجانية ولما حقق هدفه، لازم شيخها بزاويته مدة. أجازه سيدي العربي بن السايح والفقيه علال الفاسي، وما لبث أن عاد إلى بلاده حيث دخل على يده عدد كبير من الزريين إلى الطريقة إلى أن توفي.	=رفع النقاب ج III ص 130=131 كشف الحجاب ص 539.	3 = محمد ابن عبد الله البوكيلي
هو ابن البوكيلي السابق، انتفع به في أمر الطريقة كثير من الفقراء من زيز وفاس...	كشف الحجاب، ص 539	4 = المقدم محمد بن محمد البوكيلي
قدم من صحراء ريز إلى فاس، =	كشف الحجاب	5 = الحسن

ابن عبدالله البوكيلي	ص 539 وما بعدها	فتعرف على الشيخ سيدي احمد التجاني وأخذ طريقته. وبعد أن ظهر إخلاصه عينه الشيخ مقدا لتلقين الطريقة والتقديم المقيد والمطلق. ونعتقد أن هذه الصلاحية الواسعة منحها له الشيخ ليتسنى له نشر تعاليم الطريقة في بلاد زيز وما جاورها. وهذا المقدم هو أخو محمد البوكيلي الآنف ذكره.
6 = عدد من فقراء العويينة.	رفع النقاب، ج II ص 129	هذه المجموعة من الفقراء التجانيين بهذه البلدة ورد خبرها في رسالة من الفقيه محمد أكنسوس إلى الحاج الحسين الافراني السوسي، تفيد أن ما يقوم به هؤلاء من السماح للنساء بالحضور في الذكر مع الرجال لا يجوز، وهو وقوف في موقف التهمة يجب العمل على محاربته.
7 = محمد العريسي المدعو بساقاط	نفسه ج III ص 130	أخذ الطريقة عن الشيخ مباشرة، ولعب دورا كبيرا في نشر تعاليم الطريقة بغريس والذب عنها.

من المقدمين البارزين في تلقين الطريقة التجانية. وقد كتب له التقديم العلامة ابن المشري بأذن من سيدي احمد التجاني. وكان والده أيضا من أحباب الشيخ التجاني وعلى يده دخل عدد كبير من الفقراء من الطريقة وشدوا الرحال إلى فاس . كان يرأسل سيدي احمد التجاني.	رفع النقاب ج IV ص 81 × كشف الحجاب ص 452 = 453	8 = المقدم العربي بن ادريس التواتي.
بحر العلوم العرفانية، من أكابر الأولياء الذين أخذوا عن سيدي احمد التجاني طريقته، ونظرا لأهميته فقد زاره سيدي احمد التجاني في بلدته، وفي ذلك قال صاحب المنية. وسافر الشيخ إلى توات لأجل عارف له موات	كشف الحجاب ص 450 = 451	9 = محمد ابن الفضيل التواتي.
أخذ الطريقة عن المقدم العربي بن ادريس التواتي السابق ذكره، ثم التقى بالشيخ بعد سنة 1220 / 1806 ليأخذ عنه مباشرة.	نفسه ص 451.	10 = الطاهر ابن عبد القادر القندوسي.

11 = الحسن ابن عبد الرحمان البلبالي التواتي.	المصدر نفسه ج II ص 161.	من أحباب الشيخ وله رسالة بخط يده يطلب فيها من سيدي احمد التجاني أن يوجه إليه همته لينال في الدارين أمنيته
12 = احمد بن محمد التواتي.	نفس المصدر ج I ص 96 = 97 = كشف الحجاب ص 449 = 450	أحد خاصة أصحاب الشيخ. له بخطه دعاء المغني الذي يقرأ بعد الحزب السيفي ليلا يتضرر قارئه، وله رسالة بخط يده وجهها من ناحية توات بعد رجوعه من إحدى سفراته إلى حضرة الشيخ، تتعلق بأمور الطريقة.



3 - سايس - جبالة وبلاد الريف:

اسم البلدة	اسماء الأشخاص التجانيين بها	المصدر	معلومات مختصرة حول الأشخاص المعنيين
مكناس ¹	1=المقدم محمد الغالي بوطالب وولد الطاهر.	=كشف الحجاب ص 262=263. =رفع النقاب ج 4 ص 99. ثم ج 2 ص 221.	من أفاضل خاصة الخاصة من أصحاب الشيخ. وهو أحد العشرة المضمون لهم الفتح الأكبر. وهو ممن انتشرت الطريقة على أيديهم بالمغرب والمشرق، وعنه انتقلت إلى إفريقيا جنوب الصحراء. وسار ابنه الطاهر على نهج أبيه في حب الطريقة.

1 - عدد المكناسيين الذين انخرطوا في التجانية كثير لقرب مكناس من فاس. ولذلك

سنقتصر على ذكر بعض الذين كان لهم دور فعال في خدمة الطريقة

أدرك الشيخ قبل وفاته كما مر بنا سابقا. وأخذ عنه الطريقة وهو صغير السن. لكن التقديم أخذه عن وسائط في مقدمتهم الحاج علي التماسيني وعبد الوهاب بن الأحمر. ونظرا لإلمامه بعلوم الشريعة والحقيقة فقد لعب دورا بارزا في نصره الطريقة التجانية بمكناس وباقي انحاء المغرب. وقد اقتدى به في الدخول في الطريقة كل أفراد أسرته. وعلى نهجه سار ابن عمه المفضل البصري. وبيت ال بصري في مكناس من البيوتات المحترمة.	كشف الحجاب ص 422 = 430 وما بعدها. = رفع النقاب ج 3 ص 55 ثم ص 275.	2 =المقدم محمد بلقاسم بصري وابن عمه المفضل بصري.	
أخذ عن الشيخ مباشرة، ودافع عنه وعن طريقته ضد المنكرين عليه. وقدمه للسلطان مولاي سليمان في صورة جيدة وبفعل إقامته بمكناس وتوليه خطة القضاء بها فقد كان قدوة للتجانيين ونموذجا تتوفر فيه صفات المسلم المثالي.	=رفع النقاب ج 4 ص 10 = 11	3 =القاضي العباس بن كيران الفاسي	

4 = القاضي احمد بن عبد المالك العلوي (دبيرة)	المصدر نفسه ج I ص 146.	قاضي الحضرة المكناسية، جمع بين الأصول والفروع، وأخذ الطريقة وأورادها عن الشيخ مباشرة. وكان أحسن سفير لسيدي احمد التجاني بمكناس.
5 = الفقيه المكي بن بادو المكناسي وأخوه الهادي.	رفع النقاب ج 3 ص 270.	أخذ الطريقة عن الشيخ مباشرة. وكان من الأساتذة الكبار في القراءات والتجويد. وأظهر إخلاصا كبيرا إلى جانب أخيه الهادي في خدمة الطريقة.
6 = الفقيه عبد الرحيم حميش المكناسي.	= كشف الحجاب ص 525. = رفع النقاب = ج 3 ص 270	كان من أفاضل المريدين، وهو الذي دل الفقيه المكي السابق ذكره، على الشيخ، وكان حميش كثيرا ما يأتي لزيارة الشيخ بفاس. ويذكر صاحب كشف الحجاب أنه هو الذي خاطبه الشيخ بأبيات، جاء في مطلعها: توجه نحونا تعط الأمانا وغمض عين قلبك عن سوانا وسلم كل أمركم إلينا وجد بالنفس أن تحبب لقانا

7 = الفقيه ابن حمدوش المكناسي	=كشف الحجاب ص 525=526	أخذ الطريقة مباشرة عن شيخها الذي كان يحبه محبة خاصة لما عرف عنه من إخلاص في تحبيب التعبد بأوراد الطريقة للناس، لما في ذلك من منفعة دنيوية وأخروية.
8 = الفقيه محمد الغالي السنتيسي المكناسي	=كشف الحجاب، ص 45 ثم ص 320.	فقيه وأديب له محبة كبيرة في الطريقة وهو الذي نظم قصيدة يمدح فيها الزاوية التجانية، مطلعها: هذا المزار فخذ للقلب مثواه وابشر بنيلك ما ترجوه وتهواه وابسط يمينك والأخرى قبالة من مقامه منزل المختار مأواه ذاك التجاني أبو العباس سيدنا ملاذنا احمد بشرى بليياه
9 =علي حرازم برادة	م. نفسه، ص 70	لم يسكن بمكناسة وإنما كان يتردد هذه المدينة من حين لآخر لتفقد أمور الطريقة على ما يبدو، من خلال ما ورد في كشف الحجاب .
10 = جماعة	كشف الحجاب،	هذه المجموعة من التجانيين = =

	من التجانيين	ص 279=280.	المكناسيين توجد أسماؤهم ضمن رسالة بعثوها إلى ولدي الشيخ بعد وفاته، وهما محمد الكبير ومحمد الحبيب. أما الأشخاص المكناسيون فهم: المقدم محمد الكتوسي، وولده المكي، ومحمد القلعي، والمفضل بن بو عزة، ومحمد بن فقيرة والمكي بادو، وأخوه عبد الهادي، وعبد الرحيم حميش، والمفضل بصري وولده عمه والشريف الهراج، والفقير بم حمدوش.
زrehون	1=أحمد ابن عامر	رفع النقاب ج IV ص 128=129. كشف الحجاب = ص 524.	أخذ عن الشيخ مباشرة ورسخت قدمه في الطريقة فأذن له الشيخ في أذكار خصوصية. وكانت بينهما مكاتبات في أمور الطريقة. منها رسالة أحمد الزرهوني إلى الشيخ بتاريخ 17 محرم 1225.
	2=العالم العربي الزرهوني	رفع النقاب ج IV ص 94.	أخذ الطريقة عن الشيخ ورسخ قدمه فيها وهو فقيه، له باع طويل في النوازل الفقهية وهي التي نقل ==

جلها العلامة النواز لسي الشريف الوزاني في المعيار الجديد.		
دفعه حبه للطريقة ولشيخها الذي أخذ عنه مباشرة، إلى بناء زاوية للفقراء بقرية كرمة سالم قرب جبل زرهون ودفن قريبا، وهو جد الملامتي الأديب سيدي عبد المالك المعروف بالحشاش.	رفع النقاب ج Iص 141. كشف الحجاب ص 542.	3 = محمد البوكيلي الكرمتي الزrehوني
هو أحد خاصة الشيخ التجاني الذي راسله في أمور تتعلق بالطريق.	كشف الحجاب ص 523.	4 = الفقيه بن قدور الزrehوني.
أذن له سيدي احمد التجاني في الأذكار الخصوصية وجرت بين الطرفين مكاتبات .	كشف الحجاب ص 524.	5 = الفقيه احمد ابن عامر الزrehوني
كان في زرهون غريقا في بحر محبة الشيخ، وقد طلب من الله أن ينعم عليه بعشرة أولاد يكون جميعهم تجانيين فاستجاب الله دعاءه.	رفع النقاب ج IVص 263 = 264	6 = الوافي بن عمر الزعيم الزrehوني.

القصر	1= الفقيه أحمد الجباري القصري.	نفسه ج I ص 61 وكشف الحجاب ص 272=273.	من أحباب سيدي احمد التجاني المخلصين في خدمته. قدم من القصر ليأخذ عن الشيخ ويتمتع برؤيته، فحقق هدفه وهو من قرابة السيد محمد بن احمد القصري الآتي ذكره.
	2= محمد ابن احمد الجباري القصري.	كشف الحجاب ص 272=273	كان قاضيا بالقصر وهو من خاصة الخاصة من أصحاب سيدي احمد التجاني، وقد أظهر محبة كبيرة في الشيخ وطريقته. فأصبح بفضل ذلك من العشرة المضمون لهم الفتح الأكبر
طنجة وجبل العلم (تطوان)	1= احمد جوييد الطنجي	رفع النقاب ج I ص 74=75.	ارتحل من ثغر طنجة إلى فاس، فتعرف على الشيخ التجاني وأخذ عنه الطريقة، كانت تأخذه حال وهو بجانب الشيخ لم يعهدها وعندما عاد إلى طنجة دخل على يده خلق كثير من الناس في الطريقة.
	2= الفقيه احمد بن الصادق ابن ريسون	كشف الحجاب	لم تخبر المصادر بأن هذا العالم أخذ صراحة الطريقة التجانية، لكنه كان في علاقة جيدة مع الشيخ التجاني ويستحسن رأيه في الفتوى ويعلي =

العلمي.	من شأنه لدى السلطان لطول باعه في العلم.	
3= محمد المشرف الغرباوي	كشف الحجاب ص 513.	كان سبب دخوله إلى الطريقة استضافته لسيدي احمد التجاني قبل أن يظهر أمره، عندما كان يتردد على فاس قبل إقامته النهائية بها. وهكذا عندما ارتحل سيدي احمد التجاني ذات مرة إلى جبل العلم لأخذ القراءة بالتجويد على بعض أساتذتها هناك. آواه هذا الشخص، ولما استوطن سيدي احمد التجاني فاس وسمع به محمد الغرباوي قدم إليه وأخذ طريقته، وأكرمه الشيخ بعد ذلك بصلة مالية قارة جزاء له على ما أسداه إليه من إحسان.
4 = الفقيه عبد السلام العلمي الجبلي.	رفع النقاب IV ص 63 = 64	شد الرحال إلى فاس بمجرد ما سمع بخبير الشيخ، فأخذ عنه طريقته، لكن بعد ان قبل التخلي عن تعاطيه لعلم السيماء وسر الحرف. وانتفع على يده خلق كبير بدخولهم للطريقة التجانية.
5 = الشاهد	كشف الحجاب	كان وزانيا قبل أن يلتزم بالتعبد ==

	الوزاني	ص 194	بأوراد الطريقة التجانية فأصبح من خاصة سيدي احمد التجاني.
بلاد التسول وما والاها جبال الريف الشرقية	1=احمد بن محمد التسولي.	رفع النقاب ج I، ص 94 = 95.	من الذين تعلق قلبهم بالشيخ منذ أن سمعوا عنه ، وهذا السيد من أعمام العلامة الشيخ أبي الحسن علي بن عبد السلام التسولي من صاحب البهجة في شرح تحفة ابن عاصم، له مكاتبات مع سيدي احمد التجاني من بينها تلك الرسالة التي يقول فيها بعد التحية والسلام: سيدي إنني نريد القدوم لزيارتك والنظر في وجهك لتتنظرنني بنظرة صالحة.
	2=الحاج بنعسي الريفي.	رفع النقاب ج I ص 249	من أحباب الشيخ التجاني. أخذ عنه مباشرة. ولما ظهرت أحوال الفتح عليه وكثرة تعلقه بالطريقة، كلفه سيدي احمد التجاني بالخدمة في بابه ، وهو ابن عم الريفي الآتي ذكره
	3=محمد	كشف الحجاب	اختاره سيدي احمد التجاني بعد=

ابن عيسى الريفي.	ص 522.	أن تعلق بطريقته، من جملة من جعلهم بباب داره المكلفين بقضاء مآربه. وبعد وفاة الشيخ رحل مع أبنائه إلى عين ماضي.
4 = احمد الحبابي وأسرته.	نفسه ص 352=353	هذا الناسك الذي كان يسكن بزقة حجامة من مدينة فاس، ليس من أولاد الحبابي المشهورين بفاس بل أصله من كرجامة بقصر ريحانة من جبل الحبيب. وأول من انتقل من جدوده لفاس كان كثيرا ما يجري على لسانه في مخاطبة الناس قوله يا أحبابي فلقب بالحبابي. نقل مع ذريته تعاليم الطريقة إلى جبل الحبيب وما جاوره.
5 = العلامة الفقيه سيدي علي المتوي.	نفسه ص 146.	لم يثبت في المصادر التجانية أن هذا أن هذا العلامة أخذ الطريقة. غير أنه كان متعاطفا معها ومقتنعا بسنيتها. ومن مظاهر هذا التعاطف شرحه لقصيدة من نظم الأمير ابن مولاي سليمان، وتعليقه عليها، كانت جوابا على قصيدة مدحه من خلالها الشيخ =

ابراهيم الرياحي التونسي، ولا يستبعد أن يكون هذا العالم نقل أخبار الطريقة إلى متيو بنواحي تاوانات.			==
--	--	--	----

4 - سهل الغرب والرباط - سلا:

اسم البلدة	اسماء الاشخاص التجانيين بها	المصدر	معلومات مختصرة حول الاشخاص المعنيين
سهل الغرب	1=احمد بن عبد الله الجراري الأوري	رفع النقاب ج ص 143 = 144.	كان شديد التعلق بالشيخ وطريقته وكان تحت رعايته بعض انعام سيدي احمد التجاني وماشيته بالغرب، وقد نزل الشيخ غير ما مرة بخيمته عنده. فيلقى منه ومن أهله وأقاربه حسن الضيافة مع أصحابه حتى يرتحل. وهذا ما جعل الطريقة تعرف انتشارا واسعا بأقاليم الغرب.
	2 = عبد القادر ابن محمد الحسناوي.	نفسه ج IV ص 52.	عندما سمع هذا السيد بظهور الشيخ وبفضائل طريقته بين العوام والخواص، عزم على السفر إلى فاس ليلتقي بشيخ الطريقة. فتحقق له ذلك. وأخذ الطريقة كما كان يريد، ثم رجع إلى بلاده وله مكاتبات مع الشيخ.

	3 = احمد ابن عبو الغرباوي.	المصدر نفسه ج I ص 177.	يعد من خدام سيدي احمد التجاني، وله رسالة يطلب فيها من الشيخ أن يوجه له من عنده ما يجعله ذخيرة عظمى عنده.
	4 = عم عبد الحق الجابري.	كشف الحجاب ص 272 = 273=274.	كان من أصحاب سيدي احمد التجاني وكان يغني له بصوت تهتز له النفوس وأصل هذا الجابري ليس من الجابريين القاطنين بفاس، بل أصله من قبيلة بني حسن التي كان يتردد عليها من حين لآخر.
الرباط = سلا	1 = العلامة عبد القادر السللاوي	كشف الحجاب ص 501=502 رفع النقاب ج IV ص 46.	من أفاضل الشيخ التجاني الذي كان يعتني به غاية الاعتناء. وهو من أعيان فقهائ سلا الملحوظين بعين الاجلال عند الحضرة السليمانية. وله مكاتبات مع الشيخ التجاني.
	2 = العلامة محمد العربي ابن السائح الشرقي	كشف الحجاب ص 313.	كان من العلماء العاملين والأولياء الكاملين والعارفين الواصلين، وهو أحد خلفاء سيدي احمد التجاني رغم أنه لم يولد إلا قبل سنتين من وفاة ==

الشيخ التجاني، وهو يعد من الجيل الثاني من الخلفاء التجانيين الذين حقنوا الطريقة بدماء جديدة، كما سنوضح ذلك في مكان لاحق.		العمري
حامي الطريقة التجانية بتبيان قواعدها وتشبيد مقاصدها ونقي ما ليس منها ودفاعه عنها وخزينة أسرارها. كان لا يفارق سيدي العربي بن السائح، وكان له محل خاص ينزل به بفاس لزيارة قبر الشيخ ولسرد جواهر المعاني مع جماعة من أصحاب الطريقة. توفي هذا العلامة في شهر رمضان 1328/1910.	رفع النقاب ج IV ص 159=158 167 =	3= الفقيه العلامة احمد بن موسى السللاوي
أديب الرباط ورفيق العلامة احمد بن موسى السللاوي السابق ذكره. وقد رثى احمد جسوس رفيقه احمد السللاوي بقصيدة يقول مطلعها: أي طود من المعارف زالا زلزل الدين عنده زلزالا	المصدر نفسه، ج I، ص 167.	4 = احمد بن قاسم جسوس.

رحل من بلده في طلب العلم إلى مراكش فأخذ القراءات وأحكامها، ثم رحل إلى فاس وأخذ عن الشيخ التجاني وعاد إلى الرباط. وكان أبوه تجانيا. كما أن ابنه سيدي العربي أخذ الطريقة أيضا، وكذلك فعل جل أفراد أسرته التي كان لها سمعة طيبة في الرباط وخارجها.	=كشف الحجاب ص 311=312 =رفع النقاب، ج II ص 30=31 32 = مجالس الانبساط¹، ص 165 ثم 190.	5=العلامة المقدم الحفيان ابن محمد الشرقي وأسرته
يذكر عنه صاحب مجالس الانبساط أنه أعجوبة دهره المبرز على جميع أقرانه. أخذ عن مشايخ وقته مثل محمد العربي بن السائح الذي أخذ عنه الطريقة التجانية التي أظهر لها نصحا كبيرا. وكان يسرد الترغيب والترهيب للحافظ المنذري بالزاوية التجانية بالرباط.	مجالس الانبساط ص 310. رفع النقاب ج III، ص 271= ثم ج II ص 44	6 = الفقيه الدراكة محمد بلامينو الرباطي.

1 - محمد بن علي دنية الرباطي، مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء الرباط، مطبعة

الإتقان، الرباط، 1986.

7=محمد ابن الغازي وأسرته.	رفع النقاب ج III، ص 207 = 208 = 209	كان هذا الشخص من السباقين إلى الدخول في الطريقة. ويذكر صاحب رفع النقاب أن هذا الرجل من أحفاد العلامة ابن غازي المشهور، من علماء المذهب المالكي (ت 310) وإلى ذلك يشير حفيد محمد بن الغازي الحاج الطاهر القاطن بالرباط في قصيدة له. وقد دخلت الأسرة بكاملها في الطريقة التجانية.
8=جماعة من الأشخاص	كشف الحجاب ص 280.	جاء ذكر هذه الجماعة ضمن رسالة بعثها بعض الفقراء إلى ولدي سيدي أحمد التجاني بعد وفاته. وهما محمد الكبير ومحمد الحبيب. يجددون فيها تمسكهم بحبل الطريقة. وهؤلاء الأشخاص هم: المقدم الحفيان الشرقاوي وأبوه الشرقي ومحمد ابن عبد الله السوسي والمعلم سعيد السوسي.
9=الحاج عبد القادر	رفع النقاب ج I، ص: 154=155	أديب الرباط وعالمها. مدح في قصيدة سيدي محمود بن مولاي البشير =

لو باريس الرباطي.	و ص 156	ابن مولاي الحبيب بن سيدي احمد التجاني. ولهذا الأديب أيضا ديوان لطيف جمع فيه بعض قصائده في مدح الرسول (ص) والشيخ التجاني.
10=العلامة الخطيب احمد بناني الرباطي.	المصدر نفسه ج II ص 40 = 44 = 41	كان معاصرا لمحمد. العربي بن السائح ولأحمد سكيرج، أخذ عن الأول واعتمد عليه هذا الأخير في توثيق بعض مؤلفاته. وقد اعتبر دعامة للطريقة من بين رجالات الجيل الثاني الذي خلف سيدي احمد التجاني مباشرة بعد وفاته .
11 = علال بوهلال الرباطي	المصدر نفسه، ج II، ص 41.	من التجانيين الرباطيين الأكثر إخلاصا للطريقة. وكان هذا الشخص من بين الذين ساروا في موكب جنازة محمد العربي بن السايح بالرباط بعد وفاته يوم 29 رجب الفرد 1309 / 1892.

5 - جبال الأطلس وما والاها من سهول وصحاري:

اسم البلدة	اسماء الاشخاص التجانيين بها	المصدر	معلومات مختصرة حول الاشخاص المعنيين
جبال الأطلس	1= بوعزة البربري.	=كشف الحجاب، ص 420. رفع النقاب ج I، ص 225.	كانت لهذا الرجل محبة صادقة في جانب الشيخ التجاني، مع التمسك بحبل الطريقة التجانية وهو الذي قدم على الشيخ بفاس متخفيا، كما سبق وأخذ عنه الطريقة عندما كان أمهاوش في الطريق لمحاصرة نفس المدينة. ولا يوضح النص من أي منطقة بربرية هو.
	2=المقدم الحاج الغازي المطيري البربري.	=رفع النقاب ج I V ص 203 =كشف الحجاب ص 422. اتحاف أهل المراتب	أخذ عن الشيخ مباشرة. والشيخ هو الذي كلفه بتلقيين الطريقة. وهو من قدماء أصحابه وأحد الأربعة الذين قدمهم المقدم محمد الغالي بوطالب لتلقيين أورااد الشيخ. وعن الحاج الغازي المطيري حصل بلقاسم ==

==		العرفانية ج I، ص 235 .	بصري على الاذن في التقديم في تلقين الطريقة.
	3=المقدم الغازي ابن العربي	رفع النقاب ج IV ص 204=203	عندما أتى لأخذ الطريقة قادما من جبال الأطلس القريبة من فاس، وجد الشيخ مريضا مرض موته، فاستأذن الشيخ في الدخول عليه. فلما سمح له بالدخول عليه، تلقى عنه الإذن مشافهة وقدمه في تلقين الطريقة. وكان آخر من أخذ عن الشيخ حسب المصدر المعتمد.
مراكش	1=الفقيه العلامة محمد أكنسوس	=كشف الحجاب ص، 328=329 =رفع النقاب، ج II، ص 54 وما بعدها	هذا العلامة الغني عن التعريف بعلمه وورعه وتأليفه في التاريخ والأدب والتصوف. كان ناصريا قبل أن يأخذ الطريقة التجانية. وأكثر كتبه في التصوف تدافع عن الطريقة التجانية ضد خصومها كما سنفصل ذلك لاحقا. وما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن دوره في نشر تعاليم الطريقة التجانية والذب عنها كان بارزا ليس في مراكش فحسب ولكن في باقي أنحاء المغرب وخارجه.

أتى هذا الفقيه إلى فاس وهو في ريعان شبابه من حوز مراكش لأخذ الطريقة التجانية مباشرة من شيخها ولازم دزوس العلامة السيد عبد الرحمان الشنجيطي أحد خاصة الشيخ، ويقول صاحب رفع النقاب أن ابراهيم السباعي كان سببا في دخول جماعة من رفقاءه وذويه ببلده الأصلي للطريقة التجانية.	=كشف الحجاب ص 513=514 =رفع النقاب، ج I ص 9 = 10 .	2= العلامة الفقيه ابراهيم السباعي	
هذا الفقيه التجاني الذي سبقت الإشارة إلى محبته للشيخ في مكان آخر، قدم خدمة للطريقة التجانية، وهو بداخل سجن مراكش. ولم يفك أسره إلا بعد أن نظم قصيدة يستغيث فيها بالشيخ كما لمحنا إلى ذلك سابقا.	كشف الحجاب ص، 511.	3= الفقيه عبد السلام الزموري.	
معروف عند أهل مراكش ببابا عبو أخذ الطريقة عن الشيخ التجاني مباشرة وبحكم المهنة التي يمارسها والفتح الذي ظهر ==	كشف الحجاب ص 519.	4 = عبد الله القهوجي	

==			عليه ، دخل على يده إلى الطريقة عدد لا يحصى وكان الفقيه محمد أكنسوس يعظمه غاية التعظيم. وكذلك محمد بن السائح.
أبو الجعد الرحامنة وحاجة.	1=المقدم العربي والفقراء الذين معه.	كشف الحجاب ص 280.	هذا المقدم وجماعته من الفقراء التجانيين المنتمين لأبي الجعد بإقليم الشاوية، بعثوا تحياتهم وسلامهم من خلال رسالة بتاريخ 8 صفر 1232/ 1817، إلى ولدي الشيخ محمد الحبيب ومحمد الكبير بعد وفاة الشيخ بحوالي سنتين.
2=محمد ابن العربي البوجعدي.	رفع النقاب، ج III، ص 169 =170.	كان له اهتمام كبير بإقناع أفراد أسرته وكل أصدقائه ومعارفه ليدخلوا إلى الطريقة. وقد توفق في ذلك. وفي رسالة إلى الخليفة محمد بن المشري يخبره بأنه لم يبق معه مستوطنا إلا القليل من الإخوان القدامى، طالبا منه استعطاف الشيخ التجاني في قبوله الإقبال عليه حتى ينجح في سعيه	
3=العربي السجدالي	رفع النقاب، ج IV، ص 98=	له تعلق تام بأذيال الشيخ التجاني، ومن الأسباب التي قادته لزيارة سيدي ==	

البوجعدي.	99 = 100.	احمد التجاني بفاس، ما سمع عنه من كرامات وما حصل للآخذين عنه من الفتوحات الربانية. وله مع الشيخ عدة مكاتبات تتعلق بأمور الطريقة وبأحواله الصحية.
4 = المقدم احمد محمود.	رفع النقاب، ج II، ص 129.	هذا المقدم هو أحد مقدمي الطريقة التجانية. وسبق له أن ارتكب خطأ السماح للنساء بالحضور في حلقات الذكر مع الرجال فنهاه الفقيه محمد أكنسوس عن ذلك فانتهى.
5 = فقراء حاحة	الخواتم الذهبية للحسن الإفرائي ص 4.	وردت إشارة وجود فقراء تجانيين بحاحة في مقدمة كتاب الخواتم الذهبية في الأجوبة القشاشية، ضمن الصفحة المشار إليها. وذلك عندما تعجب الإفرائي صاحب الخبر من كون فقراء هذه الجهة وكذلك فقراء سوس نسوا أو تناسوا وجود الفقيه محمد أكنسوس مما سمح بظهور بدع في ممارسة تعاليم الطريقة.

6 - سهول سوس، ماسة، وواد نون حتى نهر درعة

وسمارة:

قبل رسم الجداول التي تسمح بإعطاء فكرة عن أهمية انتشار تعاليم الطريقة التجانية بالأقاليم المشار إليها أعلاه، نرى من الواجب، ومن المفيد أن نعرف بالشخص الذي لعب الدور الأساسي والحاسم في هذا الانتشار خلال العقود الأخيرة للقرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين. ويتعلق الأمر هنا بالفقيه العلامة الحاج الحسين الإفراني (1833/1248 - 1910/1328)، الذي يمكن مقارنته في ما قدمه من خدمة للتجانية بأستاذيه وشيخيه في الطريقة بشمال المغرب الفقيه أحمد العربي بن السائح والفقيه محمد أكنسوس¹.

وما كان للعلامة المختار السوسي أن يخصه بحيز هام في المعسول، لولا التصدر الذي حاز عليه، علما وولاية وصلاحا في القطر السوسي، وما تحقق علي يديه من إشعاع لتعاليم الطريقة التجانية، في الأقاليم الموالية إلى ما وراء نهر درعة حتى السمارة. ومما ساعده على تحقيق هذا النجاح، حسب المعسول، خصال التواضع، والخلو من التعصب التي ورثها عن شيخه محمد أكنسوس، علاوة على الرصيد العلمي الهائل الذي تكون لديه، بعد رحلات علمية قادت به بعد مراكش

1 - محمد المختار السوسي، المعسول، المحمدية، 1960، ج 4 ص 26.

إلى فاس ومصر والحجاز¹.

ويحدد الفقيه محمد المختار السوسي تاريخ شروع الأفراني في التصدر للإفتاء وإعطاء أورداد الطريقة التجانية في سبعينيات القرن الثالث عشر الهجري، في منزله بقرية السوق الواقعة في إقليم تانكرت السوسي. وقد ظل على اتصال بمحمد أكنسوس حتى وفاة هذا الأخير سنة 1294 / 1877، وبفضله ازدادت شهرته وكثرت معارفه، ويرى صاحب المعسول أن الفضل كل الفضل، في انفتاح أبواب الدوائر المخزنية في وجه صاحبنا يرجع إلى أكنسوس مما كان سببا في عظم حظوة الإفراني لدى المخزن من جهة، ودخول عدد كبير من خدام الدولة في الطريقة التجانية من جهة ثانية، يشهد على هذا القول دخول التهامي الكلاوي وذويه ومن دار في فلكه، على يده في التجانية، ومجموعة من القواد² الذين تزوجوا ببناته ومن بينهم القائد سعيد المجاطي، والقائد مبارك البنيراني.

لم يكن الحاج الحسين الإفراني شيخ طريقة فقط، في تصور محمد المختار السوسي، ولا عالما منزويا، بل كان أستاذا له نظرة عامة فاق بها فقراء عصره كافة، وضع نفسه ووزنه العلمي والروحي طيلة عمره في خدمة الدولة والمجتمع المغربي، افتاء، وتهدئة ومصالحة، وتربية

1 - نفس المصدر، ص 27.

2 - نفسه، ص 73.

روحية كما تشهد على ذلك الرسائل التي توصل بها من الدوائر المخزنية ومراكز القرار، تلمس منه باحترام وإجلال استعمال نفوذه المعنوي للقيام بالمساعي الحميدة وإقرار الأمن بالأقليم السوسي، وما وراءه من أقاليم جنوبا، لما يعلمون له من أنصار بسبب « علمه وسؤدده واتباعه في الطريقة الأحمدية التجانية »¹.

وسواء في قرية السوق أو في تزنيث التي أسس بها زاويته واتخذها مركزا لنشاطه في المرحلة الأخيرة من حياته، كان يتقاطر عليه الزوار زرافات ووجدنا من كل شرائح المجتمع، ومن شتى أنحاء المغرب، طلبا لمساعيه الحميدة، واستصدار الفتاوي، كما كان شأن كبار رجال المخزن، وعدد من العلماء والفقهاء، أو من أجل أخذ أوراد الطريقة التجانية وأحيانا قصد طلب شفاعته التي لا ترفض مهما كانت الجريمة². ونقترح فيما يلي إدراج النص الآتي على طوله، لما فيه من مضامين معبرة عن الأدوار التي كان يلعبها الإفراني في الميادين العلمية والروحية والاجتماعية والسياسية «...كانت خزانته أعظم خزانة في جهته التي يسكنها، وكان أيضا يتردد إلى الحواضر، فيزداد تعرفا بأكابر المغرب الحاضرين والبادين، فأدرك في هذا الطور عظمة ما مثلها عظمة بالنسبة إليه

1 - نفس المصدر، ص 37.

2 - نفسه، ص 41.

وإلى وسطه، فقد بدأت الطريقة الأحمدية التجانية تنتشر عنه بكثرة، وكان وحده قطب رحاها في الجنوب... وقد رأيت القائد المدني الكلاوي وأمثاله اتصلوا به في ذلك الحين، فتلقوا منه الطريقة، وكذلك بعض رؤساء حاحة، فتكون له في القلوب ناموس وشهرة، عم أندية ما بين فاس والحمراء إلى وادي نون فالعلماء يذكرونه بعلمه الواسع، والرؤساء مأخوذون بسؤدده الذي يبهرهم إذا جلسوا إليه... واتباعه ومعتقده يشيدون بما يرونه منه من إرشاد لطيف، ونصائح هينة لينة... وبيعض كرامات وكشوفات يأترونها عنه...¹ «

وخلاصة الخلاصات من كل ما أورده العلامة محمد المختار السوسي، في معسوله عن سجايا الإفراني وعلمه وصلاحه تتحدد في الخدمة الكبيرة التي قدمتها الطريقة التجانية، بإسهامها على يده في المحافظة على وحدة البلاد واستقرارها وخصوصا في الجزء الجنوبي من مغربنا الممتد من سوس إلى ما وراء نهر درعة الذي ظهر فيه تأثير صاحبنا أكثر، كما سنوضح ذلك من خلال بعض الجداول، على أن تشفع هذه الأخيرة بلائحة خاصة بتجانيي الأقاليم نفسها، ممن أخذوا الطريقة عن شيوخ آخرين غير الإفراني.

1 - نفس المصدر، ص 47.

١ - تجانيون أخذوا عن الحسين الإفرائي أو ارتبطوا معه

بعلاقات:

البلدة أو الجهة	أسماء الأشخاص التجانيين بها	المصدر	معلومات مختصرة حول الأشخاص المعنيين
سوس وما ولاها جنوبا حتى نهر درعة والسمارة	1=العلامة المحقق الفقيه الشاعر الطاهر ابن محمد الإفرائي التمانرتي.	=المعسول ج IVص 41 وما بعدها رفع النقاب ج Iص 159 = 160.	له شعر في مدح شيخه في الطريقة، الحسين الإفرائي. وله معه أيضا عدة مراسلات، يعترف له فيها بولايته وصلاحه وفضله على ساكنة سوس، وقد فصل صاحب المعسول القول في هذا الموضوع. أما مؤلف رفع النقاب فذكر بأن هذا الفقيه شد الرحال من أقصى سوس إلى فاس في شهر صفر عام 1314 لزيارة ضريح الشيخ التجاني وأنشد بالمناسبة قصيدة في مدح جواهر المعاني.
	2 = محمد بن علي الايغيري	المعسول ج IVص 31.	أخذ الطريقة عن الحسين الإفرائي في تانكرت بقرية السوق.

3= القائد الأعلى لجيش أنفلوس	نفس المصدر ص 40	أخذ عن الحسين الافراني، لكن صاحب المعسول لم يذكر إسم هذا القائد.
4 = قاضي القائد أنفلوس الحسين التاجوستي .	نفس المصدر ص 40	أخذ بدوره عن الحسين الافراني وكان قاضيا ييث في مختلف النزاعات بين سكان القبائل الخاضعين لقيادة أنفلوس.
5 = القائد المبارك البنيراني.	المصدر نفسه، ص 41 .	أخذ الطريقة عن الحسين الافراني بعد أن تزوج بابنته.
6= القائد سعيد المجاطي.	المصدر نفسه، ص 41	تزوج بإحدى بنات الافراني وأخذ عنه الطريقة التجانية.
7 = القائد احمد ابن محمد الاليغي.	المصدر نفسه، ص 41	تزوج بابنة الافراني وأخذ عنه ورد الطريقة.
8 = القائد بن عبد السلام الجيراري.	المصدر نفسه، ص 56.	لم يذكر صاحب المعسول المنطقة التي كانت تحت نفوذ هذا القائد بسوس. في حين أخبر بأخذه عن الافراني الطريقة التجانية.

أخذ الطريقة التجانية عن الافراني الذي كان، مع ذلك يجله ويقدره لمكانته العلمية، ويطلب منه صالح الدعاء: «فلا تنسوننا يا سيدي من دعواتكم، لا سيما بعد أن تقرأوا في الأوراد وظيفاتكم...».	نفس المصدر ص 62=63.	9 = الاستاذ الفقيه عبد الله الاليغي .	
ذكر صاحب المعسول ان هذا الفقيه صاحب للافراني في الطريقة، وأورد بالمناسبة رسالة من هذا الأخير إلى اليزيد، ورد في بدايتها: «... أخونا في الله عز وجل المقدم البركة السيد الحاج عبد الله التامانارتي الكرضاوي وجميع الفقراء التجانيين من تلك الناحية... أما بعد فاعلموا من هذا الكتاب أنكم ظفرتم بفضل الله والحمد لله بسبب متين من السعادة فتمسكوا به.. وهو عهد سيدنا الشيخ التجاني...».	المصدر نفسه ص 64 وما بعدها.	10 = الفقيه عبد الله التامانارتي اليزيدي وجماعة من الفقراء التجانيين.	

11=الفيقيهان الاليغيان محمّد بن عبد الله وأخوه علي ابن عبد الله	المصدر نفسه، ص 67	أخبر محمد المختار السوسي أن الافراني أجاز هذين الأخوين إجازة مخطوطة لازالت موجودة عند أولادهما.
12=الفقيه ابراهيم بن محمد الطاطائي.	المصدر نفسه، ص 67	أخذ عن الافراني الحديث والطريقة التجانية وأجازه فيهما معا.
13=سعيد بن الطيب الاكماري	المصدر نفسه، ص 67	بذل جهدا كبيرا في نشر تعاليم الطريقة بالإقليم الذي ينتمي إليه بعد أخذ وردّها والترخيص في إعطائها عن شيخه الحسين الافراني.
14=الفقيه ابراهيم أجنبي الرسموكي.	المصدر نفسه، ص 67	أخذ الطريقة عن الافراني وأخلص العمل من أجلها في رسموكة.
15=سيدي الراضي	المصدر نفسه، ص 67	هو خليفة الحسين الافراني في زاويته بتزنيت، من بعده وتوفي سنة 1348/1930.

16= الفقيه أحمد أمجوض الماسي.	المصدر نفسه، ص 68	من مريدي الحسين الافراني
17= علي الإيسكي	المصدر نفسه، ص 68	تصدر الطريقة، وله تأليف يقول المختار السوسي في كرايس حول شيخه الافراني.
18= بنات الشيخ الإفراني	المصدر نفسه، ص 73	عددهن كثير حسب قول المختار السوسي، وبواسطتهن انتشرت التجانية بعد زواجهن في عدة جهات من سوس إلى وادي درعة، بحكم ارتباط أزواجهن بأبيهن، وإخلاصهن وإخلاص هؤلاء الأزواج في نشر تعاليم الطريقة.
19= سيدي محمد أكبر أولاد الافراني	المصدر نفسه، ص 73	كان عميد زاوية والده في تزنية وبقي على ذلك إلى تاريخ وفاته عام 1940/1358.
20= سيدي أحمد الافراني أخ السابق	المصدر نفسه، ص 73	كان رفيقا لمحمد المختار السوسي في الدراسة بمدرسة تانكرت لفترة من الزمن، كما أخبر بذلك صاحب المعسول نفسه.

يبدو أن محمد الحبيب هذا هو أكثر أبناء الافراني ثقافة، باعتبار أن محمد المختار السوسي الذي يعرف كل أفراد أسرة الشيخ الافراني، افاد بأنه تمكن من اللغة العربية وآدابها كما الم باللغة الفرنسية، على عكس أكبر أبناء الافراني محمد الذي ساءت أحواله بعد وفاة والده.	نفسه، ص73	21= محمد الحبيب الافراني وهو أخ للسابقين.	
---	-----------	--	--

هذه باختصار هي أهم أسماء الاشخاص والجماعات الذين أخذوا
مباشرة عن الشيخ الحسين الافراني أو كانت له معهم علاقة كما ورد ذلك
في المعسول. وما من شك في أن الآخذين عنه والمشمولين بإشعاعه حتى
اقليم اسمارة يزيد عن هذا الحد، كما نفهم من كلام محمد المختار
السوسي عندما لخص الحديث في هذا الموضوع بالقول: « وهناك من
أصحابه آخرون منتشرون في الجنوب يحملون ألوية تلك الطريقة....¹ »
ومما يزيد هذا القول مصداقية أخذ ماء العينين للطريقة

1 - محمد المختار السوسي، م. س، ج4، ص 68.

التجانية كما هو واضح من كلام المختار السوسي نفسه، وهو يتحدث عن العلاقات التي ربطت الشيخ الافراني بالشيخ ماء العينين. «...ووقعت بينه وبينه مرادة لأن ماء العينين كان يلقي أوراذا من جملتها التجانية...»¹.

1 - نفس المصدر، ص 68.

ب - تـجـانـيـون أخـذوا عـن غـير الأفراني:

البلدة أو الجهة	أسماء الأشخاص التجانيين بها	المصدر	معلومات مختصرة حول الأشخاص المعنيين
	1=العلامة الفقيه العربي بن محمد السوسي	رفع النقاب ج I، م، س، ص 159=160.	رافق في رحلته إلى فاس، صاحبه في الطريقة العلامة الطاهر الأفراني التامانرتي السوسي السابق ذكره لزيلة ضريح الشيخ التجاني.
	2=محمد بن احمد السوسي النخلي.	رفع النقاب م، س، ج، III، ص 46.	أخذ مباشرة عن سيدي احمد التجاني. وهو من أنجب الطلبة السوسيين الذين درسوا بمدارس فاس، وقد وقف الفقيه احمد سكيرج على أجازة العلامة سليمان الحوات لهذا الشخص.
	3=المقدم العلامة أبو علي طيفور	رفع النقاب ج II، ص 132 133.	هذا الفقيه المقدم يشرف على أمور الطريقة التجانية وفقائها بماسة ونواحيها، وكانت له مكاتبات مع الشيخ محمد أكنسوس الذي ==

كلفه في إحدى رسائله إليه بأبلاغ السلام لفقراء هذا الاقليم وخصوصا منهم سعيد المسكيني وعبد الكريم التغني.			
يبدو أن هذا الفقيه المقدم، يعتبر حجة في أمور الطريقة التجانية باعتبار ان الفقيه أكنسوس، ينصح أبا علي بن طيفور المشار إليه أعلاه، بالرجوع إليه فيما يخص ورد الطريقة المذكور في كتاب جواهر المعاني.	المصدر نفسه، ص 133.	4=المقدم الفقيه عبد الله بن الفقيه	
أحد فقراء التجانية من واد نون ولعله مقدمهم لأن محمد أكنسوس يخصه بالذكر مع جماعة أخرى في الرسالة المشار إليها أعلاه، وأتى إلى المقدم أبي علي بن طيفور ليحصل على التقديم الذي حصل عليه هذا الأخير من أكنسوس كما هو واضح من نفس الرسالة.	المصدر نفسه، ص 133	5=عبد الله ابن محمد الوادنوني	

II - حرص ثلة من الفقهاء على الانتشار السليم لهذه

التعاليم:

سنعمل في هذا المحور على تسليط بعض الأضواء على صفوة من الفقهاء والعلماء التجانيين الذين شكلوا دعائم للطريقة التجانية سواء في عهد الشيخ أو بعد وفاته، بما تميزوا به من علم ومعرفة وورع وحب وإخلاص لله ولرسوله ولاصفياه، وبما أظهروه من ذكاء وفطنة وسرعة بديهة، وهم يقربون ما أشكل من أمور تعاليم الطريقة إلى أفهام الناس، ويقدمون الأدلة من كتاب الله وسيرة رسوله، على سنية الطريقة التي وهبوا حياتهم لخدمتها، ويقضون الساعات الطويلة في حلقات الذكر وتلاوة القرآن ليلاً ونهاراً مع مختلف شرائح المجتمع التي كانوا يختلطون بها من أجل التعليم والتنوير والإرشاد، متجشمين من أجل ذلك عناء الأسفار، إذا تطلب الأمر ذلك، ومكر المتربصين من الأشرار.

بعض هؤلاء الفقهاء الذين سيرتكز عليهم عرضنا في الصفحات التالية، فوض لهم سيدي أحمد التجاني الأمر بتدبير شؤون الطريقة من تلقين أوراذه، ومنح إجازات، وتقديم مقدمين أو الرد على الرسائل التي كنات تتقاطر على الشيخ التجاني بمدينة فاس، من مختلف الجهات. بل منهم من كلفه بنشر الطريقة خارج المغرب كعلي حرازم برادة، ومحمد الغالي بوطالب. غير أن البعض الآخر منهم على أهميته لم يأخذوا عن

سيدي احمد التجاني مباشرة، إما لصغر سنهم أو لتأخر وصول أخبار الطريقة إليهم، أو لاستصغارهم شأن التصوف في المراحل الأولى من عمرهم أو لعوامل أخرى. غير أنهم انخرطوا في الطريقة في نهاية الأمر، فأخذوها عن الرعيل الأول من خلفاء سيدي احمد التجاني الذين امتد بهم العمر إلى ما بعد وفاة الشيخ مؤسس الزاوية التجانية، فأظهر هذا الجيل الجديد من حواربي الطريقة التجانية على امتداد العقود المتبقية من القرن التاسع عشر، من الاخلاص لروح الشيخ، ومن التضحية في نشر تعاليم الطريقة والذب عنها في كل أنحاء المغرب ضد أعدائها والحيلولة دون السقوط في الانحرافات البدعية، ما زادها دعما وقوة، وذلك عن طريق الحضور الفعلي في الزوايا وأماكن الذكر، وبواسطة المراسلات بين مختلف تجانيي أقاليم المغرب، وكتابة التأليف الخاصة بفقه الطريقة، كما سنعمل على بسط ذلك في فصول لاحقة.

إن انتشار تعاليم الطريقة التجانية في كل جهات المغرب، كما فصلنا ذلك في المحور السابق، لم يكن ليتم بتلك السرعة القياسية، ولا ليشمل تلك المساحات الشاسعة عبر طول البلاد وعرضها، في غياب صفوة من الفعاليات، امتاز بجلبها للطريقة ولشيخها سمعة طيبة، كان وراء تناسل الزوايا التجانية وتكاثرها في كل المدن والقرى المغربية بدون استثناء، ساعد على ذلك توزيع جغرافي ملائم نسبيا لمقرات إقامة هذه المجموعة من كبار شيوخ التجانية التي نود الحديث عنها.

وبناء على التوضيحات الأنف ذكرها، يمكن تقسيمها
إلى ثلاث فئات:

1 - شيوخ وخلفاء قضوا قبل وفاة الشيخ.

2 - شيوخ عاصروا الشيخ وأخذوا عنه مباشرة.

3 - شيوخ أخذوا بواسطة.

1- شيخ و خلفاء توفوا قبل وفاة الشيخ

تتضمن هذه المجموعة ثلاثة شيوخ، لهم خصائص مشتركة. فعلاوة على وفاتهم جميعهم قبل وفاة الشيخ سيدي احمد التجاني فإنهم يشكلون أبرز الأشخاص الذين تعرفوا على الشيخ التجاني و آمنوا بدعوته وناصروه و عاشوا معه فترات الدعوة في أيامها الحرجة الأولى، باستثناء محمد التازي الدمراوي الذي وافقه المنية قبل رحلة سيدي احمد التجاني الأخيرة إلى مدينة فاس. و العامل الآخر الذي يشتركون فيه هو التألف في التصوف عموما و الطريقة التجانية خصوصا كما سيأتي، و نظرا لتوفرهم على هذه المؤهلات فإن إسهامهم في دعم الطريقة في المغرب عموما و شرق البلاد خصوصا، على عهد الشيخ المؤسس كان فعالا و مؤثرا.

1 - الشيخ محمد بن العربي التازي الدمراوي (ت 1024

هـ/1809)¹.

لم يمتد العمر بهذا العارف حتى فترة تأسيس الزاوية بفاس على يد سيدي احمد التجاني. و رغم ذلك فإن ما ينسب إليه من ورع و تقوى و كرامات، و ما وقع بينه و بين الشيخ التجاني من لقاءات و مراسلات،

1 - محمد الحجوجي الحسني، م.س، ج I، ص 138.

- احمد اسكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 99 وما بعدها.

ووساطة بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، تبعا لما تذكره المصادر التجانية، و ما حصل للدمراوي نفسه من وفاة مأساوية¹، كان في عمومه يعمل على التعريف بالطريقة و بصاحبها، قبيل إعلان الشيخ التجاني عن نفسه بصفة رسمية، في قرية أبي سمغون ومدينة فاس.

تتحدث الأدبيات التجانية عن لقاءين على الأقل تما بين الشيخ التجاني وصاحبه الدمراوي، من دون تحديد تاريخ لذلك، لكن قبل هجرة التجاني إلى فاس لقاء تم بتلمسان، و يبدو أنه الأول، إذ فيه عقدت الصحبة بين الطرفين²، وفي هذا اللقاء أيضا، إذا ما قصدنا نفس المصدر، عرف الدمراوي كيفية السير إلى طريق الحق، لأنه وإن كان قبل ملاقاته لسيدي احمد التجاني، كان عنده بعض الأسرار لصحبته بعض الرجال، فإن ذلك لم يكن كافيا للترقي إلى المقامات العليا، حتى فاز برؤية هذا الشيخ الذي كان يعيش فترة مخاض عسير، أفضى به إلى الإعلان عن المهمة التي كلفه بها الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما و هي تلقين أوراد الطريقة للناس.

1 - احمد اسكيج، كشف الحجاب، م.س، ص 99.

و قد أفاد أن شخصا اتاه يوما على حين غفلة و ضربه برصاصة أسقطته إلى الأرض، و فارق على إثرها الحياة.

2 - نفسه، ص 102.

غير أنه في الوقت الذي نجد فيه فضل سيدي احمد التجاني كبيرا على
الدمراوي في الوصول إلى ما وصل إليه من ولاية، وهذا ما أعطى سمعة
طيبة للشيخ التجاني في أوساط المغرب الشرقي، تطالعنا أخبار تفيد أن
التازي الدمراوي كان يقوم بدور أساسي في ربط الصلة بين الرسول
صلى الله عليه وسلم وسيدي احمد التجاني¹ فيما يخص طلبات هذا
الأخير، و جواب النبي صلى الله عليه وسلم عليها. وإذا تساءلنا لماذا لا
يتقدم الشيخ التجاني بطلباته بنفسه مباشرة إلى الرسول صلى الله عليه
وسلم الذي يتحدث معه يقظة، ما دامت درجة ولايته و صلاحه أكبر مما
وصل إليه الدمراوي، تجيبنا مصادر الطريقة بأن ذلك يرجع إلى سببين
رئيسيين أولهما أن سيدي احمد التجاني كان لشدة حياته من الرسول، لا
يقدر أن يطلب منه شيئاً كما هي عادة أكابر الأفراد المحمديين في كونهم
يستعملون وسائط بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم في طلب ما يريدونه
منه، و ثانيهما أن الشيخ محمد التازي الدمراوي، كان أعجوبة الزمان فيما
يبيده من الأسرار و العرفان، و يفسر ذلك بكونه كان يتلقى من النبي صلى
الله عليه وسلم في المنام و اليقظة ما يدهش العقول. و كمثال على ما كان
يتلقاه، يذكر صاحب كشف الحجاب، أنه وقف بنفسه على ذخيرة

1 - المصدر نفسه، 98.

عظيمة بخط يد الدمراوي، وهي رسالة كتبها إلى سيدي احمد التجاني، أخبره فيها بأنه أخذ له الإجازة من النبي صلى الله عليه وسلم في سر من الأسرار وهو الدور النوراني الذي لا يناله إلا من سبق عند الله أنه من الأخيار¹. ويتعلق الأمر حسب نفس المصدر بأبيات شعرية علمه الرسول معانيها وكلفه بإعطائها للشيخ التجاني مع شرحها وقال له: «لولا محبتك في التجاني ما رأيتني قط»². و الأبيات هي:

فبالمجد و التحميد به تتجلى ذاته
و بالقصد كان المنع لي وحدي
و بحق الحق بالحق ترى حقيقته
و بالحق لا بالحق احتجب عني زندي
و في تدبير أمره أحاطت قدرته
و بالقصد لا بالقصد احتجب عنهم أخذي
فاغرق في بحر الوحدة ترى وحدته
ترفع عنك الحجب حتى ترى الأسود بالضد³

1 - المصدر نفسه، ص 100.

2 - نفسه.

3 - نفسه، ص 101.

أول ما يستنتج من هذه الرسالة الفريدة من نوعها، بغض النظر عن التساؤل حول مصداقيتها، الدعم الذي تقدمه لشيخ الطريقة في هذه الفترة الحساسة من مراحلها، إذ لم يعد سيدي احمد التجاني وحده يدعي مشافهة الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة، بل وجد من يدعمه في أقواله، خصوصا وأن الدمراوي الذي يزكي أطروحته، شخص منزه عن الشبهات، عارف بالله باعتراف الرأي العام المحلي¹، مع ملاحظة أن التجانيين يرون من خلال كتاباتهم أن الدمراوي هذا لم يصل إلى هذه المرتبة إلا بفضل حبه لشيخهم. فهل يرجع سبب اللقاء الثاني بين الشيخين، و الذي انتقل من أجله الشيخ التجاني هذه المرة إلى تازة إلى هذه الخدمات التي كان يقدمها له الدمراوي، وإلى الكرامات التي ظهرت عليه؟ خصوصا ونحن نعرف أن حصيلة مشيخة سيدي احمد التجاني وولايته تعتبر خلاصة و تركيبا لكل مدارس التصوف المشهورة في عصره و التي لم يرد الإنتماء إلى أي واحدة منها، بعدما أغناه الرسول صلى الله عليه وسلم حسب قوله عن ذلك، دون إغفال ما أورده صاحب كشف الحجاب من كون سبب الزيارة مرده أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى سيدي احمد التجاني بضرورة العناية بالدمراوي و لنفس

1 - المصدر نفسه، ص 100.

الغاية زاره أيضا خليفة الشيخ التجاني محمد بن المشري بعد أن شد الرحال إليه حتى تازا مع بعض الاخوان بتكليف من الشيخ التجاني و عند وصولهم وجدوا الشيخ الدمراوي الف صلوات سماها: «ياقوتة المحتاج في الصلاة على صاحب المعراج»¹ و هي صلوات على النبي صلى الله عليه و سلم مرتبة على حروف المعجم شرحها العلامة محمد بن المشري.

و مما يلفت الإنتباه في هذه المسألة أن تأليف الدمراوي هذا، ليس له علاقة متينة بالتجانية، و رغم ذلك فقد سارع ابن المشري إلى إظهار إعجابه به و شرحه. فهل يتعلق الأمر بمقايضة عمل بآخر، إن بشكل مقصود أو غير مقصود؟

إذ في الوقت الذي نجد فيه الدمراوي نفسه مكرما مبجلا من قبل الشيخ التجاني و أنصاره، سيعمل هو بالمقابل على تدعيم التجانية، خصوصا و أن التأليف المشار إليه لا يخرج عن السنة باحتوائه على حوالي سبعة و عشرين صلاة على النبي صلى الله عليه و سلم. وهذا لم يكن من شأنه أن يضر بمستقبل الطريقة التي كانت تخشى من أن تتسرب البدع إلى تعاليمها. فالدمراوي إذن صالح و مفيد كنصير سني للطريقة، بل ضروري للمحافظة على هذه السنية في المنطقة التي كان يتحرك فيها بين

1 - المصدر نفسه، ص 102.

تأزة و عين ماضي. و نظرا لهذا الدور المهم الذي كان يقوم به الشيخ
الدمراوي لصالح التجانية، فإن وفاته غير الطبيعية لم يترتب عليها من قبل
التجانيين ما كان يفرضه الموقف من ثأر و انتقام¹ باعتبار أن الرجل الذي
أطلق عليه الرصاص و أرداه قتيلا بعي ماضي، لم ينل العقاب الضروري،
رغم إسرار أحد الأولياء المعاصرين على الأخذ بثأره²، فكتب له سيدي
احمد التجاني يحذره من مغبة الإقدام على هذا الأمر و إلا يسلبه، فلم
يسعه إلا امتثال الأمر، و كان من قدر الله أن تشتت شمل المتسببين من
أهل عين ماضي في قتل الشيخ الدمراوي، فانقرض نسلهم و آل أمر البقية
منهم إلى الإفلاس، يضيف احمد سكيرج³.

و هكذا يبدو أن الولي محمد العربي التازي الدمراوي استمر يقدم
خدماته للطريقة التجانية حتى بعد وفاته، و تفسير ذلك في تقديرنا، هو أن
الكيفية التي عالج بها الشيخ التجاني مسألة الثأر لمقتل الشيخ الهالك لاقت
استحسانا من قبل عامة الناس، لما كان يمكن أن يتسبب فيه مقتل القاتل
من فوضى و اضطراب بين سكان عين ماضي فيما بينهم و بين عناصر
أخرى من المناطق المجاورة، فالاحتكام إلى الكتاب و السنة في تصور

1 - المصدر نفسه، ص 99.

2 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 100.

و لم يذكر الفقيه سكيرج إسم هذا الولي.

3 - نفسه.

سيدي احمد التجاني، و انتظار القصاص من الله تبارك و تعالى، هو أحسن وسيلة لمعالجة القضايا الشائكة، مع الإيمان الكامل بمضمون قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾¹، وقوله أيضا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُوْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾² و بذلك يتضح أن تصوف الدمراوي كان سنيا، ولهذا السبب احتضنته التجانية في مراحلها الأولى، ليربي الناس في إطار سني، وليأخذ عنه التجانيون في إطار سني، فتمت معالجة مسألة مقتله في إطار سني كذلك على يد شيخ الطريقة سيدي احمد التجاني، مما يجعلنا نميل إلى القول بأن التجانية قبل الإعلان الرسمي عن نفسها بمدينة فاس وعلى امتداد القرن 19، كانت حريصة كل الحرص على أن لا تخرج تعاليمها عن روح مقاصد الكتاب و السنة.

ب - علي حرازم برادة (ت 1218):

سبق أن عرفنا بهذا الشخص و قلنا عنه أنه كان خليفة لسيدي احمد التجاني الذي قال في شأن هذه الخلافة «ما خلفت أحدا سوى سيدي الحاج علي حرازم أمرني صلى الله عليه و سلم بذلك

1 - سورة الحج، الآية: 38.

2 - سورة الاحزاب، الآية: 57.

فخلفته¹». وعندما فتح الله عليه طلب منه شيخه أن يبتعد عن مدينة فاس كما علمنا. فشد الرحال إلى الحجاز عبر بلدان المغرب العربي ومصر. وكان حيث ما مر يقوم بواجب نشر الطريقة، إلى أن وافته المنية بالديار المقدسة، وسوف لن نهتم هنا، حتى لا تسقط في التكرار، إلا بالجوانب التي نحن في حاجة إليها من فكر الشيخ علي حرازم برادة بالنسبة لهذا المحور، أي كل ما يمكن توظيفه من أجل إثبات دوره في السهر على الانتشار السليم لتعاليم الطريقة، كما يتضح ذلك من مضمون إجازاته: «لطلاب الأجل المرابط الأفضل سيدي لحسن بن محمد بن عبد الرحمان نجل الولي الكبير العارف الشهير سيدي أبي موسى القاطن الآن برأس ملوية²» فقد أجاز هذا المريد في قراءة دعاء السيفي ... بالترتيل والخضوع والخشوع على قدر الاستطاعة، ولكن شريطة أن يتقي الله.» وكذلك في الدعاء الذي بعده وهو دعاء المغني ملازما له، كلما قرأ الدعاء أعقبه به وألا يتجاوز الحد فيه من تصريح أو دعاء على ظالم أو قصد غير ملازم للشرع ...، وإنما يقرأه تعظيما لله وإجلالا له ولا بتغاء مرضاته وقصدا لذاته

1 - محمد الطيب السفيناني، الإفادة الأحمدية، م.س، ص 78.

2 - محمد الحجوجي الحسني، إتحاف أهل المراتب العرفانية، م.س، ص 110.

العلية¹...». كما أذن له في ذكر ورد شيخه سيدي احمد التجاني². و في تلاوة الفاتحة عدد اسم الجلالة ... و في مائة من صلاة الفاتح لما أغلق دبر كل صلاة، ثم ختم الإجازة بقوله: «و عليه بتقوى الله و لا يتعدى ما رسمناه له³...».

ترجع قلة النصوص المنسوبة للشيخ علي حرازم برادة إلى المدة القصيرة التي قضاها بجانب الشيخ من جهة و إلى المنية التي لم تمهله طويلا ليضاعف إنتاجه الفكري من جهة أخرى. غير أن الشيء القليل الموجود بين أيدينا يشهد بما فيه الكفاية على التشدد الذي كان يطبع إجازته حتى لا يحيد الفقراء في ممارسة تعاليم الطريقة و أورادها عن مقاصد الشريعة الإسلامية التي راهنت التجانية على أن تظل وفية لها.

ج - محمد بن المشري

يصفه صاحب كتاب أهل المراتب العرفانية بخازن سر سيدي الشيخ

1 - نفسه، ص 110 - 111.

2 - استغفر الله مائة مرة ثم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق و الخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق و الهادي إلى صراطك المستقيم و على آله حق قدره و مقداره العظيم، مائة مرة، ثم لا إله إلا الله مائة مرة في الصباح و المساء. و إن كان له شغل فالنهار كله وقت و الليل كله وقت، و إن فاتته وقت فعليته إدراكه على ممر الدهر. انظر: محمد الحجوجي الحسني، م.س، ص 110.

3 - نفسه، ص 111.

احمد التجاني و بكونه عالما من العلماء العاملين و الأتقياء الراسخين والأئمة المهتدين¹. أما الفقيه احمد سكيرج فيصفه بالعالم العلامة الداركة الفهامة حامل مذهب الإمام مالك و السالك في العلوم أقوى المسالك².

من خلال هذه العبارات يتضح المستوى العلمي الرفيع لهذا الشيخ ومدى تشبثه بتعاليم الكتاب و السنة، و نعتقد أن طبيعة تكوينه هذه، هي التي كانت وراء تفانيه في الإسهام من أجل حماية تعاليم الطريقة التجانية وهي في مهدها لكي لا تنحرف عن روح الكتاب و السنة، إما بواسطة التوعية المباشرة لمريدي التجانية في شرق المغرب و صحرائه الشرقية من تكورت إلى فاس مرورا بتماسين و عين ماضي، و أبي سمغون، وتلمسان و فكيك و وجدة، أو بواسطة الكتب التي ألفها لنفس الهدف كروض المحب الفاني، و نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء و شرحه لياقوتة المحتاج في الصلاة على صاحب المعراج لمؤلفه محمد بن العربي الدمراوي، و خصوصا كتاب الجامع لما افترق من العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، الذي اقتبسنا منه بعض الأفكار التي تؤشر على الطابع السني الذي يريده المؤلف لتعاليم الطريقة، و لتراث مؤسسها، حماية له من التشويه، و يرجع ابن المشري سبب تأليفه لهذا الكتاب إلى

1 - محمد الحجوجي الحسني، إتحاف أهل المراتب العرفانية، م.س، ص 149.

2 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 149.

أمرين: «الأول: الحفظ لكلام سيدنا رضي الله عنه ليلا يضيع، وإن كان بعض النجباء من الإخوان قيد جله فلم يمكن استيفائه لأن بحر سيدنا لا ينقطع فيضه. الثاني أنه تفرق في نسخ عديدة في بلدان بعيدة بين أصحابه ... و وقع في بعضها زيادة على غيرها و تكرار أو نقص بحسب فهم النساخ، فخشيت أن ينسب ما فيه من التخليط لسيدنا، و حاشاه من ذلك لأنه يغترف من محل الصدق الذي لا يطرقه الريب¹».

كان الدافع إذن لمحمد بن المشري من خلال هذا النص، إلى كتابة تأليفه هو الخوف من التخليط و التشويه الذي يؤدي في النهاية إلى السقوط في البدع و لو بشكل غير مقصود. فتعاليم طريقة سيدي احمد التجاني من أذكار وأوراد، و التراث الذي خلفه بشكل عام، يستمد مشروعيته من الكتاب و السنة. ألم يقل شيخ الطريقة نفسه «إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه بميزان الشرع فإن وافق فاعملوا به وإن خالف فاتركوه»²، كما سبق أن أشرنا لذلك، و كان سيدي احمد التجاني بكلامه هذا يعقب على جواب عن سؤال طرح عليه و هو: أيكذب عليك؟ قال: نعم³.

1 - محمد بن المشري، الجامع لما افترق من درر العلوم ... م.س، ج I، ص 3.

2 - محمد الطيب السفيناني، الإفادة الأحمديّة، م.س، ص 13.

3 - نفسه.

و الواقع أنه رغم هذه الاحتياطات، فقد نسبت كثير من الأشياء إلى شيخ الطريقة، لم يقلها ولم يوافق عليها، و حرف الخصوم كلامه وأولوه للنيل منه¹. و انسجاما مع نفس الحرص على الحفاظ على سلامة تعاليم الطريقة و تيسيرها لتكون في متناول مختلف فئات المجتمع، و نظرا لكون كتاب جواهر المعاني، يصعب على عامة الاتباع مطالعته، و عدم انتفاعهم به لقصور همهم، حسب تعبير ابن المشري نفسه، فإن هذا الأخير، عمد إلى تقسيم كتابه الجامع لما افترق من العلوم إلى جزئين «لتحصل الفائدة لكل من أراد مطالعة هذا الجزء من عامة أتباع سيدنا رضي الله عنه ومن غيرهم لأن أكثرهم عوام لا قدرة لهم على فهم العلوم الظاهرة، فضلا عن الحقائق²». هذا الجزء في معظمه مشتمل على التعريف بنسب الشيخ وابتداء أمره وارتحاله من بلده و ملاقاته للأشياخ إلى أن ظفر ببغيته، و أمر ظهور طريقته وكيفيةها و ما تضمنه من الأوراد و الوظائف و فضائلها، و فضل من دخل فيها من أتباعه...

أما الجزء الثاني فيقول عنه «و من كانت فيه أهلية فليطالع

1 - في مقدمة هؤلاء الذين أشهروا سيفهم ضد التجانية و شيخها، محمد الخضر بن ما يابى الجكني الشنقيطي صاحب كتاب: مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني، و هو الكتاب الذي سيفصل القول في شأنه ضمن فصل قادم.

2 - محمد بن المشري، الجامع لما افترق من درر العلوم، م.س، ص 5.

الجزء الثاني، فإنني وضعتة مشتملا على تفسير شيخنا لبعض الآيات القرآنية، فتكلم في أكثرها على طريق أهل الظاهر، و بعضها على طريق أهل الإشارة¹....».

و بناء على هذه الصرامة التي عرف بها محمد بن المشري في تلقين تعاليم الطريقة، و متابعة كيفية تطبيقها عن قرب، فقد حرر رسالة باسم الشيخ حتى يضمن لها القوة و الفعالية التنفيذية المطلوبة، إلى حد المقدمين النتجانيين، يقله من المهمة التي كان مأذونا فيها لأعطاء الأوراد. و مما جاء في هذه الرسالة «و اعلم سيدي أن كل من أذنته بوردنا قبل اليوم فكلا شيء، لأنه لا ينفعه²....».

من جهة أخرى نشير إلى أنه بعد أن طلب سيدي احمد التجاني من ابن المشري الخروج من فاس إلى الصحراء، امتثل لرغبة الشيخ، و استمر يقوم بواجب الدعوة لصالح الطريقة، على أساسها السني في تلمسان و الجزائر و أبي سمغون و عين ماضي إلى أن توفي سنة 1224 / 1809. و من شدة تعلقه بحبل الله و سنة رسوله، كان لا يفارقه الخوف من التقصير في الامتثال إلى أوامر الله و نواهيه، كما يفهم من مضمون رسالة بعثها إلى شيخه بفاس، يطلب منه أن يأخذ بيده و يتوسل إليه بالله

1 - المصدر نفسه، ص 5.

2 - محمد الحجوجي الحسني، اتحاف أهل المراتب العرفانية، م.س، ج I، ص 285 - 286.

ورسوله وجميع أشياخه إن كان له دواء حسي أو معنوي أن يعامله به ،
وإلا بقي في الفيافي والقفار، لا أهل له فيها و لا مال و لا دار، إلا الواحد
القهار¹.

2 - شيوخ عاصروا الشيخ و أخذوا عنه مباشرة

هذه المجموعة من الفقهاء و الشيوخ التي تدخل تحت هذا العنوان
أخذت كسالتها عن الشيخ مباشرة، و تختلف عنها في كون هؤلاء الفقهاء
عاشوا ما شاء الله من الزمن بعد وفاة سيدي احمد التجاني. و باستثناء علي
التماسيني و الطاهر الأقماري المنتمين جغرافيا لشرق المغرب²، فإن
الأربعة الباقين كانوا يقيمون إما في فاس أو مكناس، و يشتركون كلهم في
غيرتهم على الطريقة و إخلاصهم في الحيلولة دون انحراف تعاليمها كما
كان يلح على ذلك شيخ الطريقة. و عندما نقول إن هاته المجموعة أو غيرها
كانت تحت رعايتها منطقة جغرافية معينة، فهذا لا يعني أن باقي أنحاء
المغرب لم تكن تستفيد من إشعاعها في التوجيه و الإرشاد و التصحيح.
فعلاوة على تأثيرهم في المدن و الجهات التي يحتكون فيها مباشرة
بمريديهم، مع الرجوع إلى شيخهم في الأمور المهمة فإن الإجازات

1 - احمد سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، م.س، ج 3، ص 195.

2 - نقصد بذلك الشرق الصحراوي الممتد حتى عين ماضي و تماسين و الاغواط.

والرسائل كانت تنوب عنهم في الأخذ بيد الأتباع الذين يتعذر الاتصال بهم مباشرة.

أ - محمد الغالي بوطالب:

مكوته إلى جانب الشيخ مدة ثلاثين سنة، يعطينا صورة حقيقية عن أهمية هذا الشيخ بالنسبة للطريقة. ولعل تأكد الشيخ سيدي احمدالتجاني من بلوغ هذا الفقيه مرتبة الكمال في فهم مقاصد الطريقة¹ واطمئنانه إليه في النيابة عنه في تسيير دفة شؤونها دون زلل ولا خلل هو الذي جعله يقدمه ويجيزه ويأمره بتقديم أربعة أشخاص، وكل واحد من أولئك الأربعة يأذن له بتقديم أربعة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وبصفته هذه تخرج على يده فطاحل شيوخ الطريقة، مثل بوعزة بن الشيخ علي حرازم برادة، ومحمد أكنسوس، و احمد بناني كلا، والحاج عمر الفوتي بالسودان الغربي وغير هؤلاء².

ومما يبرهن على زهده وتمسكه بالسنة امتثالاً لرغبة شيخه، وخشوعه في الصلاة أن سجوده وركوعه كان مقدار ما يقرأ القارئ من صلاة الفاتح لما أغلق نحو من سبع وعشرين مرة في كل

1 - محمد الحجوجي الحسني، اتحاف أهل المراتب العرفانية، م.س، ج1، ص 134 - 135.

2 - نفسه، ص 137.

سجدة من سجديات صلاته. و ما نقص منها يضيف نفس المصدر خوفاً على قافلته ولا خوفاً على نفسه، و بما أن السنة النبوية المستمدة من كتاب الله العزيز منسجمة معه و متطابقة مع الإدراك العقلي في الكثير من تعاليمها، فإن محمد الغالي بوطالب كان يبحث من خلال احتكاكه بشيخه سيدي احمد التجاني و حوارهم معه، دوماً على التوفيق بين العقل و النقل، مع كل ما يتطلبه الموقف من الجرأة، محاولاً بذلك الابتعاد عن ما هو خرافي، و كمثال على ذلك نسوق حواراً دار بينه و بين شيخه¹.

- سيدي احمد التجاني: قدماي هاتان على رأس كل ولي لله تعالى.
- محمد الغالي: يا سيدي أنت في حالة الصحو و البقاء أم في السكر و الفناء؟

- سيدي احمد التجاني: بل أنا في الصحو و البقاء و كمال العقل و لله الحمد.

- محمد الغالي: يا سيدي، ما تقول في قول سيدي عبد القادر الجيلالي رضي الله عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى؟

- سيدي احمد التجاني: صدق رضي الله عنه، يعني أهل عصره، و أما أنا فأقول قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم إلى

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 264.

النفخ في الصور.

- محمد الغالي: يا سيدي فكيف تقول إذا قال أحد بعدك مثل ما قلت؟

- سيدي احمد التجاني: لا يقوله أحد بعدي.

- محمد الغالي: قد حجرت على الله تعالى واسعا. ألم يكن الله تعالى

قادرا على أن يفتح على ولي فيعطيه من الفيوضات والتجليات والمنح والمقامات والمعارف والعلوم والأسرار والترقيات والأحوال أكثر مما أعطاك؟

- سيدي احمد التجاني: بل قادر على ذلك وأكثر منه، ولكنه لا يفعله

لأنه لم يردّه، ألم يكن قادرا على أن ينبئ أحدا ويرسله إلى الخلق ويعطيه أكثر مما أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟

- محمد الغالي: بلى ولكنه تعالى لا يفعله لأنه أرادّه في الأزل.

- سيدي احمد التجاني: هذا مثل ذلك ما أرادّه في الأزل ولم يسبق به

علمه تعالى.

فهل مثل هذه الأسئلة الجريئة هي التي جعلت سيدي احمد التجاني

يطلب من محمد الغالي الجلاء عن مدينة فاس؟ أم أن الشيخ التجاني لم يتخذ هذا الموقف من أحد المخلصين له، بمحض اختياره، وإنما بإيحاء أو إشارة غيبية؟

و أيا كان الأمر فإن محمد الغالي توفي سنة 1244/1829

بالحجاز، و دفن بجانب أم المومنين خديجة بنت خويلد بمكة المكرمة،

طبقا لما أورد مؤلف اتحاف أهل المراتب العرفانية¹.

ب - الطيب السفيناني:

سوف لن نطيل الكلام حول هذا الفقيه، لأننا عرفنا به سابقا، و نكتفي هنا بإيراد المعلومات المتعلقة به و التي يفرض توظيفها نفسه في هذا المحور، مثل باقي الفقهاء التجانيين. فبالإضافة إلى النسب السفيناني الشريف، فقد كان عالما وفقيها، و مجودا، دفعه حبه للرسول صلى الله عليه و سلم إلى الدخول في الطريقة التجانية منذ أن علم بإقامة الشيخ التجاني بفاس²، لأن هذا الأخير و من خلال تعاليم طريقته، كان يجسد أخلاق الرسول صلى الله عليه و سلم و يدعو إلى إحيائها و المحافظة عليها و التخلق بها. و من مظاهر حب الطيب السفيناني للرسول أنه سكن غرفة مقابلة للضريح الإدريسي³. و طلب من شيخه أن يدعوه له أن يتوفاه الله على محبته، فدعا له بذلك، كما علمنا و كان دخوله في الطريقة التجانية، مكسبا كبيرا للشيخ التجاني بالنظر إلى الخدمة التي قدمها للطريقة ماديا بسبب غناه و معنويا باعتبار ما كتبه، و بصفته أحد فقهاء الطريقة

1 - محمد الحجوجي الحسني، اتحاف أهل المراتب العرفانية، م.س، ج I، ص 137.

2 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 171.

3 - نفسه، ص 175.

وشيوخها من الجيل الأول الذي شرب من حياض الشيخ المؤسس مباشرة واستمع إليه عن قرب، واستفاد من أقواله وأفعاله، ولم يترك الفرصة تمر دون تدوين بعض ما كان يفوه به الشيخ التجاني من كلام، وهو بهذا سار على منوال علي حرازم برادة، و محمد بن المشري، لكن دون أن يرقى كتابه إلى أهمية كتابيهما، غير أن الهم الذي كان يشغل كل واحد منهم هو الخوف من تشويه كلام سيدي احمد التجاني الذي كان لا يخرج عن روح الكتاب والسنة ومن هذا المنطلق ألف الطيب السفيناني كتابه المسمى: الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية¹ الذي رتب ما ورد فيه على حروف المعجم، وحول الأسباب التي دفعته إلى القيام بهذا العمل يقول: «وحملني على جمع تقييده خوف الدروس والضياح لينفع الله به من أراد له الخير والانتفاع، ولما ورد في كتم العلم من الوعيد، وتبليغ الشاهد الغائب كل أمر أكيد²...».

ج - علي التماسيني (ت 1260): تصفه جل المصادر التجانية بالقطب الشهير، حامل راية الطريقة التجانية و وارث أسرارها. ينتسب إلى تيماسين من أرض الجريد³، و يقيم بها. ينحدر من أسرة

1 - أشرنا إلى هذا الكتاب سابقا و أعلنا عليه عدة مرات.

2 - محمد الطيب السفيناني، الإفادة الأحمدية، م.س، ص 12.

3 - محمد الحجوجي الحسني، اتحاف أهل المراتب العرفانية...م.س، ج I، ص 120 و ما

بعدها.

شريفة حسنية، كان ينتمي في بداية تصوفه لطريقة أحد الأولياء المدعو سيدي احمد بن درهم الحشاني. ولما ظهر سيدي احمد التجاني، و نظرا لما وجد في تعاليم طريقته من تمسك بحبل الله ورسوله، أحبه وأصبح من خاصة خاصته، بعد مدة وجيزة من دخوله في الطريقة، و انسلاخه عن انتمائه السابق.

و مما يبرهن على جديته وإخلاصه في اختياره الجديد، أنه شد الرحال لزيارة سيدي احمد التجاني بفاس أربعة عشر مرة¹. و كان كلما قدم زائرا يقدمه الشيخ للإمامة في الزاوية مع كثرة من بها آنذاك من كبار العلماء. و من الشواهد التي تعتبر دليلا قاطعا على علو شأن هذا العارف داخل هذه الطريقة، و اعتراف شيخه بهذا المستوى الرفيع الذي وصل إليه، أنه عندما أم الناس في إحدى الصلوات بزاوية فاس، حصل له خلال الصلاة ما يبطلها، فذكر ذلك لسيدي احمد التجاني، ليبدى رأيه فيما حدث، و كان السائل ينتظر من الشيخ أن يأمر بإعادة الصلاة، لكن هذا الأخير أجاب بأن ذلك الرجل مفتوح عليه و الصلاة خلف المفتوح عليه مقبولة²، كما أنه كان يدعى بخليفة الشيخ مثله في ذلك مثل الفقيه علي حرازم برادة، في مشارق الأرض و مغاربها، من بين سائر أهل الطريقة التجانية.

1 - المصدر نفسه، ص 122.

2 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 126 - 127.

- محمد الحجوجي الحسني، اتحاف أهل المراتب العرفانية، م.س، ج I، ص 121.

و يذكر صاحب إتحاف أهل المراتب العرفانية أنه كان ينعت بقطب وقته، و مكث في القطبانية ما يقرب من ثلاثين سنة. و من شواهد رفعة شأنه أيضا ما حكاه الطبيب السفيناني عن مرض إحدى إماء الشيخ سيدي احمد التجاني التي لم ينفع فيها علاج، فاقترح السفيناني على الشيخ اللجوء إلى كتابه رقية، فقال له الشيخ و من يكتبها من غير سيدي علي التماسيني فاقترح السفيناني نفسه فلم يقبل الشيخ منه ذلك و جعل يقول: «و أين مثل سيدي الحاج علي يا فلان و كررها منكرا علي ما قلتة و وددت أني ما ذكرت له ذلك»¹. و بالإضافة لكل ما سبق، فاقتناع سيدي احمد التجاني بكفاءة التماسيني و بلوغه مبلغ الرجال جعله يقول له ثلاثة أيام قبل وفاته: «إن أمرنا هذا يتلقاه حي عن حي مشافهة، و إنما أنت الخليفة عليه من بعدي»². بعد هذه الشهادات التي تعلي من شأن علي التماسيني، نتساءل عما إذا كان هذا الأخير في مستوى الثقة التي وضعها فيه شيخه كخليفة له فينا يخص موصلة رسالة نشر تعاليم الطريقة و الحرص على الإبقاء على سنيته بالدرجة الأولى خصوصا بعد وفاة سيدي احمد التجاني؟

الجواب على هذا التساؤل يقدمه محمد الحجوجي، و ابن السايح،

1 - محمد الحجوجي الحسني، إتحاف أهل التراتب العرفانية، ج I، ص 122.

2 - نفسه، ص 122.

فالأول يرى أن كرامات ظهرت على التماسيني بعد وفاة شيخه، كما أنه «تصدى للتربية وإرشاد الخلق فصار الناس يأتوه من سائر الآفاق للأخذ عنه و التبرك به¹...» بينما أخبر الثاني نقلا عن أحد الثقات بأنه «كان أتاه رجل (التماسيني) في زاويته زائرا فاتفق أن اجتمع عنده في مدة إقامته لديه نحو مائتي رجل كلهم يطلبون التقديم، أي الإذن منه رضي الله عنه في إعطاء الورد وكلهم من الآفاق البعيدة»².

من خلال هذين النصين يتأكد مرة أخرى ما قلناه من كون المربي في الطريقة التجانية لا يستفيد منه أبناء إقليمه أو جهته فقط بل الاستفادة تكون عامة و الاشعاع يشمل مختلف الاتجاهات على يد أولئك الآتين من كل الآفاق لطلب المدد و الدعاء الصالح و تصحيح العقائد و المفاهيم. و هذا ما يجسده دور شيوخ و فقهاء الطريقة، الذين نحن بصدد بسط القول في شأنهم. و قد استمر التماسيني الذي يعتبر واحدا منهم، يعتني بأهل الطريقة و يكاتبهم ناصحا و مربيا إلى أن وافته المنية عام 1260 / 1844. و من رجالات التجانية الذين راسلهم، و أكنوا له بالغ التقدير علامة تونس الشيخ ابراهيم الرياحي³.

1 - محمد الحجوجي الحسني، اتحاف أهل المراتب العرفانية...م.س، ج I، ص 124-125.

2 - نفسه.

3 - نفسه، ص 125 - 126.

د - الطاهر الأقماري:

كان يستوطن بلدة أقمار بناحية واد سوف إلى الشرق من تماسين¹. وبما أن سيدي احمد التجاني كانت انطلاقته الأولى من هذه الجهات الصحراوية، جنوب الأطلس الصحراوي فإن هذا الشيخ و على غرار علي التماسيني، كان أكثر الأشخاص تصديقا بدعوته منذ مرحلة أبي سمغون وعين ماضي و تلمسان، إلى أن انتقل الشيخ إلى فاس ليقيم بها بصفة نهائية حيث زاره عدة مرات ليجدد أواصر المحبة معه، و التلمي بالنظر إليه عن قرب، و طلب رأيه في القضايا التي تهم الطريقة والفقراء في عين ماضي و أبي سمغون و تكورت و الأغواط و واد سوف². و بنفس المناسبة كان فقراء فاس و شيوخها و غيرهم من زوار الزاوية من أنحاء أخرى من المغرب يستغلون زيارة الطاهر الأقماري للشيخ ليطالبوا منه قضاء أغراضهم بالدعاء الصالح لهم، و بالإجابة عن أسئلتهم، بسبب ما له من إذن مطلق في أورااد الطريقة و أذكارها من قبل الشيخ. غير أنه يبدو أن قرب إقامته من القطر التونسي جعل تأثيره يكون أكثر بروزا و فعالية هناك. يشهد على ذلك المراسلات المتعددة التي جرت بينه و بين عالم تونس ابراهيم الرياحي التجاني الطريقة. و كان الأقماري قد زار تونس ونال

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 396 و ما بعدها.

- محمد الحجوجي اتحاف أهل المراتب العرفانية، م.س، ج I، ص 263-264.

2 - نفسه، ص 268.

الرياحي من معارفه حظا وافرا و تعلق به و أحبه، فأتى به الأقماري معه عند عودته إلى تماسين لملاقة الخليفة الحاج علي التماسيني¹.
و رغم تضلع الرياحي في علمي الظاهر و الباطن، فإنه اعترف بتواضعه مقارنة مع ما وصل إليه الأقماري: «و الله علمي الظاهر مع علمه إلا كالعجمي مع العربي الفصيح²...». أما احترامه و تذله له، فلا حدود له كما نقرأ ذلك في رسالة له بتاريخ 15 ذي الحجة 1260 / 1844: «...لو كانت لي قوة أسافر بها إليك ما بقيت في ألم الحيرة، أفلا تعطيني حق محبتي لك و صحة اعتقادي فيك، يا من إذا تذكرته انشرح صدري و كبر طمعي³...». و في رسالة أخرى له بتاريخ 5 جمادى الثانية 1263 / 1847 يصفه بـ: «سيد الأحباب و ليث السنة و الكتاب و أسد الغابة الوثاب... أدام الله لكم ما أنتم فيه من الاستقامة و زادكم علوا في هذه و يوم القيامة، و لا تنسانا فإن الاخوة قديمة و الطويلة على محبتكم قديمة⁴». نفس الانكسار و الاعتراف للأقماري باعتباره من صفة الأبرار، نجده في رسالة أخرى

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 396.

2 - محمد الحجوجي الحسني، إتحاف أهل المراتب العرفانية، م.س، ص 267.

3 - نفسه، ص 263.

4 - نفسه، ص 265.

للرياحي غير مؤرخة، وأهم ما ورد فيها: «و بعد فالقلب إليكم شائق،
والحب في جنابكم العلي صادق، و مورد الطمع في فضلكم رائق و البعد
عنكم عائق و اي عائق¹...».

و في رسالة رابعة غير مؤرخة كذلك يخاطبه بقوله: «...و بعد فقد
ورد علينا كتابك و تشرفنا منه بلذيد خطابك و سرنا بجماله
و تفاصيله. كما هي عادتك معنا في إدخال السرور علينا... إلا أنه حصل
بعض تغير من قولك إن خديمك الطاهر يتوسل بك، فإن هذا الكلام من
حقي أن أقوله فإنني أنا الخديم و أنا المقصر و أنا القاصر و أنا السائل و أنا
الجاهل²...». و لعل هذه النصوص كافية للتدليل على الدور الكبير الذي قام
به هذا الشيخ في رسم الطريق الصحيح لانطلاق تعاليم الطريقة
واستمرارها داخل المغرب و خارجه في ظروف لا يخشى معها أي
انحراف يؤدي إلى ارتكاب البدع.

هـ - عبد الوهاب بن الأحمر³ (ت 1269/1853): هو

الحاج عبد الوهاب بن التاودي، عرف بابن الأحمر نسبة إلى المدينة

1 - المصدر نفسه.

2 - نفسه، ص 266.

3 - أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 231 و ما بعدها.

- محمد الحجوجي الحسني، إتحاف أهل المراتب العرفانية...م.س، ج I، ص 247.

الحمراء، الغرناطي الأصل الفاسي المولد والدار والاقبار، ويعتبر صاحب أسرار وأنوار، وهو أحد أركان الطريقة كما مر بنا، ومن ظهرت عليه ينابيع الفتوح وكمال التوفيق. وكان في بادئ أمره من الملازمين لعلّي حرازم برادة، حتى حج معه وحضر جنازته بالديار المقدسة. ورجع وقد جمع علومه وأسرارها، ولازم بعد ذلك حضرة سيدي أحمد التجاني حتى صار بحرا لا يضاهي، وحجة يرجع إليه في أمور الطريقة العويصة، مقيما للدين على سنن المهتدين. وسأهرا على سنية تعاليم التجانية كما يفعل كبار الكمل من العارفين.

وما من شك في أن هذه الفتوحات التي ظهرت على ابن الأحمر، هي التي جعلت سيدي أحمد التجاني يكلفه بمهمة مرافقة علي حرازم برادة إلى الديار المقدسة ويخصه دون غيره برواية حزب البحر للشاذلي الذي لم يروه أحد عن سيدي أحمد التجاني غيره. ولم يأذن فيه لأحد من أصحابه إلا له¹. ومن مناقب هذا الشيخ، طبقا لبعض المصادر التجانية، أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعه أبو بكر وعمر، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم للشيخين، اكتبوا هذا في ديوانكما، يعني ابن الأحمر، ثم اعتياده على الجلوس في الصف الأول من الزاوية الفاسية قرب المحراب.

1 - أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 232.

- محمد الحجوجي الحسني، إتحاف أهل المراتب العرفانية... م.س، ج I، ص 248.

ومن التقاليد التي تنسب له الصلاة التي تلقاها من الحضرة النبوية وسماها
سر إكسير اليواقيت من فضيلة الحق و جبر كسر الفوائت لضعفة الخلق¹
و هي الصلاة السرية الشهيرة بين الإخوان، و التي يمكن الرجوع إلى
نصها الكامل في إتحاف أهل المراتب العرفانية.

هذه للناقب و تلك الصفات هي التي أهلتها لمنح الإجازات لبعض
السالكين في الطريقة بعد وفاة الشيخ، و تحمل الإجازة التي نقدم بعضها
من مضمونها تاريخ فاتح صفر 1263 / 1847 و قد ورد فيها بعد الحمدلة
و الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم: «...و بعد فيقول العبد الفقير إلى
مولاه الغني به عمن سواه عبد الوهاب بن التاودي الشهير بابن الأحمر
التجاني طريقة المسكين حقيقة قد اذنت و أجزت للفقير النبيه الناسك النزيه
أبي حفص عمر بن الفقيه سيدي محمد بن علي الجلاوي المراكشي، في
كل ما اشتمل عليه كتاب شيخنا وملاذنا هذا مولانا أحمد بن محمد التجاني
الشريف الحسني من جواهر المعاني و بلوغ الأمان... و أن يأذن لمن
طلب منه دعاء أو صلاة... و كذا أذنته في تلقين الورد لكل من طلبه من
المسلمين بالشرط المذكور...

و أوصيك بدوام ما ظهرت عليه... و غلب التقوى على الأهواء... نور
الله قلبك بالمشاهدة و أيد ظاهرك بالمجاهدة²...».

1 - نفسه، ص 152.

2 - محمد الحجوجي الحسني، إتحاف أهل المراتب العرفانية...م.س، ص 151.

و هذه إجازة ثانية منه لفائدة محمد بلقاسم بصري المكناسي، تبرز
الصلاحيات الواسعة التي حولها الشيخ لابن الأحمر في إعطاء الأوراد
وتقديم المقدمين، وهي غير مؤرخة، وهذا أهم ما ورد فيها:
«...و بعد فيقول أفقر العبيد إلى مولاي الغني الحميد خديم الحضرة
التجانية... عبد الوهاب بن التاودي المعروف بابن الأحمر... فقد أذنت
وأجزت لحبيبتنا... الفقيه المحب في الله أبو عبد الله سيدي محمد بلقاسم
بصري... في تلقين الأوراد والأذكار المشهورة والمأثورة عن شيخنا
المذكور و خليفته رضي الله عنهما ... تلقينا وإجازة عامة و كذلك إن ظهر
ما يصلح للتقديم من غير سكان البلد مكناسة الزيتون مدة حياته... وأذنته
أيضا في قراءة القرآن والأدعية بأجمعها لنفسه ولغيره و كذلك عمل
الرقى وإخراج العين...¹». وكتعليق على مضمون هاتين الإجازتين، نود
هنا تسجيل ملاحظتين، الأولى، تتعلق بالبعد الإشعاعي لإجازات
كبار شيوخ الطريقة التجانية، أمثال ابن الأحمر، بعد وفاة شيخهم.
فرغم أن ابن الأحمر كان مقر إقامته الرسمي بفاس، فإن الأشخاص
الذين أجازهم ونالوا ثقته كانوا يقيمون بعيدا عن مراكش ومكناس
مثلا، وهذا ما كان يسمح بتناسل وتكاثر اتباع الطريقة بشكل
منتظم و بعيدا عن كل انحراف و هرطقة. و مما كان يشجع على هذا التكاثر

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 428-429.

أن ابن الأحمر كانت له صلاحية الترخيص بإعطاء الإذن لكل من أخذ عنه الإذن مباشرة، كما يتضح ذلك من خلال الإجازتين. أما الملاحظة الثانية فترتبط بتأكيد المجيز على ضرورة الخوف من الله تعالى و التمسك بحبل نبيه كما ورد في الإجازة الأولى: «... و كن لله يكن الله لك، و غلب التقوى على الأهواء»¹.

و - محمد بلقاسم بصري (ت (1876/1293)² :

أحد علماء مكناسة الزيتون الكبار حيث كان خطيباً بجامعها الكبير، أخذ عن سيدي احمد التجاني، و هو صغير السن، و يمتاز من بين مقدمي الطريقة و شيوخها بكونه الوحيد الذي ناداه سيدي احمد التجاني باسم المقدم، كما أشرنا إلى ذلك في فصل سابق، و بعد وفاة الشيخ المؤسس تلقى الإذن في تلقين الورد على يد الشيخ علي التماسيني، ثم أجازة فيما بعد كل من ابن الأحمر و محمد الغالي بوطالب و الغازي المطيري³. و بناء على هذه المعطيات يمكن القول أن محمد بلقاسم بصري، هو

1 - محمد الحجوجي الحسني، اتحاف أهل المراتب العرفانية، م.س، ج I، ص 151.

2 - نفسه، ص 213 و ما بعدها.

3 - نفسه.

- احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 422 و ما بعدها.

أصغر مريد أخذ مباشرة عن الشيخ سيدي أحمد التجاني. و صار له شأن كبير في التقديم وإعطاء الإجازات والإفتاء، والنهي عن الانحراف عن النهج السني الذي اختارته الطريقة لنفسها، مما جعله ينال احترام كبار شيوخ الطريقة خارج فاس ومكناس، وحتى أقصى حدود الصحراء المغربية جنوباً. وأول فقهاء الطريقة وشيوخها الذين قدروا محمد بلقاسم بصري حق قدره، علاوة على الذين أجازوه، الفقيه الأديب محمد أكنسوس. ويطلعنا على هذا الموقف أحد كبار التجانيين ببلاد شنقيط والسودان الغربي، وهو أحمد بن العباس الشنجيطي العلوي من خلال رسالة كتبها إلى بعض التجانيين في شمال المغرب وفي مقدمتهم محمد بلقاسم بصري، تحمل تاريخ سنة 1284 / 1868¹. و مما جاء فيها أن الفقيه محمد الكنسوسي كان أمره إذا ذهب لزيارة الشيخ التجاني أن يذهب إلى ثلاثة نفر من أصحاب الشيخ أحدهم محمد بلقاسم بصري، إلا أن أحمد الشنجيطي لم يذهب عنده لعذر، فلما رجع وبخه الفقيه الكنسوسي وقال له: «والله ما عندنا في المغرب من هو كالمقدم بصري في التمسك بالطريقة الأحمدية واعزازها وتشبيدها وإقامة دعائمها، وحفظ شروطها، وضبط أذكارها، وأسرارها، ودعواتها وخلواتها، وجلواتها، وتحليتها وتخليتها،

1 - محمد الحجوجي الحسني، إتخاف أهل المراتب العرفانية...م.س، ج I، ص 216.

و توجيهاتها، و مقاصدها، و أصولها، و فصولها، و مصححاتها،
ومفسداتها، و منازلها و أجورها و مراتبها.¹».

فاستحيى أحمد الشنجيطي، من المأزق الذي وجد فيه نفسه أمام
الفقيه محمد أكنسوس، و لم يسعه إلا أن يكتب رسالة استعطاف و اعتذار
إلى بلقاسم بصري، طالبا منه صالح الدعاء، و هي الرسالة التي أشرنا إلى
تاريخها سابقاً.² و هذا دليل آخر على الاحترام و التبجيل الذي كان يحظى
به بلقاسم بصري حتى في أقصى حدودالمغرب الجنوبية. شخصية أخرى
بارزة في الطريقة، لم يأخذ مباشرة عن الشيخ مثله في ذلك مثل الفقيه
أكنسوس. و تكشف المراسلات التي جرت بينه و بين بلقاسم بصري عما
كان يكنه كل واحد منهما للآخر، و هذه الشخصية نقصد بها محمد العربي
ابن السايح، الذي كان يحترم جنبه غاية الاحترام، كما يتضح من هذه
الرسالة التي خاطبه فيها بقوله: «سيدنا الأعظم الذي إليه تنتهي المساند و
ركننا الشديد الذي إليه الإيواء في الشدائد مظهر الأنوار الأحمديّة...العلامة
القدوة المربي النفاع المحيط بإرث هدى السلف بلا نزاع، أبا عبد الله محمد
بلقاسم بصري³...».

1 - المصدر نفسه، ص 218-219.

2 - نفسه.

3 - أحمد سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، م.س، ج 3 ص 55-56-57.

أما الإشكالية التي يعرضها عليه ضمن نفس الرسالة، و التي يطلب من خلالها جوابا، فتتعلق بما شاع بين الفقراء في مراکش و زرهون، وكثير من الأقاليم من التحدث بأن سيدي احمد التجاني نزلت عليه القطبانية يوم 18 صفر الخير¹، و ينقلون عنه أنه قال لو علم الناس ما في ذلك اليوم لاتخذوه عيداً، فصاروا يحتفلون له بالاجتماع فيه و جعله موسماً، و نحن يقول ابن السائح لم نر عملكم على هذا، و لا سمعنا منكم قط ما يشير إليه: «فبالله عليكم أن تكتبوا لمن حولكم كأهل زرهون و غيرهم بما هو في كريم علمكم في ذلك و تكتبوا لنا ما نعتمده فيه ونكتب فيه لإخواننا، فإن بعض من له الولوع يتبع عورات الطريق، وقال هذا نيروز أو تشبهه بأهل النيروز...»².

و تعقيباً على هذا السؤال المطروح على محمد بلقاسم بصري، يفيد احمد سكيرج الذي يكن بدوره لهذا الشيخ المكناسي كل الإجلال، أنه لولا ما يعتقده ابن السائح في بلقاسم بصري من الفتح الكبير، ما طلب منه الجواب عما اهتم به و أثار انتباهه من انحراف في الطريق. و يضيف احمد

1 - لم يذكر صاحب المصدر تاريخ السنة. لكن صاحب السلوة أورد عام 1214 هـ كتاريخ لظهور القطبانية على سيدي احمد التجاني. أنظر:

محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الانفاس و محادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس، طبعة حجرية، ج I، ص 182.

2 - احمد سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، م.س، ج 3، ص 55-56.

سكيرج أنه لم يقف على جواب بلقاسم على هذا السؤال، لكنه أفاد بما عنده في هذا الموضوع فقال: «و الذي عندي في هذه المسألة أنها من المحدثات في الطريق، التي لا ينبغي الاحتفال بها و الأصل في ذلك ... ممن ولعوا بإظهار المستغربات في هذه الطريقة ظنا منهم أن ذلك من الأسرار و لم ينظروا إلى ما يصدر في مثل ذلك من المولعين بالانتقاد و الإنكار، فالأولى للموفق من الإخوة ترك الإنشغال بهذه الأمور¹».

و إذا كان جواب بلقاسم بصري على سؤال محمد العربي بن السائح المشار إليه أنفا، لم يتأت العثور عليه، فإن مضمون رسالة بتاريخ 25 ربيع الثاني 1276 / 1860² من الأول إلى الثاني يكشف له من خلالها عن قناعاته الدينية، و عن مواقفه من مختلف الانحرافات التي يلاحظها على الناس في تصرفاتهم اليومية بما في ذلك بعض فقراء الطريقة، وهذا ما كان يمجّه و يحث على الوقوف ضده: «... أما بعد فمما يجب إعلامك به أنه ينبغي للفقير أن يحترز على دينه و دنياه من المتنمسين، فهم أهل الرياء المظهرون التعفف و النسك ومجانبة الحرام، و مواظبة الصلاة و الصيام لكي يشتهر ذكرهم عند

1 - المصدر نفسه، ص 58-59.

2- محمد الحجوجي الحسني، إتخاف أهل المراتب العرفانية...م.س، ص 228-229.

الخاص والعام، ثم يلتقون ذوي الأموال بالبشرى والإكرام والتلطف في المقال ويمشون إلى أبواب الملوك على صفة التهاني بالأعياد... ويجلهم الأقوام وتقبل شهادتهم الحكام... وهم أشد اللصوص والقطاع وذلك أن شهرة اللصوص والقطاع تدعو إلى الاحتراز منهم وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم¹...».

هذا النص الذي أخذنا أهم ما فيه، لم يحد محتوى الباقي منه عن ما سبق من تعرية وفضح لسلوك المنافقين في مجتمع ذلك الوقت، الذين يأكلون الدنيا بالدين لذلك يحث بلقاسم بصري، السائح على الفرار منهم ومن أمثالهم، ممن تسربوا للطريقة²، ثم يدعوهم إلى معرفة الكمل من أهل الطريقة التجانية الذاكرين الله كثيرا لأن دعوتهم مستجابة، ويذكره بضرورة إكرام الفقراء ظاهرا وباطنا. وقد سار ابنه بلقاسم على هديه من محاربة البدع وخدمة الطريقة في إطارها الصحيح، كما يبرز ذلك من خلال الخطاب الذي وجهه إليه محمد العربي بن السائح³.

1 - المصدر نفسه، ص 228-229.

2 - نفسه، ص 229.

3 - احمد سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، م.س، ج 3، ص 57.

3 - شيوخ أخذوا بواسطة

هذه المجموعة من شيوخ الطريقة و فقهاءها، لم تدخر جهدا بدورها طيلة النصف الثاني من القرن 19 و مطلع القرن العشرين، في مواصلة نشر تعاليم الطريقة، و الدفاع عن حصانتها، و مما يميزها عن الجيل الأول الذي تشرفت بالأخذ عنه، أنها لم تأخذ مباشرة عن الشيخ المؤسس، و لا تنتمي جغرافيا بشكل عام لوسط البلاد و شرقها بل للمناطق الغربية والساحلية حتى نهر درعة مرورا بسهول سوس و ماسة، إلا أنهم مع ذلك غطى اشعاعهم كل بلاد المغرب من أقصاه إلى أقصاه، نظرا للمستوى الرفيع الذي كانوا يتميزون به في اللغة العربية و الفقه و الشريعة الإسلامية، فوضعوا كل هذه المؤهلات في خدمة الطريقة التجانية لمواصلة دورهم التربوي الروحي في إطارها، و الذب عنها ضد خصومها، و انحراف الضعفاء من فقرائها سلاحهم في ذلك الكتب التي ألفوها، و ما أكثرها.

أ - الفقيه محمد أكنسوس¹:

سبق التعريف بهذا العلامة و الحديث عنه أكثر من مرة، في فصول ومحاور سابقة، و سنركز هنا على إسهاماته في الرفع من شأن الطريقة

1 - ليفي بوفانصال، مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلاوي، م.س، ص 139.

التجانية بكل الوسائل التي رأها ضرورية كمنح الإجازات، و تقويم الإنحرافات، و الرد على الأعداء، بواسطة رسائل و تأليف متعددة، وثقها بآيات و أحاديث من الكتاب و السنة لأفحام الخصم، ساعده على ذلك تكوينه العلمي المتين في الكثير من التخصصات. و يعود هذا التألق الذي ميز فقيهننا، في هذا الميدان، حسبما نعتقد إلى الجدية التي أخذ بها أمر انخراطه المتأخر في الطريقة التجانية و إلى حسن اعتقاده فيها، و كأنه يكفر عن الخطأ الذي ارتكبه بعدم أخذه مباشرة عن اشيخ التجاني و هو على قيد الحياة، باعتراف منه لأن الغرض حسب قوله حينئذ «كان مصروفاً لتحصيل العلم الشريف لا غير¹...» و لم يأخذ الطريقة إلا سنة 1238/1823، أي ثمان سنوات بعد وفاة سيدي احمد التجاني².

لا يسع المجال هنا لذكر كل ما أنتجه هذا الفقيه التجاني، و لذلك سنكتفي موقتا بالإشارة إلى بعض مؤلفاته المشهورة، و رسائله التي حاول من خلالها إما دحض مزاعم من يحاول الطعن في الطريقة، كما يتضح ذلك من الجواب المسكت، أو الدعوة إلى التمسك بأخلاق الرسول و السلف الصالح، و الالتزام بتعاليم الكتاب و السنة، سعياً منه لخلق مجتمع فاضل يعيد الاستقرار و الطمأنينة للبلاد التي عرفت أحداثاً مؤسفة في

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 331.

2 - نفسه.

عصره كما يعكس ذلك كتابه الجيش العرمرم الخماسي، رغم طابعه التاريخي أو لتوضيح بعض القضايا في تعاليم الطريقة التجانية، كما نقرأ ذلك في كتاب الحل الزنجفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية¹، وبعض مكاتباته مع الكثير ممن راسلهم. إن أشد كتب الفقيه أكنسوس دفاعاً عن التجانية هو الجواب المسكت في الرد على من تكلم عن التجاني بلا تثبت ومن خلاله يرد على أحمد البكاي القادري الطريقة بالسودان الغربي، الذي قال بلا مشروعية مشيخة سيدي أحمد التجاني، لأنه في اعتقاده شيخ معدوم و طريق غير معلوم إذ لا يعتبر شيخاً من لا شيخ له.

فكان رد محمد أكنسوس من خلال هذا الكتاب، هو رفض موقف البكاي جملة و تفصيلاً، و حتى لا نسهب في تفاصيل كل ما أورده في «الجواب المسكت» تاركين ذلك إلى حينه، نكتفي هنا ببسط بعض ما ورد فيه من ردود كقول أكنسوس: «سبحان الله سبحانه كيف يسلب العارف معرفته إذا أراد امتحانه، لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، وأما شيخنا رضي الله عنه فقد لقي الغفير من رجال الطريق بالمغرب و المشرق... و تلقى منهم الأسرار والأنوار... وبشروه بما يؤول إليه أمره و ما أراد به ربه

1 - محمد أكنسوس، الحل الزنجفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية دار الرشاد الحديثة -

من عظم الشأن و التوحيد في القطبانية¹...». كما أن النبي صلى الله عليه وسلم كفله، و علمه طريقة صوفية خاصة به، يضيف أكنسوس: «...و أما الإذن له في هداية الخلق إلى حضرة الحق فمن سيد الوجود...يقظة لا مناماً²...» إلى أن يقول: «...فأين قول من بلغكم رضي الله عنكم ان شيخنا ليس له شيخ و لا طريق³...»، خصوصاً و أن الشيخ التجاني في تقدير أكنسوس، تنحصر مهمة طريقته في التحلي بأخلاق الرسول صلى الله عليه و سلم، و محاولة السمو بالمجتمع عن طريق التربية الروحية إلى التمسك بهذه الأخلاق:

و هل ترك الانسان في الدين غاية

إذا قلـد النبي محمد⁴؟

بعد الاستشهاد بهذا البيت الشعري خلص فقيها أكنسوس إلى القول مخاطباً خصمه: «...فعلى كلّ حال، فهو قول بلا دليل و دعوى

1 - محمد أكنسوس. الجواب المسكت في الرد على من تكلم في طريق الإمام التجاني بلا

تثبت، م، س، ص 16-17.

2 - نفسه، ص 17.

3 - نفسه، ص 21.

4 - نفسه.

بلا حجة¹».

و عن سبب تحريره «للحلل الزنجفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية» يرى أكنسوس أن الفقيه العلامة أبا علي سيدي الحسن بن طيفور، لما طالع كتاب جواهر المعاني، صعب عليه فهم بعض المسائل فيه. فكتب إليه يطلب الجواب عما أشكل عنه، فكتب له الفقيه محمد أكنسوس، ما يزيل حيرته، معتمدا في ذلك على كلام «أركان الملة رضي الله عنهم²». فبنى تأليف هذا الكتاب الذي سماه «رسالة»، على مقدمة وعشرة تنبيهات، و ثلاثة مطالب، و كل مطلب اشتمل على عدة مباحث.

و من الجيش العرمرم نختار بعض ما يعتبر ذا طابع أخلاقي تربوي وإصلاحي من كلام الفقيه أكنسوس. فالاشتغال بالتاريخ في نظره لا يخلو من تصفية للنفس من أدراؤها لأن النفوس والأرواح لها بالأخبار السالفة انبساط وانشراح³. و هذا ما جعل في نظره فن التاريخ أطيب من زهر الشماريخ. كما ربط قيام التاريخ عند المسلمين بأصله الديني، فأورد قوله تعالى: ﴿و كلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت

1 - المصدر نفسه.

2 - محمد أكنسوس، الحلل الزنجفورية... م.س، مقدمة الكتاب.

3 - محمد أكنسوس، الجيش العرمرم الخماسي في دولة اولاد مولانا علي السجلماسي، تقديم و تحقيق أحد حفدته احمد بن يوسف الكنسوسي، مراکش 1994 - 1995، ص 5.

به فؤادك¹، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ
مَزْجِرٌ²﴾. كما ذكر بأن أول خلق الله سبحانه قبل كل شيء هو نور النبي
محمد صلى الله عليه وسلم، كما جاء في عدة أحاديث. ووعيا من
أكنسوس بالوضعية الصعبة التي كان يعيشها المغرب، من عدم استقرار
في عصره، فإنه أتى بعدد كبير من الحجج المبنية على الكتاب والسنة لحث
الرعية على أداء فروض الطاعة والامتثال للأمراء والحكام لما في ذلك من
مصلحة للبلاد والعباد كقوله:

- «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»³.

- في الجامع من حديث البيهقي عن أنس «إذا مررت ببلدة ليس فيها
سلطان فلا تدخلها إنما السلطان ظل الله في أرضه»⁴.

- اعلم أن السلطان به قيام الدين فلا ينبغي أن يستحقروا وإن كان
ظالما فاسقا⁵، إلى غير ذلك من الاستشهادات التي وثق بها كتابه، نظرا
لسعة أفقه الفكري.

1 - المصدر نفسه، ص 8.

2 - نفسه.

3 - نفسه، ص 25.

4 - نفسه.

5 - نفسه، ص 26.

كما نميل إلى الاعتقاد أن موقفه المعادي لأبي القاسم الزياتي، وإن كانت وراءه أسباب سياسية و مهنية و غيرها، يرجع بالدرجة الأولى إلى العداء الذي أظهره صراحة تجاه التصوف عامة و الشيخ سيدي احمد التجاني خاصة، يقول أكنسوس: «... و للزياني هنا كلام قبيح حملة عليه السفه الذي هو عادته فإنه بسط لسانه في ساداته و مواليه لمجرد الكذب و الفحش قبحه الله¹...» و في مكان آخر من الجيش يقول: «ثم تمادى هذا الجهول الزياتي على الفحش و التنقيص لعالم الدنيا و إمام الملة المحدث المفسر بحر العلوم المنقوله و المعقولة²...» و يتعلق الأمر هنا بموقف الزياتي السلبي من الفقيه حمدون بن الحاج الذي مدح في جوابه صاحب الدعوة الوهابية بالحجاز.

من جهة أخرى يبدو أن عطاء العلامة محمد أكنسوس، كفقيه في الطريقة التجانية ازداد بعد انسحابه من الحقل السياسي و تقدمه في السن و انزوائه في مراكش التي أسس بها الزاوية المنسوبة إليه بحومة المواسين. و كان الكثير من الأتباع من مختلف الأقاليم يشدون الرحال إلى مراكش للإلتقاء به و الأخذ عنه، و الحصول على الأجوبة التي كانت تراوهم أسئلتها، بفعل موقع مراكش المتوسط للمغرب، و بسبب علو

1 - المصدر نفسه، ص 276.

2 - نفسه، ص 289 - 290.

كعب هذا العالم الذي أصبح نظراؤه في ستينيات و سبعينيات القرن التاسع عشر يعدون على رؤوس الأصابع، لأن الأمل كان معقودا عليه في الحفاظ على هيبة الطريقة و سنيته، و يشهد على الدور الذي كان يلعبه في هذا الصدد إجاباته على الرسائل الموجهة إليه من قبل فقهاء آخرين في الطريقة، من ذلك ما أجاب به أحد السائلين الذي لم يذكر المصدر اسمه و لا بلده¹، فأفاده أن الإذن الذي تسأل عنه في ذكر الاسم الجامع، لم يكن الشيخ سيدي احمد التجاني يأذن فيه إلا لخاصة الخاصة من أصحابه ممن كانت لهم قدرة التجرد عن كل شيء بطريقة الخلوة، أما الجمهور وسائر الأتباع فكان يأذن لهم في طريقة السلامة و النجدة المضمونة، و هي كثرة السلام على النبي صلى الله عليه و سلم «والناس يقولون طريق السلامة و لو طالت، فهذا الباب هو الذي قسم لنا الدخول منه معشر التجانيين²...» .

و في رسالة جوابية له إلى محمد العربي بن السايح بتاريخ 24 ربيع الثاني عام 1277/ 1861، ينصحه فيها بقطع التعلق بكل شيء من الأدوية لأن الطبيب غير الله مفقود، و يوصيه بكتابة آيات الشفاء الستة مع إضافة يا من أظهر الجميل إلخ...، ثم يشرب محو ذلك و يدهن كل يوم مدة سبعة

1 - احمد سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، م.س، ج I، ص 111.

2 - نفسه، ص 111.

أيام أو أكثر¹. ولفقيها خطابات كثيرة تتعلق بأغراض متعددة لها علاقة بقضايا الطريقة التجانية².

ونقرأ أجوبة للفييه محمد أكنسوس إلفقيه الحاج الحسين الإفرائي المسؤول عن الطريقة في القطر السوسي و ما والاه جنوبا، انطلاقا من تزنييت كما علمنا، و إلفى الناسك أبي علي طيفور الذي يتحمل نفس المسؤولية بماسة و ما جاورهما على امتداد عدة صفحات من الجزء الثاني من رفع النقاب. وهذه الأجوبة تتعلق بأسئلة متعددة يدور موضوعها عموما حول طلب نسخة كتاب الرماح للحاج عمر الفوتي، وشرح جوهرة الكمال و الحصول على إذن في ذكر من الأذكار، أو الإعلان عن فشو بدعة من البدع، و في غضون الصفحات المشار إليها يجد القارئ مضمون أجوبة المفتي عن هذه الأسئلة³.

و لو تتبعنا آثار العلامة أكنسوس حول ما قدمه للطريقة من خدمات للحيلولة دون سقوطها في الابتذال، لتطلب ذلك مجلدات.

1 - المصدر نفسه، ص 116.

2 - نفسه، من ص 116 إلى 122.

3 - نفسه من ص 124 إلى 132.

- محمد العربي بن السايح¹ (ت 1309/1892):

الشرقي العمري نسبا التجاني مشربا، ولد بمكناسة الزيتون عام 1811/1229 ثم انتقل فيما بعد إلى الرباط، كان من العلماء العاملين والأولياء الكاملين. ورغم أنه لم يأخذ مباشرة عن الشيخ التجاني، ونظرا للفتح الكبير الذي ظهر عليه فقد سماه احمد سكيرج تجاوزا أحد خلفاء سيدي احمد التجاني، باعتبار تفانيه في ميدان التربية الروحية بالطريقة التجانية، إما بالدروس التي كان يعطيها مباشرة لمريدي الطريقة، أو إجاباته على المراسلات التي كانت تتوارد عليه، أو بنظم أشعار و تأليف كتب أشهرها بغية المستفيد لشرح منية المريد². و معلوم أن منية المريد التي قام بشرحها ابن السائح، هي منظومة من تأليف أبي العباس احمد المدعو التجاني بن العلامة بابا الشنجيطي العلوي. و تشتمل على ما يزيد عن أربعمائة بيت، تعرض فيها ناظمها لكل ما يتعلق بالطريقة التجانية، بداية بحياة الشيخ المؤسس، ورحلاته و أخذه عن شيوخه،

1 - احمد سكيركشف الحجاب، م.س، ص 313 إلى 322.

- احمد سكيرج رفع النقاب بعد كشف الحجاب، م.س، ج II، من ص 40 إلى 138. و هي صفحات ورد فيها ذكر لكثير من رسائل و إجابات محمد العربي بن السائح عن بعض الأسئلة، و على الخصوص ما جرى بينه و بين محمد أكنسوس من مراسلات حول قضايا فقهية تتعلق بالطريقة التجانية و نشر تعاليمها في كل أنحاء المغرب.

2 - سبق التعريف بهذا الكتاب.

و تلقيه أمر الرسول صلى الله عليه و سلم بتلقين الخلق أوراده، و هجرته إلى فاس، مروراً بأبرز الشيوخ الذين ناصروه و أخذوا عنه، ليتطرق في النهاية إلى ذكر فضائل الطريقة و محاسنها و أشياء أخرى. يقول مطلع هذه المنظومة بعد البسملة و الصلاة على النبي:

قال ابن بابا العلوي نسبه المغربي المالكي مذهبه¹
الحمد للجاعل الأولياء ورثة الكمل الأنبياء
و الجاعل النبي خير الأنبياء و شيخنا احمد خير الأولياء²

أما كتاب بغية المستفيد الذي ألفه ابن السائح لشرح هذه البغية فقد ابتدأه بمدخل من سبعة مطالب. المطلب الأول في بيان منشأ علوم الطريق... و الثاني في بعض ما يشير إلى حقيقة الأدب على جهة الإجمال، و الثالث في الإشارة إلى نبذة من آداب الحضرة العلية، في حين تناول المطلب الرابع بعض ما يختص بالمريد من آداب الصحبة و الأخوة، و المطلب الخامس لبيان فضيلة حسن الاستماع، و المطلب السادس تطرق لاختلاف أولياء الله تعالى في الطرق و المذاهب. أما المطلب السابع

1 - محمد العربي بن السائح، بغية المستفيد لشرح منية المريد، م.س، ص 98.

2 - نفسه، ص 102.

والأخير فبين فيه سبب تسمية هذه الطريقة السنية بالأحمدية والمحمدية والإبراهيمية الحنفية¹.

و ما من شك في أن التراث المكتوب الذي خلفه ابن السائح والمتعلق، بالطريقة التجانية، مهم لكنه غير منشور من جهة، ويوجد معظمه في خزانات خاصة. يؤكد هذا القول ما أورده أحمد سكيرج من أن تأليف هذا العلامة من كتب و تقايد و رسائل كثيرة و متعددة²، أما قصائده في الشعر الصوفي فيصعب حصر عددها، و نقدم فيما يلي بعض الأمثلة لذلك.

سكرت و لم يشعر صاحبي كلهم بأي شراب كان من دونهم سكري
و ما بشمول كان سكري وإنما شمائل محبوبي شمالي لو تدري³

و جاء في مطلع قصيدة أخرى له:

واصل شراب خليفة الأمجاد و اترك مقال أخي هوى و عناد

1 - المصدر نفسه ، ص 8 - 9.

2 - أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 314.

3 - نفسه، ص 314.

صفراء تصطبغ في الكؤوس كأنها شمس تبدت في ذرى الاطواد¹

و قال مستحضرا وجود الله و عظمة ملكه:

الله أكبر لا كبير سواه جلت محامده و عز ثناه
هادي العباد إلى سنا عرفانه لولا التفضل ما اهتدوا لسناه
ملك الملوك و حكمه في خلقه ماض فلا حكم يرى لسواه²

و ينسب لابن السائح أيضا تخميسه لقصيدة عنوانها: أبيات الأمان
في مدح سيدي بني عدنان من نظم العارف بالله الإمام
الخروبي الطرابلسي. و هذا مثال لذلك:

لئن ألفت بهذا العبد كربته و أرقته لما يلقاه غربته
فأنت مأوى الغريب أنت أسرته يا سيذا جعلت في الأرض تربته
مع أن رتبته في أعظم الرتب³

1 - المصدر نفسه، ص 314.

2 - نفسه، ص 315.

3 - نفسه، ص 317.

أو في الخلائق أنت أنت أجودهم و أنت أنت لدى الإلاه أحمدهم
فمن بقربك فاز فهو أسعدهم ليأمن الناس إذ فيهم محمدهم
من كل خسف و مكروه من النوب¹

و يذكر احمد سكيرج أن الإمام الخروبي الطرابلسي هو الذي قال في
حقه سيدي احمد التجاني: أنه كان قطبا و سأل النبي صلى الله عليه و سلم
الشفاعة في أهل عصره فقال له صلى الله عليه و سلم سبقك بها ولدي
محمد، يعني محمد بن عبد الله الشريف دفين وزان.
و قال ابن السايح محذرا المنتقد لأهل الله:

ألا لا تركنن أبدا لــــال لأهل الله ذي قيل و قال
وحاذر أن ترى ما دمت حيا بحي المنكرين أخا احتفال
و لا تأمنهم و الزم جفاهم و صارمهم على مر الليالي²

هذا هو موقف محمد العربي بن السايح من الطريقة التجانية من

1 - المصدر نفسه.

2 - نفسه، ص 316.

خلال بعض تراثه الفكري. و نشير بالمناسبة إلى أن مؤلف مجالس الانبساط بشرح تراجم العلماء و صلحاء الرباط¹، قد أورد مختارات من أشعاره و وصفه بفريد الزمان و حجة الاسلام، العلامة الصوفي المشارك.

و من أجل الاطلاع على المكانة التي كان يحتلها بين علماء عصره داخل الطريقة التجانية، و معرفة الاحترام الذي كانوا يكنونه له نظرا لتضلعه في فقه الطريقة، و اطلاعه على أسرارها، نقترح تقديم مقتطفات من بعض رسائل الفقيه محمد أكنسوس له. و أول ما يثير الانتباه فيها، التواضع الذي تعمد اظهاره هذا العلامة تجاه نظيره على عادة القمم في المعرفة، لأن ذلك يعتبر شيمة من شيم العلماء الحقيقيين، و نظرا لكثرة هذه الرسائل لا بأس من التعامل معها بواسطة جداول.

1 - محمد بن علي دنية، مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء و صلحاء الرباط، مطابع

الإتقان، الرباط 1986 ص: 221 إلى 229.

المرسل	المرسل إليه	المصدر	تاريخ الإرسال	مضمون الرسالة بشكل جد مختصر
محمد أكنسوس	محمد العربي ابن السايح	رفع النقاب ج 2 ص: 53-54.	بدون	قد كشف الله لكم عن ضعف أحوالنا، حتى رأيتم من يثير من قلوبكم الرحمة لنا والتعطف علينا بإخلاص دعواتكم من مولانا الكريم أن يرحم ضعفنا وذلنا ... آمين
محمد أكنسوس	محمد العربي ابن السايح	نفسه ج II ص 113 - 114	بدون	أسمى الله قدرك وأدام عزك ... أما بعد فلا زائد عما قدمنا لكم الإعلام به مما تجدد من الأحوال وكفاية الخبر في حامله. والمрад من سيادتكم إنما هو صرف عنان عنايتكم إلينا بإخلاص التوجيه في الدعاء الصالح لنا ولأولادنا ولأخواننا في الله... يسلم عليكم جميع الإخوان عموما وخصوصا عبيدكم ولدنا عبد الله... والسلام منا على=

جميع من قبلكم من الإخوان عموما و على ولديكم البركتين أصلحهما الله.				==
المقام الذي رفع الله في أسمى الجلال مناره وأوقد للمهتدين على علم الاشتهار ناره. ... رغبتنا ملحة في طلب صالح الدعوات منكم، و كان قد بلغنا فيما سلف مكتوبكم الكريم الواجب التعظيم، صحبة مكاتب سيدي محمد الحبيب ولد مولانا الوسيلة العظمى... فنحن و الحمد لله نحضر الوظيفة نحو الخمسين في غاية الإتقان ...	14 جمادى الثانية /1280 1864	نفس المصدر ج II، ص 114 - 115	محمد العربي ابن السايح	محمد أكنسوس

محمد أكنسوس	محمد العربي ابن السايح	رفع النقاب ج II ص 116- 117	بدون	...العلامة المرابط الأتقى ذو الخلق الأظهر الأنقى... أما بعد فقد بلغنا ما زادكم به المولى الرؤوف الرحيم مما هو تقريب لحضرته و ظهور. ... نسأله تعالى أن يجعل فرحنا بعافيتكم و أن يعاملنا بحلمه بعد عمله ... و أن يبعث إليك من حضرة جنابه و عطفه شفاء... فاقطع التعلق بالأدوية فإن الطبيب غير الله مفقود.
محمد أكنسوس	محمد العربي بن السائح	المصدر نفسه ص 117_118	24 ربيع II عام 1277. ==	... لا زال مجدك معول كل غاد و رائح و ولاؤك متجر كل رابح، سلام الله البر الرحيم على ذلك المقام العظيم ... موجب هذا الرقيم تجديد العهود المؤكدة واستمرار أمدادكم المعتمدة،

إخباركم أن حامله الرجل الصالح سيدي احمد بن عبد الله السوداني الفولاني المتجه لزيارة حضرة الختم الرباني، فإنه جهينة أخبار الإخوان الكرام الذين في بلاد ه... و السلام منا و من جميع الإخوان على سيادتكم معاد و على جميع الإخوان ... خصوصا سيدي العربي بن التاجر الأبر. سيدي الحسين و الفقيه سيدي محمد الزكي و التاجر البركة سيدي الحاج احمد التازي طالبين من الجميع صالح الدعاء.				==
مقام الفرد الجامع و النور اللامع ... مطلع أنوار المعارف الإلهية و منبع الأسرار الغير المتناهية ... أما بعد فقد بلغ كتابكم الشريف و أما السيد احمد بن المقدم ==	بدون	رفع النقاب ج II 118_119 120.	محمد العربي ابن السايح	محمد أكنسوس

فإلى الآن ما رأيناه لأنه في واد ونحن في واد وقد فرحنا بقدوم النجل الكريم نجل المقدم، البركة سيدي العربي بن الحفيان فيا لله عزته فقد لاحت عليه أنوار النجابة والحياء وما تجلى به الحق في هذه الحضرة ليلة اليوم قبل هذه أنه احترق فندق البارود المسمى بجامع الفنا. وظهر مسمى هذا الاسم. وذلك بين العشائين ونحن في قراءة الوظيفة بالزاوية المباركة الأحمدية فما راعنا إلا صعق كصعق القيامة، أذهل العقول وأجم الاسماع، وأطفأ المصابيح، وأهرق ما فيها، وزلزل الأرض والجدران والسقوف ... وظهر عندنا من فضل الله ودفاعه وحماية ألطافه لنا وللزاوية شيء عجيب ولا عجب بالنسبة لقدرة الله ... فالحمد لله على عنايته ولطفه.				==
---	--	--	--	----

مقام المجد الذي ظهر و أخجل الشمس نوره ... العارف بالله الصادق في التوجه إلى الله ... أما بعد فقد بلغنا كتابكم ... وقد فرحنا بقدومكم إلى رباط الفتح ... و كان الواجب انتهازه والبدار إليه قبل العتاب، ولكن لكل أجل كتاب ... والسلام على ابن عمكم الفقيه البركة المقدم سيدي محمد العربي ابن الحفيان، وعلى جميع الفقراء وأخص الأحباب ... ويسلم عليكم مولاي احمد السوارت والمقدم البركة السيد السعيد السوسي المسكيني، وهو الآن هنا جاء زائرا وقد حج بيت الله الحرام.	بدون	نفسه ص: 121 _ 122.	محمد العربي ابن السايح	محمد أكنسوس
---	------	-----------------------	---------------------------	----------------

محمد أكنسوس	محمد العربي ابن السايح	رفع النقاب ج II، ص: 122 _ 123 1863	6 صفر /1276	... المقام الذي أعلى الله مقامه على المقامات ... و بعد فإن حامله من أهل تشيت ذكر أنه من الفقراء و عنده بعض خبر المجاهد الفلاني و أما أصحابه الذين في رففته فلا شك أنهم كاذبون في الانتساب. و هذه عادة هؤلاء القوم لا يرد أحد منهم هذه البلدة إلا و تظاهر بأنه منا فيكشف الغيب بخلاف ذلك، حتى صرنا لا نثق بأهل زيهم أصلاً إلا بعد الامتحان و نريد سؤالك أيديك الله عن هذا الخبر الوارد قبيل هذه المدة من حضرة فاس بما ظهر في الروضة الشريفة و ضريح الشيخ رضي الله عنه من فيضان شبه الحليب الخالص حتى وقع الازدحام ==
----------------	---------------------------	--	----------------	---

الشديد على ذلك. وكتب بذلك من شاهد بنفسه وشرب منه، وتعدد الكتب بذاك من الإخوان... فإن بلغكم كما بلغنا فما عندكم في ذلك. ولا كلام في الإمكان وأهلية المقام وإنما الكلام في الوقوع، وأخاف أن يكون ذلك من الأوهام التي تقع كثيرا للعامة والله سبحانه أعلم...				==
سيدنا العلامة البركة في كل سكون و حركة ... قد وافانا مسطوركم الكريم مع فلان كما بلغنا أيضا كتب أخرى قد اقتضى العجز عن جوابها أن يترك لا أن يؤخر ... وما ذكرت سيدنا من السؤال عما ورد عن محمد ابن إسماعيل بن مسلم في ==	بدون.	كشف الحجاب ص: 328_327	محمد العربي أكنسوس ابن السايح	محمد أكنسوس

زيارة أعظم الوسائل، فوالله ما المسؤول عنها بأعلم من السائل... ... والله يديم لنا سعدكم في عز و سرور و السلام.				==
---	--	--	--	----

من خلال استهلالات هذه الرسائل، بعض ما جاء فيها، نلمس إذن التقدير الذي كان يحظى به ابن السائح لدى الفقيه محمد أكنسوس، لكن هذا لا يعني أن ابن السائح كان راضيا على تواضع أكنسوس تجاهه، ويبتهج له دون إظهار ما يكفي من رد التحية بأحسن منها، إذ تخبرنا المصادر بوجود خلوة في زاوية محمد أكنسوس بمراكش كان يقابل فيها بنفسه من أدخله فيها من خواص أحبابه¹. و ممن دخل إليها و اختلى بها و شملته عناية صاحبها، العلامة محمد العربي بن السائح. و هذا أكبر دليل على اعتراف هذا الأخير بمكانة أكنسوس المتميزة في الطريقة، و ثبوت البرهان على أن أهل الله الذين تحركهم نفس الأهداف، و هي إعلاء كلمة الله، و الذب عن سنة نبيه، وقاهم الله من نزعة الاستعلاء ومرض العجب، و قد أنشد أحد العلماء الذي لم يذكر أحمد سكيرج اسمه، مادحا

1 - أحمد سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، م.س، ج II، ص 138.

العربي ابن السايح من خلال ضريحه.

هذا ضريح السيد بن السائح ذي الفضل و النور المبين اللائح
هذا مقام العارف المولى أبي الفيض المقدس ذي الثناء الفائح
هذا ضريح ضم بحرا لم يزل يرمي بموج بالمعارف طافح¹

إن المتتبع لحياة محمد العربي بن السائح، و نشاطه الفكري و إنتاجه العلمي الذي وظفه لخير الطريقة التجانية، و التقدير الذي حظي به من قبل الخاص و العام، لا يستكثر ما ورد في كتاب مجالس الانبساط من تكريم له و عناية به بعد وفاته، من قبل إخوانه في الطريقة، كما يقول مؤلف هذا الكتاب: «... و دفن رحمه الله ببيت من روضه ثم ضربت عليه قبة بديعة مزخرفة مرونقة رفيعة، بناها السادات التجانيون مما جمعوا من الفتوحات، و في هذه الأيام الأخيرة بني بإيزائها، مسجد صغير من وصية كان أوصى بها لبنائه، الفقيه الأديب المرحوم السيد عبد القادر لبريس و تم بناؤه من الفتوحات²».

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 327.

2 - محمد بن علي دنية، مجالس الانبساط ...، م.س، ص 229.

ج - الحسين الأفراني السوسي¹:

رغم أننا تحدثنا عنه، و عرفنا به في مكان سابق، من هذا الفصل، فهو يفرض نفسه مرة أخرى في هذا المحور للدور الكبير الذي لعبه في الإنتاج الفكري والعلمي، ونشر الطريقة التجانية، في أقصى الجنوب المغربي المتاخم للصحراء، يشهد على ذلك مؤلفاته التي اخترنا التحدث هنا على واحد منها، يحمل عنوان الخواتم الذهبية في الأجوبة القشاشية². ثم مضمون المراسلات التي تمت بينه وبين الفقيه محمد أكنسوس، وكان هدفه من وراء هذه الكتابات هو تصحيح مسار تعاليم الطريقة، والرد على الخصوم، وتبسيط الأضواء على ما صعب على الناس فهمه أو رأوه بدعة في بعض التأليف التجانية، وفي هذا الصدد يقول الحسين الأفراني في مقدمة كتابه: «... أما بعد فهذه أجوبة عن مسائل وردت علينا من بعض الخاصة من الإخوان حملها حسن الظن الذي هو شعار أمثاله على ذلك وإن لم تكن

1 - محمد المختار السوسي، المعسول، مطبعة فضالة، المحمدية، 1960، ج IV ص 26

وما بعدها.

وتجدر الإشارة إلى أن المختار السوسي افرد حيزا هاما للتعريف بهذا العلامة السوسي وبفكره الثري، شريفة، وتصوفا وأدبا امتد على عشرات من الصفحات (من ص 26 إلى 82).

2 - الحاج الحسين الأفراني، الخواتم الذهبية في الأجوبة القشاشية، نسخة مخطوطة بمكتبة الباحث، من نسخ مولاي الحاج البشير بن العلامة سيدي مبارك التناني الرباطي، وكان الفراغ من نسخه حسب ما ذكر عصر يوم الثلاثاء جمادى الآخرة سنة 1993 موافق يونيو 1973.

أهلاً لذلك¹ ...».

و ارتباطاً بهذا النص، نقدم بعض النماذج من الأسئلة التي طرحت على المؤلف بدون أجوبتها لأن المكان لا يسمح بإيرادها هنا خوفاً من الطول و الملل، و الابتعاد عن صلب الموضوع، و من أراد معرفة الأجوبة فعليه بالرجوع لهذا المصدر. أول سؤال في هذا الكتاب يقول فيه صاحبه أنه وجد في إجازة له ما يفيد أن السيد محمد بن القاسم المكناسي (بصري)، أخذ عن سيدنا القطب المكنوم، و أنه أحد الأربعة المذكورين في الإجازة لولي الله الكبير سيدي محمد الغالي². ثم ورد من نفس الشخص لنفس المؤلف سؤال يتعلق بذكر الجمعة، هل شرط اتصاله بالغروب شرط كمال³ صحة أو شرط و من الأسئلة الأخرى التي طرحت عليه موقف الطريقة التجانية من السماع، و هل هو حلال أو حرام⁴، و كذا الصيد هل هو مكروه⁵، ثم الدخان هل هو محرم أو مباح⁶، و موقف تعاليم الطريقة الحقيقي من زيارة الأولياء، و من ختمية سيدي احمد التجاني،

1 - المصدر نفسه، ص 2.

2 - نفسه، ص 2.

3 - نفسه، ص 5.

4 - نفسه، ص 13-14-29-30-31.

5 - نفسه، ص 35 و ما بعدها.

6 - نفسه، ص 66 و ما بعدها.

و هل ما ذكر من ارتفاع الإذن عمن تخلف عن الوظيفة ثلاثة أيام خبر صحيح؟ كما أجب الأفراني عن مسائل تتعلق بسبب تسمية الطريقة التجانية محمديّة، و يكون هذه الطريقة ليس فيها تربية و لا إمام يقتدى به.

و تتجلى أهمية هذا الكتاب ليس في ردود صاحبه على هذه الأسئلة وغيرها و لكن في كثرة المصادر التي وظفها لإنجاز عمله، و في الإفادات التي أوردها حول أهمية حضور الطريقة في الإقليم السوسي، و تأثير شيوخ المنطقة الشمالية فيه، و تسجيل نوع من الابتعاد عن المسار الصحيح لتعاليم الطريقة كما يتضح ذلك من جواب الأفراني إلى سائله: «... و لا أخاف على هذا الذي افتات على سيدنا (ر) في نهى أصحابه عما ندبهم إليه ندبا مؤكدا إلا أن يلحق بالمبتدعة الذين ظهروا بمصر أثناء هذا الزمان للقرن الثالث عشر، و زعموا أنهم يأخذون الأحكام من الكتاب و السنة و سمو أنفسهم السنية و الأحمديّة كما سما نفسه المقدم مع مخالفته لما انتمى إليه، ينهي أصحابه عما فيه نفعهم و جلب لنفسه مالا مزيد عليه من الهلاك¹...».

إن عمل مثل هذا المقدم يضيف الأفراني، مخالف لما أوصى به سيدي احمد التجاني، و بذلك فهو يشوش على الفقراء والمريدين الذين وجدوا

1 - نفسه، ص 41.

أنفسهم مضطرين إلى البحث عن يرد هذا المقدم إلى الصواب، مع توعية الناس الذين سارا في خطه بحقيقة الأمر¹.

إن مثل هذا الشيخ في نظر الأفراني منسلخ عن التقديم، ويستحق السلب بعد العطاء إن لم يتب من البدعة المخالفة لمذهب سيدي احمد التجاني، ومذهب أركان طريقته كالإمام محمد الكنسوسي، والخليفة الأعظم محمد العربي بن السائح اللذين «طلبنا منهما الإذن في ذلك ... وجميع المقدمين بسوس الأقصى، إنما نالوا التقديم منهما أو غالبهم، ونعلم من حال ذلك المقدم وأتباعه في ذلك أنهم انقادوا لوساوسهم وعولوا على هواجسهم، حتى نبذوا بعض ما أمر سيدنا (ر) بملازمته وصاروا في ريبهم يترددون ويزعم هو أي المقدم أنه تجاني مع هذه المخالفة الفاضحة لأمره²...».

و بعد هذه الإدانة الواضحة، وإظهاره عدم استعداداته للتهاون في ردع كل ما من شأنه أن يحيد بالطريقة عن نهجها الصحيح، دعا بالهداية للجميع، سواء لا الرحمان ذا الجلال أن ينقذ الكل من الأحوال وأن يرد للهدى من ضل وأخطأ السبيل و اضمحل حتى يرى من جملة الإخوان في

1 - المصدر نفسه.

2 - نفسه، ص 42.

منهج التحقيق و الإلتقان الذي هو مذهب الشيخ المؤسس.
أما بخصوص مراسلات الحسين الأفراني مع الفقيه محمد
أكنسوس، فإننا نتوفر على أجوبة هذا الأخير له فقط، و من خلالها يمكن
معرفة نوع مطالبه و أسئلته له. و هذا جدول يوضح ذلك.

المرسل	المرسل إليه	المصدر	تاريخ الإرسال	مضمون الرسالة بشكل جد مختصر
محمد أكنسوس	الحسن الإفراني السوسي	رفع النقاب ج II، ص 123	15 رمضان 1875 / 1292	...بدر السعادة اللائح من مشارق الهدى...إمام البلاد الساحلية... بلغنا كتابك الأعز و خطابك الأوجز و علمنا ما تعلق به المرغوب...هذا و ما ذكرت من الإذن العام في الأذكار و التقربات الواردة عن مولانا قدوة المقتدين...فهانحن بحول الله قد أذنا لك في كل ما أفاضته علينا عنايته و تحققت لنا عنه روايته جملة و تفصيلا...
محمد أكنسوس.	الحسين الإفراني السوسي	المصدر نفسه ص 127.	بدون.	يقول له كاتبه العبد الضعيف محمد بن أكنسوس...أنه هو==

الذي أمر كتابة هذا الكتاب حول له لأجل الضعف الذي اعتراه في بصره... وأنه لما كتبه الكاتب قرأه عليه حرفا حرفا و ذلك كله من إملائي عليه... اعلم يا أخي أن الله تبارك و تعالى قد أقام منك نائبا عن الحق في ذلك القطر السعيد... فاجمع أمرك... في الدلالة على الله ما أمكنك مع مراعاة مراد مولانا جل و علا في هذا الزمان و أهله ، من غير إظهار كراهة شيء من أحوالهم ، بل لابد من مساعدتهم في الظاهر و إلا عرض الإنسان نفسه للفتن... و المدار على ما في الحكمة العطائية هو ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره الله تعالى فيه...				
---	--	--	--	--

محمد أكنسوس	الحسين الإفراني السوسي.	رفع النقاب ج II ص 127- 128-129. 130-131.	14 رجب 1289. ...بلغنا كتابك و ما وجهت معه من الهدية المقبولة إن شاء الله تعالى...و علمنا ما ذكرت من خبر الفقراء أهل الفحص... فاعلم أن من اشتغل بإظهار التخضع بمجرد الذكر و يشطح بلا وجدان كمن وصفت فإن هذا قد ابتلي به الناس لا سيما أهل بلادكم... وقد كان السيد عبد الله بن محمد يذكر ذلك عن بعض أصحابه، وكنا نهيناه ونهيانهم عن ذلك... و يجب أن لا يتشوف العامة إلى حال الخاصة فإن مقامك حيث أقامك.
----------------	-------------------------------	---	--

هذه هي بعض المعلومات التي تكشف عنها هذه الرسائل ، بخصوص
حالة الطريقة في سوس، و مطالب الفقيه الإفراني من شيخه محمد

أكنسوس بمراكش. و نظرا للمستوى الطيب الذي ظهر به الإفراني في تأطيره للمريدين بسوس و ما خلفها جنوبا، فإن الفقيه محمد أكنسوس زكاه في هذه الوضعية و أخبره أن الله تبارك و تعالى قد جعل منه نائبا عن الحق في ذلك الصعيد، بشرط أن يجمع أمره و يحتزم بحيزام العزم في الدلالة على الله ما أمكنه. و لعل هذه الثقة و ذلك التكليف هو الذي جعل الإفراني يشد الرحال إلى مراكش للحصول على إجازة من الشيخ أكنسوس و إذن بالتقديم. و هي الإجازة التي تحمل تاريخ 24 شوال 1292/1875.

و فيها يقول صاحبها و مانحها بعد البسملة و الصلاة على الرسول صلى الله عليه و سلم : «...ورد علينا في أواسط رمضان عام اثنين وتسعين و مائتين و ألف أخونا في الله تعالى الفقيه البركة المقدم أبو علي الحاج الحسين بن الحاج أحمد الإفراني حفظ الله علاه...فرغب منا أن نأذن له في تقديم ما طلب من التقديم في طريقة شيخنا... أبي العباس مولاي أحمد التجاني، رضي الله عنه و أرضاه، و أن نذكر له سندننا في ذلك فأجبنا رغبته و أنلناه بغيته¹...» إلى أن يقول : «...وقد أجزنا الفقيه المذكور في جميع ما لدينا بأسانيدنا

1 - أحمد سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، م.س.ج II ص 125-126.

إلى شيخنا المذكور، مما ثبت عندنا عن سيدنا الشيخ رضي الله عنه، مما هو مذكور في الجواهر وغيرها وجعلنا له أن يقدم من طلب منه ذلك بعد المبالغة في الإختبار، ولا يكتفي في ذلك بمجرد الإخبار، فإن هذا الزمان...كثر فيه التدليس والإغترار¹...».

نكتفي بهذا القدر مما ورد في هذه الوثيقة، ونحيل المهتم على مصدرها لمراجعة ما تبقى منها. وما يهمنا منها قد أوردناه، وهو حصول الإفراني على إجازة الأوراد والتقديم بعد زيارته لشيخه بمراكش، واقتناعنا تبعاً لما عرضناه من معلومات حوله بأهمية مكانته في بلاد سوس، كعلم من أعلام الطريقة هناك.

د - الحسين بن طيفور :

كل ما نعلمه عن هذا الفقيه، هو ما اقتبسناه من كتابي الحل الزنجفورية و الجزء الثاني من رفع النقاب، وهذه المعلومات على قلتها تجعل القارئ يتكون لديه انطباع بأن هذا الفقيه كان أحد أطر الطريقة التجانية بماسة وما والاها ولم يكن يتردد في طلب توضيح ما استشكل عليه ممن هم أكثر منه معرفة من الشيوخ، كما فعل عندما قرأ كتاب جواهر المعاني، وراسل الفقيه أكنسوس يسأله عن بعض القضايا فيه، فأجابه

1 - المصدر نفسه.

هذا الأخير بواسطة رسالة مسهبة شكلت كتابا حمل عنوان : «الحل الزنجفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية»، الذي سبقت الإشارة إليه. وفي الربع الثاني من رفع النقاب، نقف على رسالة غير مؤرخة من محمد أكنسوس إلى ابن طيفور، يجيبه من خلالها على كثير من القضايا، مما يبعث على الاعتقاد أن شيخ ماسة هذا كان يعمل بصدق وإخلاص في خدمة الطريقة لضمان ترقيه في مقامات السلوك من جهة، و ليتأتى له توجيه وإرشاد فقراء ومريدي المنطقة دون أخطاء أو تأويلات تحيد بصاحبها عن روح تعاليم شيخ الطريقة¹.

و علاوة على ما تفيدنا به هذه الرسالة بما لابن طيفور من قيمة علمية، إذ يخاطبه صاحبها بالعلامة الجليل الأوحـد، النزيه الأصيل النحرير الناسك، و من كون الإتصال كان مستمرا بين الطرفين رغم بعد المسافة بين ماسة و مراكش، فإن عناصرها الأخرى متنوعة و مفيدة، فهو أولا يخبر ابن طيفور أنه توصل برسالة منه على يد طالب من أهل ماسة، لكن ذلك الطالب لم يره أكنسوس مرة ثانية، و كان أوصاه بأن يخبره في الوقت المناسب، إذا ظهر من يريد السفر إلى تلك البلاد (ماسة) لكتابة الجواب لمراسله، وهذا هو سبب تأخر مراسلتكم يقول أكنسوس حتى «أتى الله بهذا الحامل الذي أنعش منا بنوافح أخباركم العطرة كل حاسة

1 - المصدر نفسه، ص 132.

و أكتب لكم تبركا بالمكتوب كما في الحلية في آخرها في ترجمة علي بن سهل¹...». ثم يذكر بعد ذلك بأن من مقتضى عقد الأخوة في الله أمرين أكيدين الدعاء في ظهر الغيب و المناصحة، فيقول له: «أما الذي لنا عليك فنسأل الله الذي من علينا بولائكم أن لا يحرمننا بركة ذلك من عنايتكم، فإننا محتاجون أشد الإحتياج لذلك... وأما الذي لكم منا فإننا ملتزمون بعون الله أن نجعلكم في جماعة من ندعو لهم بالمغفرة و السعادة في الدارين²...» لكن أهم مطالب ابن طيفور من الفقيه أكنسوس تتجلى في رغبته في الحصول منه على الإذن العام في الأوراد و التقليل. و قد تحقق له هذا الهدف، و هو ما نقرأه في نفس الرسالة على لسان الشيخ «... نأذنكم كما طلبتم منا في وسيلة شيخنا خاتم الولاية المحمدية أبي العباس التجاني رضي الله عنه، و نأذنك إذنا عاما أن تلقن كل من طلب ذلك منك من رجال و نساء و كبار و صغار على أية حال كانوا بعد قبول شروط أربعة³...».

1 - المصدر نفسه، ص 132.

2 - نفسه، ص 133.

3 - الشروط الأربعة هي للتذكير مرة أخرى:

1) - المحافظة على أداء الصلوات الخمس المفروضة في الجماعة ما أمكن.

2) - عدم زيارة أحد من الأولياء الأحياء و الأموات زيارة الإستمداد. = =

و يبدو من خلال نفس الرسالة أن ابن طيفور كانت له أوراد أخرى، فإذا أخذ ورد الشيخ التجاني، هل يمكن له أن يذكر بها جميعا. فكان جواب أكنسوس عن ذلك بالنفي باعتبار أن من كان عنده رود من أوراد الأشياء لا يأخذ الورد التجاني.

و ما يلفت النظر في هذه الرسالة أيضا هو طموح ابن طيفور المتزايد في معرفة أسرار الطريقة : تقول الرسالة على لسان أكنسوس : «...و ما طلبت من الفرق بين أسماء التخلق و التصوف و التعلق والحاجة و الترفق فاعلم أن الأول و الثاني من قبيل واحد والباقي من قبيل واحد، فإن الأسماء كلها إما للتعلق و إما للتحقق، و بسط ذلك يستدعي كلاما طويلا جدا¹...».

هذه هي شخصية ابن طيفور من خلال المصدرين المذكورين اللذين ساعدانا على تسليط بعض الضوء على شخصيته و على الدور الذي كان يلعبه في نشر الطريقة التجانية و الدفاع عنها ضد كل نزوع إلى الإنحراف.

= 3) - من كان عنده ورد من أوراد أحد الشيوخ لا يأخذ هذا الورد حتى يترك ما كان

عنده و من ترك وردا فأخذ هذا الورد فهو امن.

4) - من أخذ هذا الورد لا يأخذ وردا آخر عليه و إلا لحقه الضرر في الدنيا و الدين.

1 - المصدر نفسه، ص 134.

هـ - أحمد بن العياشي سكيرج (1295-1363/

1878-1944)¹ :

هذا الفقيه غني عن التعريف بما خلفه من مؤلفات سواء منها الخاصة بفقه الطريقة التجانية أو الدفاع عن شيخها وتعاليمها، مستعملاً في ذلك كل ما يلزم من حجج استقاهها من القرآن الكريم و السنة النبوية، فكان خير ختام لصفوة من أعمدة الطريقة التجانية الذين بذلوا كل ما في وسعهم لملأ فيه خيرها خلال القرن 19 و بعده. هذه التأليف المتنوعة التي تحمل اسمه حصرها عبد العزيز التسماني خلوq في مائة و عشرين كتاباً ما بين منشور و مخطوط². و مما لا شك فيه أن رصيده من المؤلفات يفوق هذا العدد، لما عرف عنه من كفاءة عالية و قدرة خارقة على الكتابة و التأليف، ولما يحتمل أن يكون له من كتب و مخطوطات متفرقة بين مختلف أفراد عائلته، ممن لا يودون التفريط في هذه الكنوز، و لا يرغبون في انتقالها لأطراف أخرى. و معظم هذه الكتب يعكس اهتمام المؤلف بالتصوف عامة و التجانية خاصة. و فيما يلي نقدم عناوين بعض هذه

1 - أحمد سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، م.س، ج 3. و هو الكتاب الذي يوجد به تعريف موجز بالفقيه التجاني أحمد سكيرج في الورقات الأولى منه، بقلم شيخه الفقيه العلامة إدريس العراقي الذي لا زال على قيد الحياة إلى اليوم.

2 - عبد العزيز التسماني خلوq، حياة أحمد سكيرج و آثاره (1878-1944)، مجلة دار

النيابة، عدد 9، شتاء 1986، ص 49 إلى ص 57.

الكتب مرتبة حسب التخصص.

- كتب خاصة بالطريقة التجانية :

1 - كشف الحجاب، عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب (منشور).

2 - رفع النقاب بعد كشف الحجاب، عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، في أربعة أجزاء، (منشور).

3 - الكوكب الوهاج لتوضيح المنهاج في شرح درة التاج أو عجالة المحتاج في فقه الطريقة التجانية (منشور بتونس).

4 - تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طول الزمان، ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيف ما كان (منشور بتونس).

5 - مطالع الأسرار لمدارك الأحرار، في شرح صلاة الفاتح لما أغلق بالحروف المهملة، (مطبوع على الحجر بفاس).

6 - النفحات الربانية في الأمداح التجانية، وهي قصائد في مدح سيدي أحمد التجاني، مرتبة على حروف المعجم، طبع على الحجر بفاس عام 1333.

7 - اليواقيت الأحمديّة العرفانية، واللطائف الربانية، في الأجوبة عن بعض الأسئلة في الطريقة التجانية، وهي من إملاء المؤلف على السيد مغارة التطواني، طبع على الحجر بفاس عام 1333.

- 8 - سبيل الرشاد في المحاورة بين ذوي الإنتقاد و الإعتقاد طبع
بالمطبعة الجديدة بفاس عام 1358.
- 9 - السر الرباني، في رد ترهات ابن مايابا العاني، التي تبجح بها
في تأليفه مشتهى الخارف الجاني، طبع بالطبعة العربية بالدار البيضاء.
- 10 - الشطحات السكيرجية. طبع بالقاهرة عام 1352.
- 11 - النفحة العنبرية في الأجوبة السكيرجية. طبع بالقاهرة عام
1352.
- 12 - نيل الأماني في الطب الروحاني و الجثمانى المروي عن
الشيخ التجاني، في جزئين، (مخطوط).
- 13 - الفيوضات العرفانية في الرد على الإفريقي مؤلف الأنوار
الرحمانية، وهي رسالة في الدفاع عن الطريقة التجانية (غير منشور).
- 14 - نهج الهداية في معنى الختمية التي تظاهر بها التجاني.
- 15 - جناية المنتسب العاني، بما نسب بالكذب للشيخ التجاني،
(جزآن).
- 16 - تيجان الغواني، في شرح جواهر المعاني.
- 17 - القطوف الدانية، بشرح الجامعة العرفانية والجامعة العرفانية
رجز للمولى عبد الحفيظ سلطان المغرب سابقا، في شروط و جل فضائل
أهل الطريقة التجانية نظمها، رحمه الله بغرناطة عام 1340 / 1922. طبعت
بتونس عام 1349 / 1930 في 44 ص.

- 18 - يواقيت المعاني في مذهب الشيخ التجاني. يشتمل على ما يقرب من 500 ص.
- 19 - الجواهر المنظوم، من كلام القطب المكتوم، مرتب على حروف المعجم، كتبه سنة 1328.
- 20 - حياة القلب الفاني بمدح القطب التجاني، مخطوط.
- 21 - البدر المنير في الطب التجاني المرفوع لمولانا الكبير، مخطوط.
- 22 - الحق المبين، في انتصار التجانيين على علماء القرويين. وهو تأليف أراد به الدفاع عن الفقيه النظيفي، الذي أفتى فيه علماء القرويين بحرق كتبه التي ذكر في بعضها، أن صلاة الفاتح، من كلام الله القديم، وأنها أفضل الأذكار. كان هذا عام 1343/1925، بأمر من المراجع العليا إلى رئيس المجلس العلمي بفاس. يحتوي على الفتوى المذكورة، والمقدمة و قليل من الكتابة. ثم اشتغل عنه بالكتابة في غيره، مخطوط.

كتب خاصة بالأمداح النبوية و التصوف :

- 1 - السحر الحلال في مدح سيد الرجال، طبع بالمطبعة الحجرية بفاس.
- 2 - ضوء الظلام في مدح خير الأنام، طبع بالمطبعة الحجرية بفاس.
- 3 - كمال الفرخ و السرور بمولد مظهر النور، طبع بالمطبعة

الحجرية بفاس سنة 1333.

4 - تخميس البردة، المسمى بالوردة، طبع بالمطبعة الحجرية بفاس.

5 - الأدلة المقنعة في شرح المنفرجة، وهي شرح للخليفة الحاج محمد انياس السنغالي الكولخي على منفرجة الشيخ سكيرج، القاهرة 1933/1351.

6 - بستان المعارف فيما أورده الوارد من اللطائف، عند بعض المواقف، وهو تدبير في بعض الآيات القرآنية، مخطوط.

7 - الذخيرة للآخرة. ديوان قصائد تقرب من السبعين في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم أبياتها تتجاوز الألفين نظمها في سنة 1339-1340، مخطوط.

8 - شراب المدام بتخميس أبيات رأيته في المنام.

9 - الحوض المورود في مدح سيد الوجود.

10 - فتح الباري بشرح الحكم بالذاكرة مع عمي الحاج الزكاري وهو شرح للحكم العطائية بالذاكرة مع باشا طنجة إن ذاك الحاج محمد الزكاري.

كتب في السيرة الذاتية للمؤلف :

1 - حديقة أنسي في التعريف بنفسي . كتب هذه الرسالة بالجديدة

حين كان متوليا خطة القضاء بها. و عمره آنذاك خمسون سنة، و ذلك سنة .
1345.

2 - الغنية الباردة بترجمة سيدنا الوالد مع سيدتنا الوالدة. ترجم فيها
لوالديه. و تحتوي على قصائد في رثائهما.

3 - النتائج اليومية في السوائح الفكرية، و هي مذكرات نحو
الشهرين.

4 - إيقاظ القرائح لتقييد السوانح، و هي مذكرات نحو الأربعة أشهر.
كتب في الرحلات :

1 - الرحلة الحبيبة الوهرانية، الجامعة للطائف العرفانية. طبعت
بخط المؤلف بالمطبعة الحجرية بفاس سنة 1329.

2 - تاج الرؤوس بالتفسيح في نواحي سوس، و هي رحلة منظومة.
طبع بالمطبعة الجديدة بفاس.

3 - ذكرى زيارة سيدي احمد سكيرج للقطر المصري 1352/
1933، في طريقه إلى المدينة المنورة، طبع بالقاهرة.

4 - الرحلة الزيدانية، و هي رحلة إلى مكناس باستدعاء من النقيب
مولاي عبد الرحمان بن زيدان سنة 1326 / 1908 (لم تطبع).

5 - البعثة الملكية. و هي رحلته إلى الحجاز سنة 1334 / 1916
مبعوثا من جلالة السلطان مولاي يوسف لدى شريف مكة حسين في نحو
220 ص (لم تطبع).

6 - الرحلة لتدشين مسجد باريس سنة 1926. وهي قصيدة على نسق شمقمقية ابن الونان. ذكر فيها بعض من رافقه من ولاية و أعيان الجديدة.

7 - غاية المقصود بالرحلة مع سيدي مسعود. وهي رحلته التي كان رافق فيها سيدي محمود بن سيدي الحبيب ابن الشيخ سيدي أحمد التجاني إلى أن وصل إلى الرباط، و ذلك سنة 1329.

كتب في النحو :

- 1 - الجوهر المنظوم في ختم مقدمة ابن أجروم أكملها يوم الخميس 13 رمضان عام 1321/1903.
- 2 - القول المفهوم في ختم ابن أجروم.
- 3 - الأجوبة المرضية عن الألغاز النحوية، وهي نونية أجاب بها عن ألغاز أبي سعيد فرج بن الثعلبي.

كتب في علوم إسلامية مختلفة :

- 1 - نفع العموم بالمسامرة ببعض العلوم ، وهي منظومة تكلم فيها على عدة علوم طبعت بتونس سنة 1336/1918.
- 2 - منهل الورود الصافي، و الهدي من فتح الكافي، في شرح الشافي، في علوم العروض والقوافي، و هو شرح أرجوزة الشافي

لناظمها الأديب محمد بن الطيب سكيرج كاتب السلطان سيدي محمد بن عبد الله. و قد ذكر بخط يده أنه نظمها سنة 1176 / 1763 و عدد أبياتها 290. أما الشرح فقد كتبه أحمد سكيرج سنة 1321 / 1903. لم يطبع.

3 - الذهب الخالص في محاذاة كبرى الخصائص. و هو نظم الخصائص الكبرى للحافظ جلال الدين السيوطي عبد الرحمان.
4 - الوصية الشافية، و هي منظومة طويلة في الحكم و العلوم، قالها بعد شفائه من مرض ألزمه الفراش نحو ثلاثة أشهر، يقول في مطلعها بعد المقدمة :

الناس ما فيهم ثقة و لا لديهم من مقّة.

5 - الفتح المبين في ختم المرشد المعين.
6 - حسن الوسائل ، في الأجوبة على بعض النوازل. و هو كناش كبير، جمع فيه البعض من فتاويه الفقهية. و لا يزال كثير منها متفرقا في دفاتر و أوراق مختلفة.
7 - شفاء الأحزان من حيث الراحمون يرحمهم الرحمان. هذا التأليف تكلم فيه على عدد من العلوم (لم يتمه).

كتب في التاريخ و الأدب :

1 - الظل الوريف في محاربة الريف. و هي أخبار الحرب الريفية

أملاها عليه السيد محمد أزرقان عند نفيه إلى الجديدة في نحو 80 ص ، لم يطبع.

2 - نيل الأرب في أدب العرب . مسامرة ألقاها بالمدرسة العليا بالرباط عند افتتاح نادي المسامرات ، طبعت بمطبعة النهضة بتونس سنة 1922/1341.

3 - أسنى المطالب فيما يعتني به الطالب ، وهو كناش جمع فيه بعض الفوائد.

4 - الدر الثمين ، من فوائد الأديب بلامينو الأمين.

هذه باختصار هي أهم الكتب التي أنتجها الفقيه التجاني الطريقة أحمد سكيرج ، وقد سمحت لنا بمعرفة علو كعبه في علوم متعددة وخاصة في التصوف الإسلامي عموما و الطريقة التجانية خاصة. ورغم مشاغله مع المخزن بحكم الوظائف التي كانت تسند له ، فإنه استمات وأظهر طاقة غير عادية ، ساعدته على تخطي كل الصعاب التي كان من شأنها أن تعرقل عمله الفكري. وبإلقاء نظرة سريعة على مراحل نشأته ودراسته وتقلبه في مختلف المهام¹ ، يتضح لنا أن عمره لم يعرف فترات فراغ. فبعد ولادته بفاس وحفظه القرآن دخل إلى جامعة القرويين سنة 1892/1309 وأخذ

1 - إنظر التعريف به في الجزء الثالث من رفع النقاب بقلم العلامة سيدي إدريس العراقي ، كما أسلفنا.

العلم على عدة شيوخ، أتى على ذكر أسمائهم في كتاب له يحمل عنوان :
قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ. و عندما تطلع في مختلف العلوم
أجازه أساتذته فيها. و في سنة 1318 / 1901 صار مدرسا و تخرج على
يده عدد كبير من العلماء. تولى النظارة و القضاء في عدة مدن آخرها
مدينة سطات التي تولى القضاء بها سنة 1347 / 1929. و بقي بهذا
المنصب إلى أن لقي ربه. حج بيت الله الحرام سنة 1334 / 1916، و زار
في طريقه عددا كثيرا من البلدان و المدن، التقى فيها بشخصيات مرموقة
في الفكر.

أما الطريقة التجانية التي انخرط فيها و أحبها و دافع عنها و بذل
عصارة فكره و عمره من أجل أن تبقى سنية نقية حصينة منيعة، رغم كيد
الكائدين، فقد أخذها على يد كثير من الشيوخ و العلماء و المقدمين ،
كالعارف بالله محمد العبدلاوي الذي أجازه فيها الإجازة العامة، كما حصل
على إجازة محمد بن العربي العلوي الزرهوني و المقدم الطيب بن أحمد
السفياني ، و سيدي محمد الكبير بن سيدي محمد البشير التجاني و أخيه
سيدي محمد بن سيدي محمد البشير التجاني، و خاتمة المحققين سيدي
الحاج محمد بن عبد السلام كنون.

و يضيف العلامة مولاي إدريس العراقي الحسيني الذي أفادنا بهذه
الترجمة، في مستهل الجزء الثالث من رفع النقاب ، أن مؤلفات أحمد
سكيرج في مختلف العلوم الظاهرة و الباطنة جاوزت مائة و عشرين طبع

منها أكثر من أربعين، و توفي أحمد سكيرج يوم السبت 23 شعبان عام 1363/ 1944 بمراكش و دفن بضريح القاضي عياض¹.

في نهاية هذا الفصل نخلص إلى القول بأن انتشار الطريقة التجانية في كل أنحاء المغرب انطلاقاً من مدينة فاس قد تم جزء كبير منه في عهد الشيخ المؤسس سيدي أحمد التجاني . و قد حاولنا إبراز مظاهر ذلك الإنتشار على قدر ما أسعفتنا به المصادر التي أطلعنا عليها. و يرجع الفضل في ذلك لفئة مخلص من أصحاب الشيخ و خاصته من الفقهاء والعلماء الذين ناصروه ووقفوا إلى جانبه، منهم من ضحى بماله ووقته وراحته، فاستحقوا منه بذلك كل الرضى و أحبهم حبا دفعهم بقوة في طريق السلوك إلى الله، فنالوا المراتب العليا جزاء لهم على ما قاموا به، وتوزعوا بين خلفاء و مقدمين في الطريقة يبتون إشعاع تعاليم شيخهم أينما حلوا و ارتحلوا. ولم يختف ذلك الجيل الأول من حواربي الطريقة الذين أخذوا مباشرة عن الشيخ المؤسس، قبل أن يسلموا أمانة التبليغ وأسرار الطريقة للجيل الثاني الذي لم يأخذ عن الشيخ التجاني خلال حياته فبلغوا الأمانة بدورهم وعملوا على توسيع دائرة إشعاع الطريقة في كل أصقاع المغرب حتى حدود ما وراء نهر درعة و سمارة، و من المحيط الأطلسي إلى جنوب الأطلس الصحراوي بالمغرب الأوسط.

1 - هذه المعلومات مستقاة في معظمها من التعريف الذي قدمه سيدي إدريس العراقي بالمؤلف، في بداية الجزء الثالث من رفع النقاب . كما تقدم.

وقد تواصل عمل نشر الطريقة التجانية بالمغرب بشكل فعال طيلة القرن 19، بداية من عمل الشيخ المؤسس نفسه منذ حلوله بفاس، و عمل الجيل الأول من الذين أخذوا عنه مباشرة، ليستمر مع الجيل الثاني حتى نهاية القرن، في ظروف جديدة تميزت ببروز المذاهب العقلانية المرافقة للتقدم العلمي، وظهور الطباعة بالمغرب، فترتب عن هذه المستجدات، ظهور بعض التيارات من العلماء و المثقفين بالمغرب تدعو إلى الإنفتاح على الغرب. و التخلي عن الفكر الغيبي الخرافي، في تصورها و ترك الحرية للفرد في أعمال عقله من أجل النقد و الإبداع و الابتكار.

هذا النزوع إلى انتقاد كل ما لا يقبله العقل، جعل الفكر الطرقي يصطدم بشيء من المعارضة من قبل الخصوم و حتى الأنصار أحيانا، فتطلب الأمر من فقهاء الطريقة التجانية اللجوء إلى الكتابة و التأليف لإثبات مشروعية طريقتهم و البرهنة على توافقها مع تعاليم الكتاب و السنة، وهذا ما يفسر كثرة التأليف التجانية طيلة القرن 19، و خصوصا النصف الثاني منه إلى منتصف القرن العشرين كما سنعرض لذلك في فصل لاحق.

هناك شخصيات بارزة أخرى لم تدخر جهدا في المنافحة عن التجانية بكل الوسائل خصوصا تأليف الكتب أمثال محمد الحجوجي (ت1370/1951)، صاحب كتاب إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجالات الطريقة التجانية، و محمد النظيفي السوسي (ت1367/1948) مؤلف كتاب الياقوتة الفريدة في الطريقة التجانية. ثم كتاب الدرة

الذي يشرحها، والأحسن بن محمد البعقلي صاحب الرسائل و الإجازات
الكثيرة في الطريقة التجانية، و غير هذه المؤلفات كثير.
بعد هذا العرض الذي تناولنا فيه كل ما يتعلق بانتشار الطريقة
التجانية في المغرب الممتد حتى نهر درعة و السمارة، مروراً بسهولة
سوس و ماسة و ما والاها، ننتقل إلى الجزء الثاني من المغرب الجنوبي،
و نقصد به الصحراء المغربية حتى نهر السنغال مروراً ببلاد شنقيط،
لمعرفة مظاهر امتداد تعاليم الطريقة التجانية هناك ، و أسباب و ظروف
وصول إشعاعها إلى تلك الديار.

الفصل الثالث

انتشار تعاليم الطريقة عبر الصحراء المغربية إلى حدود نهر السنغال

I - لمحة تاريخية عن بلاد شنقيط و شيخ الطريقة التجانية بها

1 - بلاد شنقيط المغربية/أي اغتيال للتاريخ؟

هذا الإقليم الصحراوي في اتجاه الجنوب حتى نهر السنغال، يشكل امتدادا طبيعيا للتراب المغربي، و هذا ما يفسر خضوعه للسيادة المغربية منذ قيام الدولة المرابطية على الأقل حتى مطلع القرن العشرين، باستثناء بعض فترات الضعف التي كان يتراجع خلالها نفوذ المغرب مؤقتا على ذلك الجزء من صحرائه. لكن عندما كان يسترجع هيئته و مناعته كان إشعاع حضارته و نفوذه يتعدى إقليم شنقيط ليشمل مناطق موهلة في إفريقيا جنوب الصحراء تتعدى ضفاف نهري النيجر و السنغال، كما حدث في عهد السلطان المنصور السعدي¹، الذي أصبحت فيه تمبكتو عاصمة

1 - بخصوص هذا الموضوع يمكن الرجوع على سبيل المثال إلى الدراسات التالية: - محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة و النشر - الكويت.

إقليم السودان الغربي الخاضع للإمبراطورية المغربية. وقد استمرت
السيادة المغربية على تلك الأصقاع، وإن اعتراها ضعف واضح في القرن
19، لأسباب يطول شرحها، و تتعلق عموما بالهجمة الاستعمارية على كل
القارة الإفريقية، إلى أن سقطت تمبكتو في أيدي الاحتلال الفرنسي خلال
العقد الأخير من نفس القرن¹ و مما يشهد على علاقة الولاء التي كانت تربط
بين مدن نهر النيجر الإسلامية و المغرب في هذه الحقبة التاريخية، رسائل
شيوخ تمبكتو و مبعوثيهم إلى السلطان الحسن الأول في موضوع طلب
النجدة ضد المستعمر الأوروبي²، و نفس الشعور بالإنتماء إلى المغرب عبر

-
- Abitbol (M.). Tombouctou et les Arma. Maisonneuve et La- = =
rose. 1979
- Dramani Issifou (Z.) l'Afrique Noire dans les relations
Internationales au XVI^{ème} s. (Analyse de la crise entre le Maroc et le
Sonrhäi.) Ed. Karthla, Paris, 1982.
- Pefontan, Histoire de tombouctou, de sa fondation à l'occupation- 1
française, dans Bulletin du Comité d'études historiques et scintifiques de
L' A.O.F, 1922.
- Culture et civilisation islamique: le Mali, Publication de l'organisation Is-
lamique pour l'éducation. les sciences et la culture -ISESCO, 1408-1988,
pp.24-25.

2 - عبد الله الفاسي، مسلك الصلاح و ملهم الرشد و الفلاح في قضية انتصار أهل السودان
بالسلطان الجليل المقدس مولانا الحسن، المطبعة الحجرية بفاس عام 1325 هـ. يشتمل هذا
التأليف على حوالي تسع صفحات تطرق من خلالها صاحبها إلى معالجة الموضوع أعلاه نظما،
ويقول مطلع المنظومة:

يقول عبد الله فاسي اللقب الفهري الأصل شهير النسب = =

عنه الشناقطة، تأليفا، و مواقف سياسية، و تمازجا بشريا و ثقافيا و دينيا،
و مقاومة مسلحة ضد العدو المسيحي القادم من أوروبا الرأسمالية¹.
و لم تقتطع الأقاليم الشنقيطية، فيما يسمى حاليا موريطانيا،
و النيجيرية (مالي)، من جسد المغرب الأصلي إلا بعد التآمر الأوربي عليه،
بعد إجباره بالحيلة أحيانا عن طريق المعاهدات السرية منها و العلنية،
وأحيانا أخرى بالقوة، على التخلي على هذا الجزء العزيز من كيانه.
و لا يسع المجال هنا للتعرض لتفاصيل الصراعات السياسية
و الدبلوماسية و العسكرية بين الدول الطامعة في المغرب، و نخص بالذكر

= إلى أن يقول:

و بعد فالقصد فيما أقوله منظما في سلكه أجعله
نصيحة الملك ذي الرأي الحسن أميرنا المنصور مولانا الحسن
بقاطع الدليل و البرهان مما بدا من نصرته السودان

ثم انظر أيضا: - محمد ابراهيم الكتاني، مصادر تاريخ إفريقيا من خلال المخطوطات
المغربية، مجلة الأكاديمية، عدد 4، نونبر 1987، ص 231 و ما بعدها.
1 - أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط القاهرة، 1958، ص 1 ثم
ص 422 و ما بعدها.

- الخليل النحوي، بلاد شنقيط المنارة و الرباط، المنظمة العربية للثقافة و العلوم، تونس
1987، ص 36 على الخصوص، ثم الصفحات 39 - 40 - 52 - 73 - 98 - 111 - 112 - 121 -
122 و غيرها كثير في ثنايا هذا الكتاب.
- عبد الوهاب بن منصور، مناقب أهل الصحراء في تشييد صرح الأمة الغراء، المطبعة
الملكية، المغرب، 1975.

- محمد المنوني، من حديث الركب المغربي، تطوان 1953، ص 33 و ما بعدها.

منها فرنسا، إسبانيا، إنجلترا، إيطاليا، ألمانيا، بدءا بمفاوضات الكواليس، و وصولا إلى صيغ التفاهم التي جعلت كل دولة من هذه الدول تنفرد باحتلال جزء من دول شمال إفريقيا الإسلامية، فآل المغرب بموجب ذلك إلى فرنسا التي اضطرت لاقتسامه مع إسبانيا بشكل أرضى الطرفين، فكان لإسبانيا نصيبها في الشمال و في الجنوب أي في الصحراء المغربية¹.

و هذه القسمة الفريدة من نوعها في التاريخ الإستعماري، حققت أحلام فرنسا وإسبانيا في المغرب بشكل مدروس، جغرافيا، و سياسيا. فإسبانيا التي لا يفصلها عن المغرب سوى مضيق جبل طارق بسطت نفوذها على جزئه الشمالي الذي يشكل امتدادا لبلادها نحو الجنوب، باستثناء طنجة التي خضعت لاحتلال دولي، و حتى حدود نهر ورغة. أما المجال الواقع جنوب هذا النهر حتى ما وراء نهر ورغة، فدخل تحت السيادة الفرنسية، لتصبح فرنسا بعد هذه الغنيمة تبسط نفوذها على بلدان المغرب العربي من المحيط الأطلسي إلى الحدود التونسية الليبية. كما أن اقتسام الصحراء المغربية روعي فيه خدمة نفس المصالح، عندما وضعت فرنسا يدها على الجزء المتاخم لبلاد السنغال و السودان

1 - لمزيد من التوسع حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى:

- محمد خير فارس، المسألة المغربية، القاهرة، 1961.

- محمد خير فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب 1912 - 1939. دمشق. 1972.

الفرنسي (مالي الحالية)، لتعزز وجودها بأعالي نهري النيجر و السنغال،
الذين عملت على التوغل داخل القارة انطلاقا منهما منذ القرن 17 على
الأقل¹.

و بنجاحها في ضم بلاد شنقيط، الجزء الجنوبي من الصحراء
المغربية إلى ممتلكاتها بغرب و وسط إفريقيا، تكون فرنسا قد حققت في
الواقع هدفين: الأول يتجلى في القضاء على مقاومة الصحراويين الذين
كانوا يتلقون العون و السند من السلاطين المغاربة، لكن بعد إسقاط
المغرب الذي كانوا يشكلون معه وحدة عضوية، سهل عليهم الإجهاد على
ما تبقى من حركة في صفوفهم. أما الهدف الثاني فهو ربط المستعمرات
الفرنسية بشمال الصحراء، و جنوبها، حتى يصير الاتصال مباشرا بين
الجزائر و المغرب من جهة الشمال و مالي و السنغال من جهة الجنوب².
الجزء الشمالي من الصحراء المغربية، أو ما يسمى بالساقية الحمراء
و وادي الذهب، اللذين كانا من نصيب دولة إيبريا الإسبانية، ثم التخطيط له
من قبل إسبانيا لتخدم مصالحها الاستراتيجية، و أهمها قربها من جزر
الخالدات³، مما يعني أن هذه المستعمرة على أرض المغرب، كانت تشكل

1 - Saint Martin (Y.). l'Empire toucouleur et le France: un demi
siècle de relations diplomatiques (1846-1893), Dakar, 1967, p. 45.

2 - commandant breveté (G). la pénétration en mauritanie, Paris.
1926. pp. 241-267-268-351.

3 - من أجل الإطلاع على مزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى: =

متنفسا ضروريا و مجالا حيويا لإسبان جزر الكناري خاصة وإسبان جزيرة إيبييريا عامة، فضلا عن الشحنة المعنوية التي ساهمت في تدعيم مكانة الدولة الإسبانية بين الدول الأوروبية المتكالبة على الإستعمار، و عملت على الرفع من شأنها بين دول العالم بشكل عام.

و ما يهمننا من هذا كله هو أن الصحراء المغربية تعرضت للمصادرة و الاحتلال، إلا أن رجالها لم يستسلموا إلا بعد أن خضعت حكومة المخزن في شمال البلاد للهيمنة الفرنسية بموجب عقد الحماية الموقع بفاس في 30 مارس 1912، و للإحتلال الإسباني بموجب معاهدة 27 نونبر من نفس السنة¹.

و لعل المقاومة البطولية التي قادها الشيخ ماء العينين بالصحراء المغربية بتنسيق مع الملوك المغاربة و دعمهم له²، خلال العقد الأخير من القرن 19 و مطلع القرن 20، و المصير المأساوي الذي آل إليه بعض كبار القواد العسكريين الفرنسيين في بلاد شنقيط، و في مقدمتهم كوبولاني

- Lazrak (R.). le Contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne. = Dar El Kitab, Casablanca, 1974.

- Rézette (R.), le Sahara occidental et les frontières marocaines, Nouvelles éditions latines, Paris, 1975.

1 - محمد خير فارس، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، م.س، ص 53 و 57.

2 - Commandant Breveté (G.), op, cité, pp. 125, 130, 137 et ss

Rézette (R.), op. cité, pp. 11-12.

Coppolani الذي لقي حتفه في كمين نصبه له المجاهدون هناك خلال سنة 1905¹، أوضح دليل على إخلاص رعايا سكان الساقية الحمراء و وادي الذهب للملوك المغاربة في خوض كل أشكال النضال و بذل أغلى التضحيات للمحافظة على الوحدة الوطنية من شمال المغرب إلى أقصى جنوبه. إن ما يفسر وحدة المغرب العضوية من البحر الأبيض المتوسط إلى نهر السينغال، وحدة ساكنته الدينية و اللغوية و العرقية و المذهبية والجغرافية، مع الأخذ بعين الاعتبار بعض الإستثناءات القليلة.

فالعنصر العربي السائد في مغرب السهول و الجبال شمالا، هو نفسه الذي يشكل أغلبية سكان الصحراء المغربية، أما الإسلام فهو عقيدة كافة الإثنيات في الإقليمين، بل حتى على المستوى المذهبي نجد أن مذهب الإمام مالك الذي اعتمدته دول المغرب العربي على المستوى الفقهي، ومنها المغرب، هو نفسه السائد في الساقية الحمراء و بلاد شنقيط لمعالجة مختلف القضايا الفقهية، كما أن نظام الحكم الملكي الذي اختاره المغاربة أداة سياسية لحكم بلادهم منذ دولة الأدارسة، هو نفسه الذي عاش في ظله أهالي الصحراء المغربية منذ القرن الخامس الهجري، و قد ترتب على كل هذا أن المناهج الدراسية و نظام التعليم، و الكتب المدروسة كانت متطابقة في الإقليمين.

- Ibid, p.131.- 1

هذا التجانس الطبيعي و الثقافي و الديني و السياسي داخل حدود المغرب الأقصى الكبير، هو الذي سهل عملية التواصل البشري بين مختلف جهاته. و لم تشكل الصحراء قط حاجزا طبيعيا بين شطري المغرب يمكن الاستدلال على هذا القول، بما حصل من أخذ و عطاء في الميدان الديني و الثقافي على الخصوص، كما نقرأ ذلك في مؤلفات الشناقطة أنفسهم مثل محمد الأمين الشنقيطي في كتابه الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الذي أورد فيه تراجم لعدد من الطلبة و العلماء و الشخصيات الشنقيطية البارزة في مختلف العلوم الإسلامية، شدوا الرحال إلى مدن شمال البلاد كفاس و مكناس و مراكش و الرباط، خلال التاريخ الوسيط و الحديث و المعاصر¹ إما من أجل الدراسة بجامعة القرويين أو قصد زيارة أضرحة الأولياء و التبرك بهم، أو من أجل استكمال المعرفة و البحث عن أمهات الكتب، أو ضمن ركب الحجيج الذي كان يمر بمراكش و سجلماسة²، قبل اختراق الصحراء شرقا في اتجاه مصر، بل منهم من كان يشد الرحال إلى الحج عبر طنجة³، أو بنية الإلتقاء بملك البلاد و أمراء الأسرة الحاكمة لإطلاعهم على قصيدة مدحية، نظمها بعضهم إشادة بأمجادهم، وتنويها

1 - أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، القاهرة، 1958، ص 1 و ما بعدها، و كذا ص 30 و ما يليها على سبيل المثال فقط.

2 - محمد المنوني، من حديث الركب المغربي، م.س.ص 39.

3 - الوثيقة رقم 15 بتاريخ شهر شتنبر 1845، الخزنة الحسنية الرباط.

بمواقفهم السياسية¹، و اعترافا بفضلهم معربين بذلك، في نفس الوقت عن تشبث الشناقطة برموز وحدة البلاد و بمغربيته، كما نجد مؤلف كتاب الوسيط في تراجيم أدباء شنقيط نفسه، يعتز بمغربيته، و يقدم من الأدلة في كتابه ما يفحم الخصوم و يجعلهم يقتنعون بمغربية بلاد شنقيط². من الكتب الأخرى التي تحدثت بإسهاب عن التواصل الديني و الثقافي و السياسي بين شمال المغرب و جنوبه الصحراوي حتى نهر السنغال، و تعرض أصحابها لذكر أسماء الأشخاص الذين تنقلوا في هذا الإتجاه أو ذاك، أو لتقديم نماذج من الرسائل التي تبودلت من شخصيات من الإقليمين، خصوصا في الفترة التي يتناولها البحث، كتاب فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور³، و كتاب بلاد شنقيط للخليل النحوي⁴ و ضالة الأديب لسيدي عبد الله بن سيدي محمد الصغير بن أنبوجة التيشيتي⁵

1 - أحمد بن الأمين الشنقيطي، م.س.ص 1 - 2.

2 - نفسه، ص 422 و ما يليها.

3 - محمد البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور تحقيق محمد ابراهيم الكتاني و محمد حجي، دار الغرب الإسلامي بيروت. 1981.

4 - الخليل النحوي، م.س.

5 - سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن أنبوجة العلوي الشنتيشي، ضالة الأديب، تحقيق ودراسة أحمد ولد الحسن، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، اسيسكو ISSCO 1996.

و روض شمائل أهل الحقيقة لابن حم¹.

إن المطلع على ما ورد في هذه الكتب و غيرها، من أخبار، علاوة على ما تقدمه الوثائق المخزنية من مراسلات بين السلطة المركزية و الأقاليم الصحراوية، و ظواهر التعيين و الرضى و التوقيع و الاحترام لمختلف الشخصيات الفاعلة في المنطقة، لا يبقى لديه أي شك في أن الوحدة المغربية من البوغاز إلى نهر السنغال شكلت حقيقة لا غبار عليها لمدة تناهز الثمانية قرون. و خلال القرن 19، و هي الفترة التي نهتم بها في بحثنا كان أثر هذه الوحدة لازال موجودا، لكن مع مطلع القرن العشرين ضرب المستعمر ضربته فجرد المغرب من صحرائه و عمل بذلك على اغتيال التاريخ، و هو اغتيال للإنسانية و لحقوق الإنسان، ما بعده اغتيال.

في هذا الإطار الجغرافي الذي يشكل جزء لا يتجزأ من المغرب، إلى عهد قريب، و الذي استرجعنا جزءا مهما منه اليوم، وجدت الطريقة التجانية مرتعا خصبا و فضاء ملائما، ساعدها على بث إشعاعها، ليس في الصحراء المغربية فحسب و لكن حتى ما بعد نهري السنغال و النيجر كما سنوضح ذلك في فصول لاحقة. و ما من شك في أن عوامل التجانس الثقافي و الديني و المذهبي و الوحدة السياسية، سهلت إلى حد كبير

1 - أحمد بن محمد بن العباس العلوي الشنجيبي (المعروف بابن حم)، روض شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر الطريقة، مخطوط (بخزانة الباحث).

مهمة نشر تعاليم الطريقة التجانية كفكر صوفي مؤسس على مبادئ الكتاب والسنة، ورغم أن الطريقة القادرية المختارية الكنتية كانت سابقة للوجود في هذا الإقليم، وتحظى بتقدير واحترام الجميع لها، بالنظر إلى النفوذ الروحي والثقافي والسياسي والاقتصادي الذي كانت تجسده وتسخره لتقديم خدماتها في التعليم والفتوى والأمن والتدخل لحل المشاكل العويصة بين مختلف القوى السياسية والمكونات القبلية¹. وعلى عكس ما يمكن أن يتبادر إلى الذهن من وجود صعاب وعراقيل في طريق انتشار تعاليم التجانية، بسبب اكتساح التصوف القادري للميدان هناك منذ عدة قرون، فإن الدعوة إلى الانخراط في فكر التصوف التجاني لقيت تجاوبا ملفتا للنظر خلال القرن 19، بل نرى من جهتنا أن القادرية كانت عامل يسر أكثر مما كانت عامل عسر بالنسبة لإشعاع تعاليم التجانية في المنطقة، لأن منابع التصوف ومشاربه واحدة، وهي كتاب الله وسنة رسوله، ومحبة نبيه، والفرق الوحيد الموجود يتجلى في شيوخ الطرق الصوفية، وهذا شيء طبيعي، فكما أن الأنبياء ليسوا على مرتبة واحدة، فالأولياء كذلك مراتب ودرجات، وكل واحد منهم يصطفى لأتباعه مجموعة من الأذكار والأوراد تكون خاصة بطريقته، وحيث أن «مصدر الشرائع هو الحق تبارك وتعالى ومقصود الشرائع واحد، فلا يضر

- Tamouh (Z.) Le Maroc et le Soudan au 19e s. Paris I, – 1
Sorbonne 1982, (dactilograhié), p. 328 et ss.

التشابه الموجود فيها ... وإذا كانت أخلاق الصوفية ومبادئهم موجودة في القرآن الكريم وفي السنة المشرفة، فمن العبث القول أنها أخذت من دين آخر¹...».

و هذا لا علاقة له حسب اعتقادنا بتفضيل أنكار وأوراد على أخرى ما دام المنبع واحدا، ولكن الأمر يتعلق بقدرة شيخ الطريقة على الإقناع والإفحام بخصوص سنية تعاليم طريقته، لأن عامة الناس وخاصة بهم بالتحديد يخشون من السقوط في الشرك والبدعة، كما أن النتائج الملموسة والفورية من قبل المنخرطين في التجانية بصدق وإخلاص، في أحوالهم الصحية وأرزاقهم ومعرفتهم وسلوكهم، وهو ما يصطلح على تسميته عند القوم بالفتوحات الإلهية، كانت تلعب دورا رئيسيا في كسب هذه الطريقة سمعة طيبة، وفضائل لا تضاهيها فضائل الطرق الأخرى في اعتقاد التجانيين، فكيف إذن تحقق وصول الطريقة التجانية إلى بلاد شنقيط وما هي الظروف التي تم فيها انتشارها، ومن هم الأشخاص الذين قاموا بهذا الدور؟

تجمع المصادر التجانية، فاسية² كانت أو رباطية³ أو مراكشية أو

1 - محمد الحافظ التيجاني، أهل الحق العارفون بالله السادة الصوفية دار الطباعة الحديثة

1963، ص 46.

2 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س.

- محمد الحجوجي الحسني، م.س. = =

صحراوية شنقيطية¹، و غير التجانية خصوصا منها المكتوبة باللغة الفرنسية²، على أن محمد الحافظ العلوي الشنقيطي هو أول من نقل تعاليم الطريقة التجانية إلى الصحراء المغربية و بلاد شنقيط. وقبل الإسترسال في عرض تفاصيل ما قام به لفائدة الطريقة التجانية نقترح أولا التعريف به.

2 - التعريف بمحمد الحافظ العلوي الشنقيطي³، (ت1254

/ 1838)

هو أبو عبد الله سيدي محمد الحافظ بن سيدي المختار بن أحبيب بن اكريش العلوي الشنقيطي، و قد حلاه صاحب أهل المراتب العرفانية بـ

= 3 - محمد العربي بن السايح، م.س.

1 - أحمد بن محمد بن العباس العلوي الشنقيطي، م.س.

- سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن أنبوجة العلوي التيشيتي، ضالة

الأديب، م.س.

- أحمد بن الأمين الشنقيطي، م.س.

- الخليل النحوي، م.س.

2 - من بين المؤلفات الفرنسية و الإنجليزية التي اهتمت بمحمد الحافظ:

- Marty (P.) Etude sur l'islam maure, collection de la revue du monde musulman. Paris. Ernest leroux 1991.

- Robinson (D.) la guerre sainte d'al-Hajj Umar, traduit de l'anglais par Henry Tourneux et Jean-Claude vuillemin, Ed. Karthala, Paris, 1988.

Ly Tall(M.), un Islam militant en Afrique de l'ouest au 19e,s,≠
ed. L'Harmattam, Paris, 1991.

3 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 354 - 355.

«تاج الصدور و الموالي الحائز أنواع المكارم المعالي ... سلالة مجد انتظمت في عقد فخاره أفاضل العلماء، ثمرة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، من اختاره الله لخدمة دينه باتباع الشريعة الغراء وأمدته بثواقب الافهام...»¹. وقد ترجم له صاحب البغية عند قول المنية في تعداد المشهود لهم بالفتح على يد سيدي أحمد التجاني:

و العلوي الوارث الرباني سيدنا الحافظ ذي العرفان²

أبوه هو سيدي المختار العلوي نسبة لقبيلة ذوي علي، وهي قبيلة معروفة من قبائل شنقيط³، و التي سنعود للتفصيل في شأنها، فيما بعد، و كان أبو محمد الحافظ رجلا عالما صالحا من أكابر العباد دائم التلاوة لكتاب الله العزيز، متقنا لها، بيته مفتوح على الدوام لاستقبال الذين يقصدونه من الغرباء، خصوصا طلاب العلم منهم. و كان جد محمد الحافظ بدوره رجلا صالحا معروفا بالكشف و الولاية بين الخاص و العام

1 - محمد الحجوجي الحسني، م.س.ص 172.

2 - محمد العربي بن السايح، م.س. ص 354.

3 - محمد الحجوجي الحسني، م.س. ص 172.

و كذلك جد والدته سيدي اكريش الذي كان موصوفا بالفتح الأكبر و الكشف و الهداية¹. و تقدم لنا المصادر أم محمد الحافظ بدورها سيدة تقية صالحة، فهي خديجة بنت السيد الفاضل العالم العامل سيدي محمد العلوي الشنجيبي الذي كان يجعل حبلا في عنقه و يقول هذه ربقة التكليف كاملة جعلتها حسية و ربما يجذب نفسه به، و مما يدل على شدة ورعه أنه كان يختم القرآن في الليل ثلاث مرات بالصلاة، مما يعد في عصرنا هذا ضربا من المحال حتى بالنسبة لأكثر الناس تشبثا بأركان الإسلام الخمسة و أكثرهم حزما و عزما و ذوقا في تلاوة القرآن، حسب ما يستفاد من أهل المراتب العرفانية². و طبقا لنفس المصدر فإنه لا يستطيع أن يفعل ما كان يقوم به جد محمد الحافظ، من أمه إلا من طوى الله له الزمان، و لا يطوي الله الزمان و المكان إلا لأصفياؤه من الأولياء و الصالحين.

و إذا كان أفراد الأسرة التي ينتمي إليها فقيها على هذا المستوى من العلم و الولاية و الورع، فإن الأشياخ الذين قرأ عليهم كانوا أصحاب مستويات رفيعة في مختلف العلوم الإسلامية، و على درجة سامية، من

1 - المصدر نفسه، ص 173 - 174.

- Marty (P.), op. cité, p. 215 et ss.

2 - محمد الحجوجي الحسني، م.س.ص 174.

الولاية و الصلاح. و من بين الذين أخذ عنهم الشيخ أحمد دام، الرجل الصالح الزاهد المشارك في العلوم لا سيما في الفقه والنحو والمنطق و البيان، له إلمام بعلم السير و الأوقاف، مستعملاً إياه في طاعة الله تعالى، جامعاً لكثير من النوازل الفقهية، كثير الترخيص على المسلمين، وكانت وفاة هذا الشيخ يوم 29 ذي الحجة عام 1230¹. أما الشيخ الثاني الذي قرأ عليه محمد الحافظ، فهو سيدي حرم بن عبد الجليل «فائق أقرانه و ناذرة زمانه، سنوسي دهره و شافعي عصره في علمه و شعره و نسبه و فصاحته و بلاغته و أدبه الحائز بجميع الكمالات المستأثر بالسبع القراءات²...».

و يعد سيدي عبد الله بن سيدي أحمد بن محمد القاضي الشنيطي، كذلك من شيوخ محمد الحافظ، كان عالماً عاملاً، مؤيداً في القضاء والفتوى، إذا سئل عن مسألة. و لا يكاد يسأل عن حكم إلا وج عنده منه علم لكثرة مطالعته، و قد ذكر بعض علماء عصره، بعدم جواز القضاء و الفتوى لأحد من أهل عصره إذا حضر. و كانت وفاته عام 1242 / 1827³.

و الرابع في سلسلة شيوخه هو سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم بن

1 - المصدر نفسه، ص 174 - 175.

2 - نفسه، ص 178.

3 - نفسه، ص 184.

محمد بن الإمام العلوي الشنجيطي، الذي كان فقيها عالما و وليا عارفا. و هو الذي قال فيه محمد الحافظ الذي نحن بصدد التعريف به، ما رأيت مثل سيدي عبد الله في إرشاد الخلق و تحذيرهم إلى الخير¹، و كانت أوقاته كلها معمورة بوظائف العبادات بين تصنيف و تعليم و تذكير و تلاوة قرآن و تفسير و قراءة حديث. و له تصانيف كثيرة منها منظومة في علم البيان تسمى نور الأنام و شرحها فيض الفتاح. و أخرى في علم الأصول و سماها غرة الصباح و مرشد الغافل و شرحه و وردة النسرين و شرحها في الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم، و له نظم في مكفرات الذنوب و شرحه و كتب أخرى، توفي عام 1233/1818².

و آخر شيخ يذكره صاحب أهل المراتب العرفانية، له هو شيخ المالكية في وقته العلامة المحقق، صالح الفلاني، و هو أحد الذين أجازوا محمد الحافظ³. هؤلاء الشيوخ الذين أتينا على ذكرهم، لقنوا علومهم في الواقع لتلميذ تميز بالنبوغ منذ نعومة أظفاره. و بما أن البذور التي كانوا يبذرونها كانت تزرع في تربة خصبة، فإن جهودهم كللت بالنجاح، فتخرج على يدهم عالم عامل متمكن و صالح عارف، انتفعت بمعارفه البلاد

1 - المصدر نفسه، ص 185.

2 - نفسه، ص 185 - 186.

3 - نفسه، ص 186.

و العباد. و إذا ما تحدثنا عن نبوغ محمد الحافظ ونباهته، منذ صغره فلا بد من أن نقرن ذلك بعصاميته، و شدة مقاومته للشدائد في تلك الفترة المبكرة من عمره¹، كما نقرأ ذلك في المصادر التي ترجمت لحياته. فقد حفظ القرآن و هو ابن سبعة أعوام، و شغل عن التعلم لأنه كان الكفيل الوحيد لجده لأمه التي لم يترك زوجها ولدا، فضمت إليها محمد الحافظ، الذي حل محل الإبن والأب و الزوج بالنسبة لها و لأختها المكفوفة البصر التي كانت تعيش معها.

و كان عند الجدة قطيع من الغنم يرعاه و يحلبه، و ينفق عليهما². و كانت هذه الجدة تعيش مع أختها و حفيدها في بلد ليس به علم، و كانت على إمام ببعض السير و الأدبيات و الأخبار، فروت لحفيدها و هو صغير حكم ابن عطاء الله الإسكندري، و الجزء الأول من مختصر خليل و ألفية ابن مالك و رسالة ابن زيد القيرواني³. فلا غرابة إذن، بناء على ظروف نشأته هاته من أن يلقب بالطاهر في المجتمع الذي ترعرع فيه، و ظل قائما على أمور جدته إلى أن لقيت ربها.

و بعد وفاتها انتقل إلى بلدة عشيرته ليبدأ التعلم على الشيوخ في سن

1 - المصدر نفسه، ص 187.

2 - نفسه.

3 - نفسه، ص 87.

متأخرة، بدون شك بالنظر إلى السنوات التي قضّاها في رعاية جدته،
بدليل أنه لما تفرغ للدراسة: « وجد أقرانه قد سبقوه للتعليم بمدة مديدة
وسنين عديدة، فزاحمهم بهمة تفلق الصخور، وتريد أن تقضي ما فاتها من
معالي الأمور و تدرك بروحتها أهل البكور، و الجواد ذو السبق يلحق أهل
زمانه، ثانيا من عنانه حتى أدرك أمنيته و مراده و اقتطف من سائر العلوم
ما أرادته¹....».

هذه إذن هي أهم المراحل التي قطعها محمد الحافظ منذ صغره حتى
أصبح عالما فذا، و منارة مشعة في بلاد شنقيط عموما و بين قبائل
إداو علي خصوصا، يقصده من كل آفاق الصحراء، كل من له حاجة في
فتوى، أو نية في استكمال معرفته في علم من العلوم الإسلامية، أو قصد
التبرك به نظرا لما اشتهر به من ولاية و صلاح، قبل أن يعثر على شيخ في
التصوف. فكيف اهتدى إلى الأخذ عن الشيخ أحمد التجاني بفاس؟

3 - وصوله إلى فاس وأخذه عن الشيخ سيدي أحمد التجاني

في الوقت الذي يمر فيه بول مارتي Paul Marty مر الكرام عن
تفاصيل ظروف و أسباب رحلة محمد الحافظ العلوي الشنقيطي من بلاده
إلى الحجاز و منها إلى فاس²، نجد مصدرين³ على الأقل تجانين

1 - المصدر نفسه.

2 - Marty (P.), Etude sur l'Islam maure, op. cité, p. 215 - =

يتعرضان لذكر أخبار رحلته الطويلة حتى عودته إلى أهله، خليفة للتجانية بالصحراء المغربية.

فبول مارتى Paul Marty الخبير بالشؤون الموريتانية، كان على صلة بعلماء بلاد شنقيط وأعيانها، ورغم أنه وضع يده على أمهات كتب ووثائق خزاناتها لم يتعب نفسه في تسليط مزيد من الضوء على هذه الشخصية المتميزة التي تركت بصماتها في تاريخ المنطقة خلال النصف الأول من القرن 19، بل حتى المعلومات القليلة التي أوردها بخصوص صاحبها، ضمن كتابه الموسوم بدراسات حول الإسلام الموريطاني Etude sur l'islam maure لم تخل من أخطاء، من ذلك مثلاً ما أورده من أن محمد الحافظ عند عودته من الحج سنة 1780¹ مر بفاس ليتعرف على الشيخ التجاني، والحقيقة أنه في هذه السنة لم يكن سيدي أحمد قد حل بفاس حوله الأخير الذي سيترتب عليه قيام الزاوية التجانية، لأن ذلك سوف لن يتحقق إلا بعد حوالي عشرين سنة.

إن المصادر التجانية التي عالجت رحلة محمد الحافظ بشيء من التفصيل هي كشف الحجاب لأحمد سكيرج، وأهل المراتب العرفانية

== 3 - هذان المصدران هما كشف الحجاب لأحمد سكيرج، وإتحاف أهل المراتب العرفانية لمحمد الحجوجي الحسني.

- 1 - Marty (P.), op. cité, p. 215.

لمحمد الحجوجي، و بغية المستفيد، لابن السائح¹، و هي مصادر يكاد يكرر بعضها الآخر فيما يخص الخطوط العريضة لمسار الرحلة و أسبابها ذهابا و إيابا، مع ملاحظة بعض التفاصيل الإضافية التي انفرد بها صاحب كتاب إتحاف أهل المراتب العرفانية، تتعلق بالشخص المترجم له. تتفق هذه المصادر على أن الشيخ محمد الحافظ، عندما بلغ مبلغ الرجال علما و صلاحا، و صار حجة في الكثير من المسائل الفقهية في بلاده، قرر القيام برحلة إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج. و جعل من أهم مقاصده التي كان يرغب فيها في تلك الرحلة الالتقاء بشيخ كامل من أولياء الله الصالحين².

و في بداية رحلته هاته رافقه في الركب الذي سار فيه رجل من أهل سجلماسة³، لأن محمد الحافظ اختار السفر ضمن الركب السجلماسي، وكان هدف الرجل السجلماسي هو نفس هدف محمد الحافظ، و تعاهدا معا على أن أول من يعثر على بغيته منهما يخبر الآخر. و بينما كان الشيخ محمد الحافظ يطوف ذات يوم حول الكعبة، لقيه رجل لا عهد له

1 - لم يتوسع ابن السائح في الموضوع كما فعل الفقيهان سكيرج في كشف الحجاب و الحجوجي في إتحافه.

2 - محمد الحجوجي الحسني، إتحاف أهل المراتب العرفانية، م.س. ص 187.

3 - أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س. ص 355، مع ملاحظة أن المؤلف لم يذكر اسم الرجل الذي رافق محمد الحافظ انطلاقا من سجلماسة.

به من قبل، فأسر إليه بأن شيخه هو سيدي أحمد التجاني، ولم يكن صاحبنا قد سمع مثل هذا الاسم، فقصده بعد ذلك صاحبه السجلماسي و نقل إليه الخبر، ثم شرعا في القيام بالمساعي الضرورية لمعرفة حقيقة الشيخ الذي سمعنا باسمه في مكة¹، فعثرا على جماعة من عامة أهل فاس دلتهما على جماعة أخرى من نفس المدينة، فقصداها و وجدا على وجوه أفرادها علامات الصلاح، فسألهم عن سيدي أحمد التجاني، فأجابوهما بما يشفي الغليل، لما ذكروا عنه من ولاية و صلاح و علو مقام، و تضرع في العلوم، كما دلوهما في نفس الوقت على وجود رجل صالح من خاصته في ذلك الوقت، و يتعلق الأمر بالشيخ الحاج علي حرازم برادة الذي كان يوجد في تلك الفترة بالديار المقدسة بأمر من الشيخ التجاني²، و عندما التقيا به رأيا عليه سمة الوقار و الصلاح، و تأكدا من حقيقة وجود الشيخ سيدي أحمد التجاني بفاس، من خلال ما دار بينهم من كلام، فأقر محمد الحافظ بعد ذلك العزم على شد الرحال إلى فاس بعد قضاء مناسك الحج. إلا أن صاحبه السجلماسي لن يتأتى له إتمام رفقته معه لعدم قدرته على مفارقة الركب السجلماسي³.

قبل مواصلة الحديث عن رحلة محمد الحافظ إلى فاس، نتوقف لحظة

1 - المصدر نفسه، ص 356.

2 - نفسه، ص 356.

3 - نفسه.

لإبداء بعض الملاحظات، يتعلق أولها بالمجهود الذي بذله هذا الأخير مع صديقه السجلماسي في مكة للوصول إلى معرفة حقيقة الشيخ الذي أخبرا بوجوده بفاس. ذلك أن الفقيه أحمد سكيرج هو الذي انفرد بهذه الجزئيات في كتابه كشف الحجاب، نقلا عن ابن السائح صاحب البغية، الذي تلقى الخبر بدوره عن صاحب منية المريد¹، الذي يعد محمد الحافظ من أقاربه. فما هو، إذن سبب عزوف محمد الحجوحي مؤلف كتاب إتحاف أهل المراتب العرفانية عن اعتماد هذه الرواية؟ هل لكون تفاصيلها تتضمن نسيجا خرافيا أكثر مما تحمل من أخبار تاريخية موضوعية؟ كيف يمكن ذلك و صاحب المنية ابن بابا الشنجيطي العلوي التجاني يعد من كبار المقربين لمحمد الحافظ، و أكثر الناس تموضعا لرواية أسرارهِ. أما احتمال عدم إطلاع الحجوحي على هذه الرواية شيء لا يصدق لأنه يعتبر من أقطاب الطريقة التجانية المتأخرين (ت 1370 / 1950)²، بل نجده في تأليفه المشار إليه كثيرا ما يعتمد في المعلومات التي أوردها به، على ابن السايح و محمد أكنسوس، و ما دام ابن السائح هو الذي نقل الرواية في أصلها عن مصدرها، فإن مسألة إطلاعه على ذلك تعتبر شيئا مؤكدا.

1 - سنفصل القول بشأن كتاب منية المريد و صاحبه في فصل لاحق.

2 - عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة المري، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الكتاب،

الدار البيضاء، 1960، ج I، ص 244.

والتفسير الذي يمكن أن نفهم من خلاله موقف الحجوجي هذا، هو أن صاحب المنية قد يكون ظن بقرييه خيرا فنسج حوله هذه الرواية، وقد يكون نقلها عن محمد الحافظ نفسه، أو عن أحد أفراد أسرته للإعلاء من شأن الشخص الذي يعتبر مفخرة عشيرته وبلاده، لكن و نظرا لما يمكن أن يغلف عناصر هذه الرواية من خرافة فقد فضل الفقيه الحجوجي عدم اعتمادها، و طرحها جانبا.

ونحن من جهتنا لا نستبعد وقوع ما ورد في هذه الرواية، لأن تفاصيلها غير خارقة للعادة من جهة، و بسبب الإشارة الوحيدة التي أوردها محمد الحجوجي في هذا الصدد عندما ذكر أن محمد الحافظ استفاد من علوم علي حرازم برادة في الحجاز، و أرشده بنفس المكان إلى الشيخ التجاني¹. أما ثاني ملاحظة فلها صلة بلقاء محمد الحافظ الشنقيطي العلوي بالحاج علي حرازم برادة في الديار المقدسة. و المشكل هنا هو أنه عندما يتساءل الباحث عن التاريخ الذي تم فيه هذا اللقاء لا يجد جوابا مقنعا من خلال ما تقدمه المصادر المتوفرة من معلومات. و مرة أخرى نقول إن من بين العيوب التي تطبع المصادر التجانية هو عدم اكترائها بضبط تواريخ المراسلات و اللقاءات و أماكنها و أهم الأحداث التي ميزت مراحل تاريخ الطريقة التجانية، بغض النظر عن بعض الإستثناءات، و قد يكون

1- محمد الحجوجي الحسني، م.س.ص 116 - 117.

محمد الحجوجي في كتابه إتحاف أهل المراتب العرفانية قد تفتن لهذا العيب، فأرفق جل الرسائل و الوفيات بتواريخها، كما زدنا بمعلومات إضافية عن الأشخاص الذين سبق للترجمة لهم أحمد سكيرج.

تبعا لما سبق لا نعرف تاريخ سفر علي حرازم برادة بشكل مضبوط إلى الحجاز، و لا تاريخ سفر محمد الحافظ إلى نفس الديار، لكن الشيء المؤكد هو أن وصول علي حرازم برادة وإقامته بالديار المقدسة، كان سابقا لوصول محمد الحافظ، يشهد على ذلك أن هذا الأخير عندما كان يبحث في مكة عن من يخبره عن حقيقة سيدي أحمد التجاني، وجد من دله على مقر إقامة علي حرازم برادة هناك، مما يعني أنه أصبح معروفا بين الناس في الحرمين و مثل هذه الشهرة لا تأتي منطقيا إلا بعد طول مدة الإقامة، و من جهة أخرى، إذا أخذنا بعين الاعتبار تاريخ وفاة علي حرازم برادة بالحجاز عام 1218 / 1803، و تاريخ آخر إجازة من سيدي أحمد التجاني له بتاريخ 8 ذي الحجة 1216 / 1802، و التي نفترض أن حصول علي حرازم برادة عليها حدث بعد أن وقع له الفتح الكبير الموجب لمغادرة البلدة التي يوجد بها الشيخ التجاني¹، فإننا نقدر أن سفره إلى الحجاز تم في غضون سنة 1216. و هو ما يجعلنا نفترض أن سفر محمد الحافظ العلوي الشنجيطي من بلاده عبر سجلماسة إلى الديار المقدسة و التقائه

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س.ص 83.

رفقة صاحبه بعلي حرازم برادة تم بين سنتي 1216 و 1218، ولو تعمق بول مارتي Paul Marty في ضبط مراحل رحلة صاحبنا (محمد الحافظ) زمنيا لأسدى للباحثين خدمة لا تقدر بثمن. نفس الإشكال يطرح عندما نتساءل حول التاريخ الذي وصل فيه محمد الحافظ إلى فاس، هل تم هذا الوصول في سنة 1217 أو سنة 1218 أو بعد ذلك بقليل أو كثير؟ لا نستطيع الإجابة في الوقت الراهن على هذا السؤال، و مما يزيد في صعوبة معرفة السنة التي وصل فيها إلى فاس على الأقل، وكذلك خلق نوع من الارتباك في تسلسل الأحداث التي واكبت رحلة محمد الحافظ الكبرى، ما نقرأه من أن هذا الأخير عندما حل بفاس و تحققت رغبته برؤية الشيخ سيدي أحمد التجاني، و أقام بزاويته الفاسية يربيه و يرقيه، متيحاً له الفرصة للنهل من علومه و أسرارهِ، أتيح له حضور إملاء الشيخ التجاني لكتاب جواهر المعاني على تلميذه الحاج علي حرازم برادة...: «كان معروفاً بسرعة الخط، و هو يكتب و الشيخ يملئ عليه من غير مطالعة و لا نظر، و لا يقف قلم الحاج علي حرازم، و كان علماء فاس على حسدهم له ينقلون عنه العلم و يبهمونهُ في العزو، و يقولون، ولبعضهم كذا¹...».

1 - محمد الحجوجي الحسني، م.س.ص 188. من جهة أخرى تجدر الملاحظة أنه من خلال سياق الكلام صاحب إتحاف أهل المراتب العرفانية، يفهم أن محمد الحافظ الشنجيطي زار فاس و أخذ عن سيدي أحمد التجاني قبل أن يشد الرحال إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، و هذا ما ==

فهل يتعلق الأمر بعودة محتملة للشيخ حرازم من الحجاز إلى فاس
تزامنت، مع وجود محمد الحافظ بنفس المدينة؟ إذا صح هذا الافتراض
فمتى كانت عودته إلى الحجاز ثانية ليتوافاه الله هناك سنة 1218. نتمنى أن
يسعفنا الحظ مستقبلا في العثور على ما من شأنه أن يسלט الضوء على
هذه المسألة أو ما يماثلها من القضايا التي ستبقى عالقة. ومع ذلك فلا بد
أن نلتمس بعض العذر لهذه الصفوة من فقهاء الطريقة التجانية الذين تركوا
لنا هذا الرصيد الهائل من المصادر و الوثائق الذي نحاول من خلاله رد
الاعتبار لهم وبعث جزء من التراث الديني و الصوفي الذي شكل و يشكل
حلقة ذهبية من سلسلة تاريخ مغربنا المجيد، و لعب دورا رائدا في تمتين
الصلات بين شمال البلاد و جنوبها ترتب عنه تجديد الإسلام و الدفاع عنه
ضد المسيحية في السودان الغربي، و مد الجسور للتواصل بين الشعب
المغربي و شعوب إفريقيا المسلمة الواقعة جنوب الصحراء، خلال
القرن 19.

لم يغادر محمد الحافظ العلوي الشنجيطي مدينة فاس إلا بعد
أن حقق هدفه بزاوية الشيخ، و على يديه تربى و ترقى و تعلم وأخذ
الأسرار، و جدد صلة الرحم بالجزء الشمالي من بلاده، و توج هذه

= = يخالف رواية الفقيه احمد سكيرج الذي أورد العكس كما علمنا، لكن الأمر المتفق عليه

هو أخذه الطريقة التجانية عن الشيخ سيدي أحمد التجاني.

السلسلة من النجاحات بحصوله على إجازة إعطاء الأوراد والتقديم¹، وهي إجازة لا يمنح الشيخ التجاني مثيلاً لها إلا لبعض خاصته و لمن تفرس فيهم حب الطريقة و التفاني من أجلها. و فراسة المؤمن لا تخطئ.

و نظرا لطول نص هذه الإجازة تكتفي بذكر بعض المقاطع المعبرة منها فقط وهي بخط العلامة ابن المشري: بعد الحمد و الصلاة على نبيه: «... و بعد فإن سيدنا و وسيلتنا إلى ربنا، مولانا قطب الأقطاب أبا العباس أحمد بن محمد التجاني الحسني رضي الله عنه و متعنا بحبه و بقاءه دنيا و أخرى آمين أذن لتلميذه الفقيه الأريب الأنجب الأحب محبنا سيدي الحافظ بن المختار أحبيب الشنجيطي في إعطاء أوراده لكل من طلبها من المسلمين بشرط المحافظة على الصلوات الخمس بشروطها المعلومة، و بشرط إفرادها أعني لا يعطيها لمن عنده ورد من أوراد الأشياء، هذا شرط فائدها و تحصيل فضلها... و أذن أيضا سيدنا لحبيبه المذكور أن يقدم عشرة تحته لا أزيد إن احتاج لهم لبعد مسافة أو عذر آخر... و كل من أخذ الورد على محبنا هذا فكأنه أخذ عن سيدنا و له من الفضل و المزية سواء بسواء²...».

1 - محمد الحجوجي الحسني، م.س.ص 188.

2 - نفسه، ص 189.

و قد ذيلت هذه الرسالة بإقرار الشيخ التجاني سيدي أحمد التجاني بصحة ما ورد فيها و نص هذا التذييل: « ما كتب أعلاه صحيح و أنا أذنت له فيه إذنا عاما، دائما و كتبه آذنا و مجيزا احمد بن محمد التجاني، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم¹ ».

II - انتشار تعاليم الطريقة التجانية و دوره في تقوية نسيج وحدة بلاد شنقيط و الوحدة الوطنية الكبرى.

1 - انتشار تعاليم الطريقة في بلاد شنقيط و ما وراء نهر السنغال على يد محمد الحافظ و مرديه:

أول ملاحظة يجب لفت الإنتباه إليها هو أن محمد الحافظ لم يكن أول من زار الشيخ سيدي أحمد التجاني من الشناقطة بزاويته بفاس، و لا آخر من زاره، فالمصادر تخبرنا أن رجلا شنقيطيا واحدا على الأقل قد سبقه إلى التعرف على شيخ الطريقة التجانية بفاس، و هذا الشيخ هو الفقيه سيدي عبد الرحمان الشنقيطي². شيخ الشيوخ في علمي المعقول

1 - المصدر نفسه.

2 - يقول في شأنه صاحب إتحاف أهل المراتب العرفانية (ص 200) أنه أتى أولا من بلده إلى فاس ثم ذهب للحج و لما رجع منه استوطن بفاس الجديد و تزوج، له عدة تأليف منها جوابه عن حكم المكانة المحلاة.

و المنقول، الذي لم يعد إلى بلاد شنقيط بعد حلوله بفاس، و يبدو أنه أتى من بلاد شنقيط عالما، و قد يكون استكمل معرفته بالقرويين، لأنه قبل وفاته بهذه المدينة سنة 1224 / 1809 كان يدرس لعدة سنين مجموعة من العلوم الإسلامية بفاس العليا، و كان طلبته عصره يقصدونه من فاس الإدريسية على أرجلهم لحضور دروسه¹، و قد يكون وجود هذا الفقيه بفاس سابقا لرحيل الشيخ التجاني إلى نفس المدينة، و لما ذاع خبر الشيخ بها و وصلت دعوته إلى مختلف أرجائها، كان الفقيه عبد الرحمان الشنقيطي من السباقين إلى الدخول في طريقته².

و يطلعنا نص على قصة طريفة حدثت له مع الشيخ التجاني الذي أتى ذات يوم لأداء الصلاة بالمسجد الذي كان يدرس فيه³. و هي قصة تدل على مدى التقدير الذي كان يكنه هذا الفقيه لذلك الشيخ، إلا أننا لا نستطيع أن نحدد تاريخ التقاء الرجلين و وقوع هذه القصة بالمسجد، ولا تاريخ انخراط الفقيه الشنقيطي في الطريقة التجانية. و هناك أشخاص آخرون

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 366.

2 - نفسه، ص 366 - 367.

3 - ملخص هذه القصة هو أن بداية تعلق الفقيه عبد الرحمان الشنقيطي بسيدي احمد التجاني بدأت منذ أن دخل هذا الأخير ذات يوم عليه و هو يدرس بالمسجد الأعظم بفاس العليا، فلما رأى الشيخ التجاني، قطع القراءة و قال لتلاميذه قوموا بنا نتبرك بهذا الشيخ ... أنظر: كشف الحجاب، م.س.ص 368.

شدوا الرحال على ما يبدو إلى فاس قبل أن يزورها محمد الحافظ، لكنهم عادوا إلى بلدهم بعد أن أخذوا تعاليم الطريقة التجانية من شيخها مباشرة. و لو كان محمد الحافظ سبقهم للأخذ عن الشيخ الورد و الإجازة في التقديم قبلهم لما سافروا إلى فاس، و لأخذوا عنه الإجازة التي حملها معه تنص على أن من أخذ عنه كمن أخذ عن الشيخ مباشرة. و هؤلاء الأشخاص الذين استطعنا التعرف عليهم من خلال بعض المصادر التجانية هم: محمد الطالب، الذي تتفق كل المصادر¹ التي ترجمت له على تضلعه في الفقه الإسلامي مما أهله ليصبح قاضي شنقيط، ثم الفقيهان سيدي احمد الوداني و أخوه محمد المدعو السالك اللذان شدا الرحال من ودان إلى فاس للأخذ عن الشيخ التجاني. و لما حققا هدفهما بالزيارة و الدخول في الطريقة، ارتحلا من فاس في اتجاه الديار المقدسة لأداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول، فتوفي أحمد بالحرم الشريف و عاد أخوه إلى بلده²، من دون أن نعرف تواريخ أسفار هؤلاء الأشخاص الشناقطة لا في الذهاب

1 - سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن انبوجة العلوي التيشيتي، ضالة

الأديب، م.س.ص 94 هامش 76.

- أحمد بن محمد بن العباس العلوي الشنجيطي، روض شمائل أهل الحقيقة، م.س.ص 10.

- أحمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س.، ص 364.

- احمد سكيرج، رفع النقاب بعد كشف الحجاب، م.س.ج III، ص 190.

2 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س.ص 365 - 366.

و لا في الإياب. غير أن هؤلاء لم يكتب لأحد منهم أن تنشر الطريقة على يديه في بلاد شنقيط.

كان لابد من هذه التوطئة لنبيين من جهة أن محمد الحافظ لم يكن أول من أخذ الطريقة من الشناقطة، عن سيدي احمد التجاني مباشرة، و من جهة ثانية للتذكير بدوام التواصل الثقافي و الديني و استمراريته بين شمال المغرب و جنوبه الصحراوي إلى أقصى حدوده الموعلة في الصحراء. و قبل أن يغادر فاس طلب محمد الحافظ من شيخه أن يوصيه، فكانت وصية الشيخ سيدي احمد التجاني له، أن لا يظهر بنفسه حتى يظهره الله تعالى¹، فعاد إلى بلده و اشتغل بالتدريس و تأليف الكتب التي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- تعليق على الشيخ خليل من أول البيوع.

- رسالة في أحكام الطريقة.

- الرسالة التيشيتية.

- تعليق على الفقيه السيوطي في مصطلح الحديث².

و قد اشتغل بالتعليم مدة من الزمن دون أن يدعو أحدا إلى الطريقة

1- نفسه، ص 356.

2- هذه التأليف و غيرها وردت في كتاب إتحاف أهل المراتب العرفانية لمحمد الحجوجي

الحسني، م.س.ص 190.

التي عاد بها من فاس، إلى أن أتاه ذات يوم رجل من أهل الصلاح بين الناس ببلاد شنقيط، مشهور بملاقاته للخضر عليه السلام، فوجده مشغلا في تدريس تلاميذه، بعد أن صلى بهم صلاة العصر¹.

و كان محمد الحافظ لا يعرف هذا الرجل من قبل، ولما اقترب من مجلس الأساتذ وتلاميذه، عرفه الأخيرون به، فقال محمد الحافظ سبحان الله، ثم قام احتراما له و أجلسه إلى جنبه، فاعتذر الرجل و أصر على أن لا يجلس إلا بين يديه، ثم دخل مباشرة في الموضوع، فطلب من الشيخ محمد الحافظ أن يسلمه الأمانة التي أتى بها من التل²، مخبرا إياه أنه أت إليه من أجل هذا الغرض بإذن، فقال له محمد الحافظ، لم أحمل معي من التل إلا بعض الكتب، فإن كنت محتاجا إلى بعضها سلمتها لك، فعقب صاحب الخضر عليه بما يفيد أنه أتى إليه ليعطيه ورد الشيخ التجاني³، وبعد أخذ و رد، و سؤال ثم جواب، أفحم صاحب الخضر محاوره محمد الحافظ الذي أدرك أنه قد حان الوقت بدون شك، ليصدع بدعوته، لأن الشرط الذي اشترطه عليه الشيخ التجاني قد تحقق، و أن إرادة الله بإظهار

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س.ص 356.

2 - يقصد بذلك ما وراء جبال الأطلس شمالا.

3 - محمد الحجوجي الحسني، م.س.ص 190.

- احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س.ص 357.

قضيته قد تجلت عن طريق هذا الولي الصالح الذي لم يكن ينطق عن الهوى، خصوصاً وأن محمد الحافظ لم يكن قد أسر لأحد لا من قريب ولا من بعيد بما حمله معه من سر، على إثر عودته من فاس إلى بلاد شنقيط، فأذن لذلك الرجل في الورد دون مماثلة¹.

ولما شهد الحاضرون ما جرى بين الرجلين، تقدم كل واحد منهم إلى محمد الحافظ ليأخذ الورد التجاني، وكيفية أداء الأذكار. فلبى محمد الحافظ رغبة الجميع وأطلعهم على كيفية التعامل مع ما حصلوا عليه من أذكار، وأوصاهم بضرورة التزام الشروط التي لابد من احترامها للحصول على الفضائل المرجوة² منها. وعندما عاد كل واحد من أفراد هذه الجماعة إلى بلده وعشيرته، وقصوا على ذويهم خبر هذا الشيخ الذي يعطي ورد الطريقة التجانية: «فلم يبت بيت في تلك الليلة من البيوت القريبة من منزل الشيخ محمد الحافظ إلا وبات فيه ذكر الشيخ (سيدي احمد التجاني) رضي الله عنه و من الغد أتاه الناس أفواجا للأخذ عنه، ثم تواصل ذلك، و تراسل فانتشرت الطريق على يده أي انتشار بالمغرب الأقصى من جبال التكرور وأحوازها واعتنى ببثها ونشرها إلى أن وصلت

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س.ص 357 - 358.

2 - نفسه، ص 357 - 358.

أقصى معمور الأرض مغربها ويمينها و شمالها وإن كان ذهب بها
أحد قبله فما نشرها¹...». وفي نفس الموضوع يقول صاحب ضالة
الأديب «فلما استقر محمد الحافظ بالكلية أخذ عنه عامة أهل البلد
هذه الطريقة²...».

لم يخب إذن ظن سيدي احمد التجاني، عندما عين محمد الحافظ نائبا
عنه، في أصقاع الصحراء، لما قرأه فيه من الهمة و علامات الفتح، و تمكن
من الشريعة التي تعتبر سلاحا فعالا لكل ذي شأن خطير في حقل الدعوة
إلى الله، سيما و بلاد شنقيط كانت تطفح آنذاك بفطاحلة العلماء المسلمين،
عموما، و القادرين منهم على الخصوص، إذ تتجلى أهمية التمكن من علوم
الشريعة الإسلامية، في قدرة العالم الداعية على الإقناع و الإفحام،
و لما كانت هذه الشروط تتوفر في محمد الحافظ فقد تحقق له من النجاح
في مهمته، ما نقرأه في هذا النص من انتشار سريع و شامل لتعاليم
الطريقة بالمنطقة التي ينتمي إليها، و خارجها من جهات مترامية الأطراف.
غير أن هذا الإشعاع ما كان ليتحقق أيضا لو لم يعين محمد الحافظ مقدمين
توكل إليهم مهمة التعريف بأذكار الطريقة، و إعطاء أورادها لمن يرغب في
ذلك، خصوصا بالنسبة للمناطق البعيدة عنه، و هو ما كان مخولا للبحث فيه

1 - محمد الحجوجي الحسني، م.س.ص 191.

2 - سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن أنبوجة العلوي التيشيتي، ضالة

الأديب، م.س.ص 94.

في حدود عشرة أشخاص، يقدمهم بأذن من الشيخ التجاني كما نعلم¹،
فهل قدم فعلا عشرة أشخاص؟

لا تمكنا الوثائق المتوفرة حاليا من الجواب بالإيجاب، و كل ما نعرفه
في هذا الصدد تقديمه لثلاثة أشخاص بينهم امرأة، و يمكن أن نجتهد
فنضيف رابعا و الستة الباقون لا ندري هل قدمهم و لم نطلعنا المصادر
التي اطلعنا عليها، على معرفتهم، و قد يكون خبرهم واردا في كتب أخرى
لم نصل إليها. كما يحتمل أن تكون وفاته قد حالت بينه و بين تعيين عدد
المقدمين المرخص له به بكامله. و سواء كان الأشخاص المقدمون من قبله
هم الذين سنذكر أسماءهم فقط، أم وجد غيرهم ممن لم نطلع على هويتهم،
فالنتيجة واحدة، و هي نجاح محمد الحافظ و مقدموه على عهده، و بعد
وفاته، في زرع بذور الطريقة التجانية و رعايتها حتى اشتد عودها، ليس
في الساقية الحمراء و وادي الذهب، حيث كان الشيخ ماء العينين يعطي
وردها أيضا إلى من يرغب في ذلك²، و بلاد شنقيط فحسب، و لكن أيضا
فيما وراء نهر السنغال و النيجر و إلى أقصى معمور الأرض كما هو وارد
في النص السابق.

أول شخص من بلاد شنقيط، أخذ عن محمد الحافظ ورد الطريقة
التجانية، و أصبح مقدما بها، و كان له بال في خدمة أهدافها بكل جدية

1 - ورد هذا التحديد في ص 356 من كشف الحجاب، م.س.

2 - محمد المختار السوسي، المعسول، م.س، ج 4، ص 68.

و ثبات، هو مولود فال (ت 1267/1851)¹ الذي رحل إلى فاس مرتين للأخذ عن أكابر الطريقة، و زيارة قبر الشيخ المؤسس، و تصدر للتربية بعد الشيخ محمد الحافظ و هو الذي تخرج على يده بانم المعروف بولد حم، الذي كان منخرطاً في الطريقة القادرية²، و يتعبد بالورد القادري الكنتي. و هذا يدل على أن مولود فال كان له من القبول و الفتح في الطريقة، و التمكن في العلم ما جعله، يقنع الخصوم، و يهديهم بالتالي هي أحسن لما يرى فيه خيرهم.

أما ثاني شخص أخذ عن محمد الحافظ و تخرج عنه، هو محمد بن عبد الله العلوي الشنجيطي الملقب بحسان الطريقة، لأنه دافع عن التجانية و شيخها ضد الخصوم و المنكرين، عن طريق نظم عدة قصائد، على غرار

1 - ترجم له كل من:

- محمد الحجوجي الحسني، م.س، ص 191.

- احمد بن محمد بن العباس العلوي الشنجيطي، روض شمائل أهل الحقيقة، م.س، ص 11.

- عمر بن سعيد الفوني، رماح حزب الرجم على نحو حزب الرجم، بهامش كتاب جواهر

المعاني لعلي حرازم براءة، بيروت 1988. ج I، ص 180.

- محمد العربي بن السايح، م.س، ص 259.

- احمد بن الأمين الشنقيطي، م.س، ص 68.

- احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 357.

- خليل النحوي، بلاد شنقيط، المنارة و الرباط، م.س، ص 532.

2 - محمد الحجوجي الحسني، م.س، ص 191.

ما كان يفعله حسان بن ثابت شاعر النبوة¹، وعلى نهجه سار ابنه سيدي الهادي. ومن هذه الأشعار نقدم بعض ما قاله حسان الطريقة مادحا محمد الحافظ.

ألا فاحمدوا ربا أقام خليفة من الشيخ قد سدت ثلثة القطب
فلولا وجود العارفين و سرهم تضعع أركان الخلائق عن كتب
ألا فاقدروا من قدره و تأدبوا فكم قاد للخيرات صاحب الأدب²

وفي نفس الموضوع قال ابن الهادي الذي كان من المجيدين في الشعر عربية و حسانية، عندما ذهب لزيارة قبر محمد الحافظ ثم رجع قبل أن يصل بسبب اشتداد الحر إلى المحال الذي قبض فيه روحه:

زر مقبض الشيخ الذي من زاره ظفرت يده بما يشاء و يرتضي
و أنل الحدس مهابة و محبة و اهتاض برء من سقام ممرض
لا تحسبوا زور الضريح من حجا سيان زور ضريحه و المقبض³

1 - سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن أنبوجة العلوي التيشيتي، م.س، ص 39.

2 - محمد الحجوجي الحسني، اتحاف أهل المراتب العرفانية، م.س، ص 192

3 - نفسه.

أما المرأة التي نالت التقديم من محمد الحافظ فهي زوجته السيدة فاطمة أخت حسان الطريقة، و كانت من العارفات، جعلها زوجها إحدى المقدمين العشرة، و ظهرت عليها كرامات منها أنها كانت ترى زوجها بعد وفاته و تكلمه.

و يذكر صاحب إتحاف أهل المراتب العرفانية أنها كثيرا ما كان يرسل معها الناس الكلام إليه فتأتيهم بالجواب من عنده بما لا يمترون فيه من إقامة الدلائل و الآيات¹، و بالنظر إلى هذه الأمور الخارقة للعادة التي لاحظها الناس عليها، فقد كانت وراء دخول عدد كبير من أهل المنطقة في الطريقة التجانية، خصوصا النساء اللاتي كن يتلقين على يديها دروسا توجيهية في كيفية التعامل مع الأمداح و الأذكار و الأوراد.

و بخصوص الشخص الرابع الذي نفترض أنه أخذ التقديم عن محمد الحافظ، و لعب دورا كبيرا في نشر الطريقة التجانية بالمنطقة، فنقصد به محمد السالك الوداني المشار إليه سابقا ضمن الشناقطة الذين أخذوا عن الشيخ مباشرة بفاس. و من الأسباب التي جعلتنا نفترض أنه أخذ التقديم عن محمد الحافظ، ما يذكره عنه احمد سكيرج رواية عن ابن السايح، من أنه تخرج على يده جملة من المقدمين منهم ولد عمه الأمين الوداني و المقدم سيدي محمد المختار، و المقدم ولد عمه سيدي احمد الوداني²،

1 - المصدر نفسه، ص 191.

2 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 365.

و نحن نعرف أنه لم يأخذ التقديم من الشيخ سيدي احمد التجاني مباشرة
عندما زاره بزاويته بفاس، مما جعلنا نميل إلى الاعتقاد بأنه قد يكون أخذ
عن محمد الحافظ، إنه مجرد افتراض. و على يد محمد السالك الوداني هذا،
و بصفته مقدما، يضيف احمد سكيرج، انتشرت الطريقة التجانية في أقطار
السودان¹، و لأحمد الوداني أخ السابق أشعار بالعربية و الحسانية في
التغني بالطريقة و شيخها من ذلك قوله:

إلى أحمد التجاني وجهت وجهتي
و ما ضاق من صدري و ما قل من صبري
و للمصطفى وجهته وبوجهه
تشفعت كي أعطي السلامة من ضري
و من فضله وجوده يعطف عطفة
و يكشف عني الضر من حيث لا أدري
و يدفع عني العسر باليسر عاجلا
و يفتح لي قلبي و يشرح لي صدري²

1 - المصدر نفسه، ص 365 - 366.

2 - محمد الحجوجي الحسني، م.س، ص 207 - 208.

و له أيضا حينما قرر مغادرة فاس بعد زيارة شيخ الطريقة:

ضيف الكرام إذا ما قام مرتحلا هيئوا و حثوا و أصلحوا له عوجا
و زودوه بما قد كان يطلبه و كل حاج و متوسل و كل رجا
و ان ضيفا لتاج العارفين غدا و عزمه سفر يلقي به الفرجا¹

و مما يعبر عن الدور الفعال الذي لعبه أحمد الوداني في نشر الطريقة
التجانية ببلاد شنقيط عموما و ودان خصوصا، هذه العبارة التي ختم بها
محمد الحجوجي ترجمته: «و لازال رحمه الله إلى أن توفي تفد المشكلات
عليه فيصدرها و ترد السؤالات عليه فلا يردھا²...».

2 - دور هذا الانتشار في تقوية نسيج وحدة بلاد شنقيط و الوحدة الوطنية الكبرى:

أ - أهمية قبيلة إد وعلي: لم يختف محمد الحافظ الشنجيطي من
الوجود بعد سنة 1245/1830³، إلا بعد أن ركز دعائم الطريقة التجانية

1 - المصدر نفسه، ص 208.

2 - نفسه، ص 208.

3 - نفسه، ص 192.

بالصحراء المغربية، و عين مقدمين يخلفونه في مهمته بالمنطقة لضمان استمرارية انتشار تعاليمها. ورغم قلة المصادر التي تتوفر عليها بخصوص هذا الانتشار، فإنها قد مكنت مع ذلك من تكوين صورة أولية عن عن أهميته و أبعاده و دوره في تمتين الوحدة بين الشناقطة أنفسهم أولا ثم بين هؤلاء و باقي جهات المغرب ثانيا فضلا عن دوره في تجديد الإسلام، و التعريف بالحضارة المغربية و أصالتها فيما وراء نهري السنغال و النيجر. غير أن هذا الانتشار على أوسع نطاق ما كان ليتم لولا الدور الذي قامت به قبيلته إد وعلي التي ينتمي إليها محمد الحافظ، و جل الذين خلفوه في مهمته. و نظرا لهذا الإنجاز التاريخي الذي ساهمت به في تقوية نفوذ الوحدة المغربية الكبرى انطلاقا من أقصى الجنوب، فقد رأينا أنها تستحق منا التفاتة خاصة للتعريف بها أكثر.

لم تحسم المصادر بشكل عام، المحررة منها بالعربية أو بلغات أجنبية في مسألة النسب الحقيقي لقبيلة إد وعلي، باستثناء الحسم المبني على التأويل الغيبي المنطلق من تفسير الأحلام، المنسوب للتجاني، مؤلف منية المريد كما سيأتي، و هو شيء مقبول عند التجانيين و غير التجانيين من الصوفيين، خصوصا عندما تكون القضايا المطروحة للمناقشة مدعمة بنصوص من الكتاب و السنة.

نبدأ النبش في هذا الموضوع بما ورد عنه في كتاب بغية المستفيد لشرح منية المريد. و ما يمكن استنتاجه منه بعد قراءة ما له علاقة بهذا

الجانب، هو أن المؤلف محمد العربي بن السايح ساق خبرين حول نسب قبيلة إد وعلي، الأول فيه قول غير فاصل و غير مضبوط و لا موثق، ثم عاد في صفحة لاحقة من نفس الكتاب ليقدم رأيا آخر في الموضوع، ولكن هذه المرة بشكل حاسم على ما يبدو. وهكذا ورد رأي محمد العربي بن السايح الأول في سياق تعقيبه على أول بيت لمنظومة منية المريد¹ التي قام بشرحها، ضمن كتابه البغية، و مضمون هذا البيت هو:

قال ابن بابا العلوي نسبه المغربي المالكي مذهبه²

أما التعقيب فأهم ما جاء فيه، هو أن بابا هو اسم والد الناظم، و العلوي نسبة لقبيلة ذوي علي (إد وعلي)، و هي قبيلة معروفة من قبائل شنقيط، ينتسبون إلى محمد بن علي كرم الله وجهه «و قيل إلى علي آخر هو جد القبيلة و القبيلة عند قائل هذا منسوبة إلى مولانا الحسن السبط رضي الله عنه، هذا الذي سمعته من الناظم رحمه الله³...»، و هو التعريف نفسه الذي نقله العباس بن ابراهيم في

1 - ابن بابا الشنقيطي العلوي، منية المريد في الطريقة التجانية، تونس، د.ت.

2 - محمد العربي بن السايح، بغية المستفيد لشرح منية المريد، م.س، ص 98.

3 - نفسه، ص 98.

الجزء الثالث من الأعلام حرفياً، عن كتاب البغية لابن السايح¹.

هذا الناظم (ابن بابا)، الذي اعتمده ابن السايح في هذه الرواية، كان قد راسله² من عين ماضي بشأن القصيدة التي نظمها هناك والتي وعده بأن يرسلها إليه ليطلع عليها، واسمه كما سبق هو التجاني بن بابا العلوي الذي أخبرنا ابن السائح أنه التقى به عند مروره بمكناس سنة 1841/1257³. ورغم أنمنية لم تمهل الناظم، كي يسلمه المنظومة بعد تنقيحها كما وعد بذلك، إلا أن الله قيض له، يفيد ابن السائح، من أتى بها إليه، بعد وفاة صاحبها.

و يرد سبب تعديل رأي ابن السائح بخصوص نسب قبيلة إد وعلي الذين يسميهم ذوي علي، إلى المعلومات الجديدة التي حملها له صديقه الناظم التجاني بن بابا، عند مروره بمكناس على ما يبدو. والتي حصل منها ابن السائح على حجة قاطعة لتحديد حقيقة نسب قبيلة إيد وعلي بشكل نهائي، كما يفهم من سياق كلامه، رغم ما يحيط بالرواية التي ساقها في الموضوع من ابتعاد عن الموضوعية، و اغراق في الميتافيزيقا⁴.

1 - العباس بن ابراهيم، الأعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام، المطبعة الملكية،

1975، ج III، ص 82 - 83.

2 - الناظم هو الذي راسل ابن السائح.

3 - محمد العربي بن السائح، م.س، ص 101.

4 - المقصود به نسب قبيلة إد وعلي.

و ملخص ما ورد في هذه الرواية التي جعلت ابن السائح يرجع النسب إلى علي جد القبيلة المنحدر من ذرية الحسن بن فاطمة الزهراء، هو أن الناظم أخبره مرارا بأنه وجد أهله ينتسبون إلى محمد بن الحنفية نجل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، في حين كان والده يسر إليه أنهم من أولاد الحسن بن علي، وأن النسبة المذكورة هي إلى علي أحد أجدادهم لا غير. وهذا ما جعل الناظم، يقول ابن السائح يحتار من أمره، ولا يستقر على حال، إلى أن حلت عقده في الرؤيا التي رآها وهو نائم، فقد دخل خلال هذه الرؤيا إلى بستان به نهر يجري، وإلى جانب النهر يوجد حوض يتجمع فيه الماء، وبجانب هذا الحوض شاهد امرأة تتوضأ كاشفة عن ساقها و ذراعيها كما هي حالة المتوضئ، بجانبها شابان واقفان ينظران إليها، فاستحيى أن يوجه نظره إليها لأنها ليست بذات محرم منه، و انحرف، فأشارت إليه بأن يتقدم، فتقدم إلى أن دنا منها فاستيقظ¹.

ولما قص رؤياه على رجل مشهور بتفسير الأحلام في البلاد، قال في تأويلها: «لعل لهذا الرائي نسبة إلى مولانا فاطمة الزهراء، وهذه الرؤيا تحققها حيث أنها لم تستتر منه، والشابان هما الحسن والحسين، وقد دعت إلى الدنو منها²...» فسر الناظم بذلك و زال عنه التردد و الحيرة. و مثل هذا التأويل عند القوم، بما فيهم

1 - محمد العربي بن السائح، م.س، ص 101.

2 - نفسه.

ابن السائح، كما قلنا لا ضير فيه و لا عيب.

من جهته لم يأت الفقيه احمد سكيرج بجذب في هذا الموضوع لأنه ينقل عادة عن العربي بن السايح، و يحيل عليه في الكثير من المعلومات التي يوردها في كشف الحجاب، مع فارق واحد بخصوص التطرق لقبيلة إد وعلي، فالعربي ابن السايح، تكلم عنها عندما كان بصدد التعقيب على البيت الشعري الذي ورد فيه اسم الناظم، في حين تعرض احمد سكيرج لنفس القبيلة، بمناسبة ترجمته لمحمد الحافظ العلوي الشنقيطي، مدرجا في نفس الوقت البيت الشعري من منظومةمنية الذي يرمز لهذه الشخصية و الذي جاء فيه:

و العلوي الوارث الرباني سيدنا الحافظ ذي العرفان¹

و المراد بالحافظ في هذا البيت، محمد الحافظ العلوي الشنقيطي، شيخ الطريقة و ناشر تعاليمها كما علمنا بالمنطقة و يأتي في نسبه ما تقدم في نسب الناظم ابن بابا، لأنه من قرابته. و الذي تقدم يقول احمد سكيرج، نقلا عن ابن السايح في البغية، هو أن العلوي نسبة لقبيلته ذوي علي، و هي قبيلة من قبائل شنجيت، و هم ينتسبون إلى سيدي محمد بن مولانا

1 - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 355.

علي كرم الله وجهه، وقيل إلى علي آخر هو جد القبيلة، و القبيلة عند قائل هذا منسوبة إلى الحسن السبط¹.

و بذلك يتضح أن احمد سكيرج لم يأت بجديد بخصوص نسب هذه القبيلة. وعندما نتصفح كتاب أهل المراتب العرفانية لمحمد الحجوجي، وهو متأخر عن ابن السائح و سكيرج، نجده لا يحيد عن ما أورده الأول منهما الذي يعتبر أصلاً، و نفس الشيء يقال بالنسبة لمؤلف الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، غير أن صاحب ضالة الأديب الذي يلاحظ أنه لم يهتم بتأصيل نسب هذه القبيلة، أورد إفادة حكم قيمة من شأنه أن يعمل على تعزيز و تأكيد ما أسلفنا من قول عدة مرات بخصوص أهميتها، بالمنطقة، فهي في نظره: «قبيلة من قبائل الزوايا ذات وزن ثقافي و اجتماعي هام جداً في بلاد شنقيط، موزعة ما بين ادرار و تكانت و القبلة²».

و من المصادر المهمة التي أولت عناية خاصة لقبيلة إد وعلي و دورها في نشر التجانية بالمنطقة على يد شيوخها، العمل الذي أنجزه بول مارتى Paul Marty تحت عنوان دراسات حول الإسلام

1 - المصدر نفسه.

2 - سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن أنبوجة العلوي التيشيتي، ضالة

الأديب، م.س، ص 93، هامش 2.

الموريتاني¹، و يعتبر عمل مارتي هذا، رغم بعض المآخذ عليه، من الأعمال الميدانية المباشرة القليلة في هذا المجال، باعتبار ما قدم فيه من وصف للإنتشار الواسع لهذه الطريقة في الأرجاء الموريتانية. فعلاوة على إقليم شنقيط الذي انطلق منه السند الحافضي الشنجيطي، تحدث مارتي عن ترارزة، و تاكانت، و أدرار، كأقاليم كبرى، عمها التأثير التجاني، و أورد أسماء بعض الشيوخ التجانيين في كل إقليم، من الذين كانوا لا يزالون على قيد الحياة عندما كان منهمكا في جمع المعلومات حول إطار موريطانيا (بلاد شنقيط) الطبيعي و البشري، في نهاية القرن 19 و مطلع القرن 20². و قبل أن يتطرق مارتي للتوزيع الجغرافي لانتشار تجانية إد و علي، قدم لنا جدولين توضيحيين مفيدتين، حول وضعية السند التجاني الحافضي الشنجيطي، في الفترة التي كان يبحث فيها عن تاريخ مجتمع المنطقة. أما توزيع شيوخ التجانية ببلاد شنقيط فقد قسمه إلى ثلاثة أقسام، و فصل القول في كل قسم منها، و بما أن المجال لا يسع لتقديم كل هاته التفاصيل، نقتصر هنا على تقديم عناوين هذه الأقسام فقط.

أ - أهم شيوخ التجانية بالترارزة³.

1 - Marty (P.), Etude sur l'Islam maure, op, cité. -

-Ibid. p. 215 à 255. - 2

-Ibid. p. 220. - 3

ب - أهم شيوخ التجانية بتكانت¹.

ج - أهم شيوخ التجانية بأدرار².

هذا الانتشار الذي عم كل أرجاء بلاد شنقيط، تبعاً لهذا التقسيم يجعلنا نختلف قليلاً، مع ما ذهب إليه بول مارتى، وكأنه يتناقض مع نفسه، من أن قبيلة إد وعلي جعلت من التجانية إقطاعاً خاصاً بها³ خصوصاً إذا كان يقصد بذلك احتكار التجانية لها وحدها. غير أننا نتفق معه تماماً، فيما وجد في تعاليم التجانية من أداة فكرية، جمعت شتات هذه القبيلة و وحدتها و رفعت من معنوياتها بين القبائل الأخرى⁴.

و من جهة أخرى، يلاحظ الدارس أنه في الوقت الذي ينكر فيه بول مارتى، على هذه القبيلة نسبها الشريف⁵، نجده يشيد بتصدرها العلمي، ونفوذها الثقافي و امتلاكها لعدد كبير و ثري من خزانات الكتب⁶ فلا وجود عندهم، يضيف نفس المصدر، لأطفال، بنين أو بنات لا يأخذون تعليماً قرآنياً أولياً على يد معلمين و معلمات منحدرين من مختلف شرائح

-Ibid. p. 225. – 1

-Ibid. p. 228. – 2

-Ibid. pp. 216 à 218. – 3

-Ibid. p. 215 . – 4

-Ibid. p. 237. – 5

-Ibid. – 6

المجتمع، من بين الأحرار و الحراطين، بل حتى المكفوفون يكسبون قوت يومهم في مهنة التعليم¹. و بعد أن قدم مارتى رأيه حول إد و علي بالشكل الذي حدده، دون أن يقدم المصادر التي اعتمد عليها بالإضافة إلى التحري الميداني، لاحظ على الخصوص قائلاً: «إن الخلاصة التي تفرض نفسها إذن، هي أن هذه القبيلة ذات السمات المتنوعة، تشكل أهمية بالغة، فهي تستحق عملاً منسقاً و متواصلاً مؤسساً على الدراسات العلمية، و المرونة الإدارية، و المراقبة السياسية، من قبل كل الدوائر المعنية²...».

و كتعقيب على هذا النص، لا يجد الدارس صعوبة، في فهم مغزى الرسالة التي أراد مارتى أن يمررها، من خلاله، إلى مختلف مراكز المسؤولية و القرار في فرنسا و إفريقيا الغربية، للقيام بكل ما يجب لرصد تحركات العناصر التجانية المؤثرة من إد و علي، في كل البلاد الشنقراطية، نظراً لما تلعبه من أدوار دينية و ثقافية و تنويرية لصالح الأهالي، مما لا يخدم المصالح الفرنسية بالمنطقة، و هذا أكبر دليل في نظرنا على أن التجانيين الحقيقيين لم يكونوا في ركب الاستعمار كما ذهب إلى ذلك عدد غير قليل من الباحثين، فرنسيين و عرباً. و إذا كان من الممكن نعت تجانيي

-Ibid. – 1

-Ibid. p. 238. – 2

الجزائر بالتواطئ مع المستعمر لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية، فإن الأمر يختلف بالنسبة لتجانيي بلاد شنقيط و السودان الغربي الذين يستمدون هويتهم الصوفية التجانية من المغرب، كما سنوضح ذلك في الفصول الخاصة بالسودان الغربي.

ب - دور انتشار تعاليم الطريقة في تقوية نسيج وحدة بلاد شنقيط و الوحدة الوطنية الكبرى:

بعد أن تعرفنا على ما أورده مختلف المصادر حول نسب قبيلة إد وعلي وأهميتها بالمنطقة، و التي علمنا من خلالها أنها لم تتفق على رأي واحد، ننتقل لمحاولة الاطلاع على المجهود الذي بذلته نفس القبيلة من خلال أعلامها التجانيين الذين أخذوا إما مباشرة عن الشيخ محمد الحافظ العلوي الشنقيطي، أو بصفة غير مباشرة، من أجل مواصلة نشر تعاليم الطريقة التجانية ببلاد شنقيط، و ما وراءها جنوبا، مساهمة بذلك في تعزيز وحدة الشناقطة من جهة و تعزيز الوحدة الوطنية المغربية من جهة أخرى. و لعل الجدول الآتي يساهم في توضيح ما نريد الوصول إليه:



1 - محمد الحجوجي الحسني، م.س، ص 191. =

من خلال هذا الرسم البياني، نستطيع أن نميز بين الذين أخذوا مباشرة الأوراد و التقديم عن محمد الحافظ و بين الذين أخذوا عنه بواسطة واحدة أو عدة وسائط، مما ضمن استمرارية انتشار الطريقة. كما يمكن أن نسجل من خلاله ثلاث ملاحظات.

الملاحظة الأولى نريد من ورائها شد الإنتباه إلى أن جل الذين يرجع سندهم في المشيخة إلى محمد الحافظ، هم من قبيلة إد وعلي، باستثناء مولود فال الذي يرجع أصله لإد ويعقوب¹، لأنه اندمج في قبيلة إد وعلي

= = - احمد سكيرج، كشف الحجاب، م.س، ص 357.

- محمد العربي بن السائح، م.س، ص 275.

2 - نفسه.

3 - نفسه.

4 - محمد الحجوجي الحسني، م.س، ص 114.

- محمد العربي بن السائح، م.س، ص 100.

5 - نفسه.

6 - محمد الحجوجي الحسني، م.س، ص 191.

7 - سيدي عبد الله بن سيدي محمد الصغير بن انبوجة العلوي التيشيتي، ضالة الاديب،

م.س، ص 27.

8 - نفسه.

- محمد العربي بن السائح، م.س، ص 259.

9 - نفسه.

10 - نفسه، ص 259.

1 - Marty (P.), op. cité, p. 222.

وأصبح واحدا منها، ويرجع سبب ذلك حسب بعض المصادر إلى أن تعلقه الشديد بشيخ الطريقة سيدي احمد التجاني جعله يشد الرحال إليه حتى فاس لزيارته و التبرك به، لكن لسوء حظه وصل أياما قلائل بعد وفاته، واستلم من أيدي تلاميذه وهو يذرف الدموع، أشياء مثل السبحة و سجادة الصلاة¹ كان قد أوصى له بها الشيخ قبل وفاته لأنه كان على علم بمجيئه. و عند عودته آسفا، إلى بلده، هاجر مولود فال صحبة بعض الخيام من أقاربه و أصدقائه إلى إد وعلي فأخذ عن الشيخ محمد الحافظ الذي زوجه بأخته و صار أحد كبار تلامذته الذين كان لهم شأن خطير في نصره الطريقة².

ثاني هذه الملاحظات تتعلق بأحمد بن محمد الحافظ، الذي لم تشر إليه أغلبية المصادر التجانية التي نتوفر عليها لا من قريب و لا من بعيد³، باستثناء صاحب ضالة الأديب الذي أشار إليه عندما كان بصدد الحديث عن الصلة التي كانت تربط أباه⁴ و الجماعة التجانية في بلاد الترارزة بعد وفاة محمد الحافظ و محمد بن سيدنا «كما تدل على ذلك أبيات صاحبنا

1 - اعتاد المغاربة منذ عدة قرون استعمال جلد الخروف المصوف، بعد تنظيفه و تطهيره كسجادة للصلاة. و مما لا شك فيه أن السجادة المعنية هنا هي من هذا الصنف.

2 - Marty (P.), op. cité, p. 222.

3 - و على الخصوص كخليفة لأبيه.

4 - نقصد أب مؤلف ضالة الأديب.

التي خاطب بها الشيخ أحمدو بن الشيخ محمد الحافظ¹ « وقد ورد هذا الذكر كما نلاحظ من دون أن يرفق بكلمة خليفة أو مقدم.

و ضمن المصادر الأجنبية تحدث بول مارتي P. Marty عن أحمدو ابن محمد الحافظ، و لكن بصفته خليفة أبيه في الطريقة التجانية، و ذكر أسماء بعض التجانيين الذين أخذوا عنه².

و هذا ما يدل على أنه أخذ التقديم من أبيه، لكن لا نعرف السبب الذي حال دون اشتهاره بنفس شهرة محمد الخليفة أو مولود فال، أو بانمو، أو غيرهم من الذين أخذوا عن أبيه. فهل يرجع ذلك إلى ما قام به نفسه قبل وفاته من تقسيم للسلطة الروحية بين ابنه أحمدو و تلميذه محمدي³ تبعا لما أورده مارتي Marty الذي لا يذكر مصادره، فترتب عن ذلك آثار سلبية بالنسبة لابنه، بحيث نفترض أن أنصار محمدي الخليفة، عملوا في الخفاء على التقليل من أهمية منافسيهم إلى أن تحقق لهم ذلك؟ و قد تكون هناك أسباب أخرى لم نتمكن من الإطلاع عليها.

أما الملاحظة الثالثة و الأخيرة، فنفردها لمحمد العربي بن السائح

1 - سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن انبوجة العلوي التيشيتي، ضالة الأديب، م.س، ص 40.

2 - Marty (P.), op. cité, pp. 226 et 231.

3 - يعرف بمحمد الخليفة لأنه خلف شيخه محمد الحافظ في الطريقة، لكن اسمه الحقيقي كما أورده صاحب ضالة الأديب في (ر ص 40) هو محمدي ابن سيدنا.

الذي يوجد ضمن هذا السند الحافظي الشنقيطي، الذي أخذ فيه إجازة الطريقة عن سيدي عبيدة بن محمد بن الصغير بن أنبوجة العلوي التيشيتي، مؤلف ميزاب الرحمة الربانية¹، فعزز بذلك رصيده من شيوخ الطريقة الذين أخذ عنهم، لكن ما يهمننا في هذا السند، وكذا طلب الفقيه أكنسوس إجازة محمد بن محمد الصغير، مؤلف الجيش الكبير، هو ما يرمز إليه من دلالات التوصل و التكامل، من خلال الجسور التي ساهمت الطريقة التجانية في مدها بين شطري المغرب الشمالي والجنوبي، وهو أمر سيزداد وضوحا من خلال الفقرات التالية.

يمكن اعتبار كتاب ضالة الأديب من المصادر النادرة التي تتعرض بقدر غير قليل من التركيز للدور الذي لعبته الطريقة التجانية في تمتين الروابط بين جزئي المغرب الشمالي والجنوبي، بما في ذلك بلاد شنقيط، من خلال ما قام به بعض رجالها انطلاقا من تيشيت.

وقد تحدث مؤلف هذا العمل² عن الدور المزدوج الذي لعبه أبوه العلوي³ الأصل، بعد تحوله من الطريقة القادرية إلى الطريقة التجانية⁴ فهو

1 - انظر الجدول الذي يوضح السند الحافظي و من أخذ عنه مباشرة أو بواسطة.

2 - المراد به سيدي عبد الله بن سيدي محمد الذي ترجم لأبيه و جمع ما خلفه من مؤلفات في ديوان سمائه ضالة الأديب. و قد أسدى الدكتور أحمد ولد لحسن خدمة كبيرة للخزانة و القراء العربيين و الإفريقيين بتحقيقه و دراسته «لضالة الأديب».

3 - المقصود أنه من قبيلة إد وعلي، و ليس من العلويين الأشراف. = =

في الوقت الذي حصل له هذا التحول، و بالنظر إلى تضلعه في العلوم الإسلامية و غزارة إنتاجه الفكري، لم يقطع الصلة، انطلاقا من بلده تيشيت بآل الشيخ سيدي المختار الكنتي، شيوخه السابقين¹، بل نجد له إحالات كثيرة في كتابه الجيش² على مؤلفات الشيخين سيدي المختار وابنه سيدي محمد.

و نظرا للأدوار الرائدة، اجتماعيا و سياسيا و عسكريا، التي اشتهر بها ماء العينين، الفاضلي الطريقة، المتفرعة عن قادرية الكنتيين، فإن موقف محمد الصغير بن أنبوجة، مؤلف الجيش الكبير، و أب مؤلف كتابنا هذا، ضالة الأديب، المتسم بالمرونة³ و بعد النظر المنبثقين عن غنى فكري متنوع، و مع أنه اختار اتجاهها جديدا في التصوف، فقد أسهم إلى حد كبير، انطلاقا من تيشيت في تقوية عرى الوحدة بين ساكنة الساقية الحمراء و وادي الذهب من جهة، و بلاد شنقيط من جهة ثانية، و هذا يعني أن التجانية و الفاضلية (القادرية) عرفتا فترة من التعايش⁴ بالمنطقة خلال

= 4 - سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن أنبوجة العلوي التيشيتي،

ضالة الأديب، م.س، ص 38.

1 - نفسه، ص 180.

2 - الاسم الكامل لهذا الكتاب هو: الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سل على الشيخ التجاني

سيف الإنكار، و سنفصل القول في شأنه لاحقا.

3 - المتسم بالمرونة هو الأب صاحب الجيش الكبير.

4 - سيدي عبد الله بن سيدي محمد الصغير بن أنبوجة العلوي التيشيتي، ضالة الأديب، = =

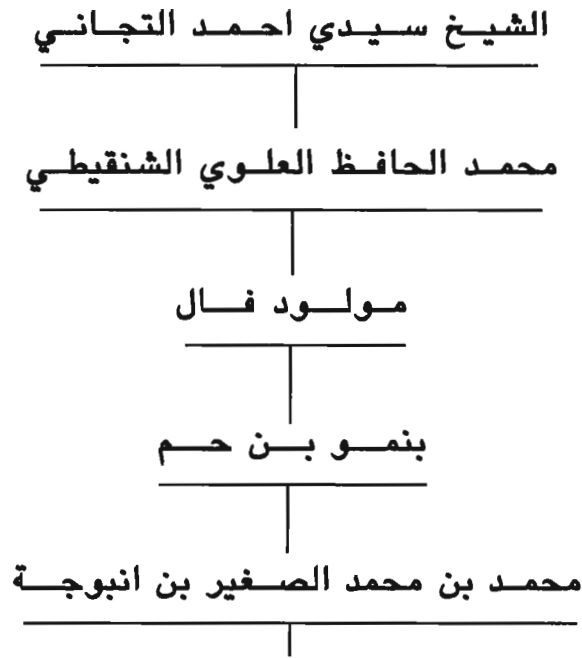
المرحلة التي سبقت الصراع و التناحر الذي سيؤدي بالطرفين إلى الدخول في نزاعات مسلحة، عندما بلغت دولة الحاج عمر الفوتي، خلال النصف الثاني من القرن 19، أوج قوتها كما سنوضح ذلك.

و عن صلاته مع تجانيي بلاد شنقيط، يطلعنا مؤلف ضالة الأديب أن علاقات مهمة ربطته بأعلام تجانيين، بسبب انتمائه الصوفي الجديد، ثم ما ترتب عن ذلك من جره لأشخاص آخرين لنفس الانتماء. أما الأعلام التجانيون الذين ارتبط بهم روحيا و فكريا من مقر إقامته، فكانوا يوجدون في كل من مدينتي ودان و شنقيط، و بلاد الترارزة. بل إن شيخه الأول في تجانية إد وعلي هو بانمو بن حمو ختار الحاجي الوداني¹ (من ودان)، ثم ما لبث أن طلب علو السند، في نفس الطريقة²، الذي يبدو، حسب نفس المصدر، أنه حصل عليه بالمراسلة عن مولود فال شيخ شيخه. ثم ما لبثت همته إلى أن تطلعت لما هو أسمى، فراسل شيخ مولود فال، الشيخ محمد الحافظ. كما يتضح من الرسم الآتي:

= = م.س، ص 180.

1 - نفسه، ص 26.

2 - نفسه، ص 38.



و حول نفس الموضوع أخبر محقق مخطوط ضالة الأديب، الدكتور احمد ولد الحسن عن أثرين لمراسلات تمت بين ما أسماه بالجالية التجانية التيشيتية و مركز التجانية الشنقيطي، أي حضرة الشيخ محمد الحافظ. أحد هذين الأثرين الهامين: «نفحة المنان في تأييد اعتقاد الإخوان»¹، و هو عبارة عن رسالة كتبها محمدي بن سيدنا² إلى تيشيت و ودان في

1 - المصدر نفسه.

2 - هو المعروف بمحمد الخليفة و حسان الطريقة، لأن محمد الحافظ جعله خليفة له في

الطريقة.

حياة الشيخ محمد الحافظ، و عن إذنه، و يدور مضمون هذه الرسالة حول تقديم محمد الحافظ لصاحبنا (محمد بن محمد الصغير)، أي الترخيص له في تلقين الأوراد التجانية¹. أما الأثر الثاني، يضيف الدكتور احمد ولد الحسن، فهو الأجوبة التيشيتية، و هي عبارة عن أجوبة على مجموعة من الأسئلة، طرحها تجانيو تيشيت على الشيخ محمد الحافظ، فبدأ في الإجابة عنها ثم عاجلته المنية، فأكملها تلميذه و خليفته محمدي بن سيدينا²، و هو الذي كان يدعو صاحب الديوان (محمد بم محمد الصغير) كبير إخوتنا. و كانت تسمح هذه الروابط المتينة بين الطرفين بوصول ما جد من أخبار في إقليم تيشيت من جهة، و إقليم شنقيط من جهة ثانية، خصوصا الخطيرة منها، مثل ذلك خبر السجال الدائر بين التجانيين و أدبيجة الكمليلي، الذي وصل إلى علم محمد بن محمد الصغير التيشيتي، ذلك أن أدبيجة هذا حمل لواء الإنكار عليهم، و أطلق فيهم لسانه شعرا و نثرا³. و مما تجدر ملاحظته في هذا الصدد أن الشيخ محمد الحافظ الزم

1 - سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن أنبوجة العلوي التيشيتي، ضالة الأديب، م.س، ص 38 - 39.

2 - نفسه، ص 39.

3 - احمد بن الأمين الشنقيطي، م.س، ص 368.

- سيدي عبد الله بن سيدي محمد الصغير بن أنبوجة العلوي التيشيتي، ضالة الأديب،

م.س، ص 39.

اتباعه بالاعراض عن الرد عليه، فأطاعوه إلى أن وافته المنية، وبعد ذلك
تصدوا لمواجهة خصمهم، وكان بطل هذه المعركة، محمد بن سيدنا
شاعرهم في ذلك حتى أطلق عليه التجانيون حسان الطريقة، اقتبسنا من
قول هذا الأخير:

وإني لحسان الطريقة وأهلها أنود أبا جهل النكير وأزجر¹

وكان رد فعل محمد بن محمد الصغير التيشيتي، عندما علم بتناول
إديجة على التجانية والتجانيين، هو عدم الرضى والشعور بالسخط،
والإشمئزاز ضد هذا الخصم الذي أشهر عداؤه ضد أولياء الله، وهو ما
يفسر إسهامه شعرا في هذه المعركة، وقد قدم لنا ابنه، وقد قدم لنا ابنه،
ضمن كتابه ضالة الأديب الذي ضمنه ديوان أبيه، قصيدة من شعره ينتقد
فيها إديجة، جاء في مطلعها، منافحا عن الشيخ سيدي احمد التجاني:

تصديت للهجاء بأدييج والطعن
وقابلت جهلا ما نصحناك باللعن

1 - سيدي عبد الله بن سيدي محمد الصغير بن انبوجة العلوي التيشيتي، ضالة الأديب،

و قلت لأطفال السفاهة شأنكم
بأعراض قوم هتك أعراضهم يضني
نصحنك نصحا زاعمين إفادة
و إذا لم يفد فاصدع بما شئت من طعن¹

غير أن رده على أدبيجة، بشكل معقلن و مدروس، كان إبراز و أبلغ
بعد أن ألف كتاب «الجيش» الذي لعب دورا كبيرا في شهرته و التعريف
به، و رفع مكانته بين معاصريه، دخل بلاد شنقيط و خارجها.
و في الجزء الشمالي من المغرب، و كل بلدان المغرب العربي.
و انتشر خبر هذا الكتاب أيضا في البلدان التي وصلت إليها تعاليم الطريقة
التجانية².

و سبب تأليف كتاب الجيش الكفيل بأخذ الثأر، ممن سل على الشيخ
التجاني سيف الإنكار، هو الرد على هجاء أدبيجة اللادع للطريقة التجانية
و شيخها، على إثر ما شعر به من غيظ و ألم، بعد قراءته للأوراق المتضمنة
للهجاء، كما يفهم من كلام المؤلف في مقدمة كتابه: «فأخذني ما يأخذ

1 - المصدر نفسه، ص 206.

2 - طبع كتاب الجيش على الحجر بفاس سنة 1319، و طبع بالقاهرة على هامش بغية
المستفيد لابن السائح (د.ت.)، و طبع مستقلا سنة 1938، انظر: ضالة الأديب، م.س، ص 31،
هامش I.

الحد المغيظ، غيرة وحمية على حمى حرمت أولياء الله الحفيظ، فهمت بتقطيعها وتمزيقها، بعد ما فهمت مراد صاحبها بترقيقها، ثم أمسكت عملاً بالتثبت الذي زمر به سبحانه في كتابه، وتثبيطاً لخاطر العجلة التي هي من عمل الشيطان وأحزابه، فانبعث التمس مخرجاً حسناً لصاحبها فأعياني، فندبني للرد عليها نادت لسانه شرع الظاهر ولسانه¹.

و حسب محقق مخطوط ضالة الأديب فإن صلة المراسلة بين محمد ابن محمد الصغير بن أنبوجة التيشيتي والتجانيين بإقليم الترارزة استمرت إلى ما بعد وفاة الشيخ محمد الحافظ و محمدي بن سيدنا، كما تدل على ذلك أبيات شعرية له، خاطب بها الشيخ أحمدو بن الشيخ محمد الحافظ، ورد في مطلعها:

سلام على وجه أعز كريم يوافيه من رب أبر رحيم
على أحمد ابن الشيخ حافظ عصرنا و ملجئنا في دفع كل رجيم²

1 - محمد بن محمد الصغير بن أنبوجة العلوي التيشيتي، الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سل على الشيخ التجاني سيف الإنكار، القاهرة 1938، ص 4.

2 - سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن أنبوجة العلوي التيشيتي، ضالة الأديب، م.س، ص 225.

إذا كانت هذه هي بعض سمات و مظاهر الدور الذي لعبته الطريقة التجانية في توطيد الصلات بين كل مكونات بلاد شنقيط البشرية، على يد محمد بن محمد الصغير بن انبوجة العلوي التيشيتي، كما يفهم من ذلك من مؤلفنا ابنه عبد الله، فما هي إثباتات دور نفس الشخص في تقوية روابط الوحدة الوطنية الكبرى، من خلال العلاقات التي ربطها بين كبار تجانيي شمال البلاد من جهة، و بين بعض سلاطين الدولة العلوية من جهة ثانية ؟ بما أن بلاد شنقيط كانت تشكل، كما أسلفنا جزءا لا يتجزأ من المغرب خلال القرن 19، فإن التنقل و النزوح البشري إلى مختلف جهات المغرب لأغراض علمية، سياسية، اقتصادية و عسكرية، كان و ظل متواصلا، مما كانوا يسمح بتتبع كل أخبار المملكة، جيدها و رذئها. و تبعا لذلك فإن كل جديد في العلم و المعرفة و السجلات الأدبية، كانم يصل إلى علم المهتمين بشؤون العلم و المعرفة.

و هكذا ما إن ألف محمد بن محمد الصغير بن انبوجة العلوي التيشيتي كتاب الجيش و سريته¹، الذي دافع من خلاله على الطريقة التجانية، و شيخها، رادا و داحضا بذلك افتراءات خصم التجانية الكبير إدجنة الكمليلي، حتى وصلت أخباره إلى كل جهات المغرب الأقصى،

1 - يقصد بالسرية هنا المنظومة الشعرية المرفقة بكتاب الجيش، هجا من خلالها عدو

التجانية إدجنة الكمليلي، تزيد على خمسمائة (500) بيت.

والمغرب العربي الكبير¹، ورغم ما كان يعرفه المغرب من تخلف في وسائل الطبع و النشر خلال النصف الأول من القرن 19، فقد تحمل رجالات التجانية بشمال المملكة كل المتاعب من أجل الحصول على نسخ مخطوطة من هذا الكتاب.

و مما لا شك فيه أن المستوى العلمي الكبير الذي ظهر به هذا الكتاب، إلى جانب كتب أخرى، و سمعة مؤلفه الطيبة التي سبقته إلى كل مكان، بصفته، فقيها تجانيا تولى منصب القضاء و الإفتاء²، في مقر إقامته بتيشيت، و عالما عاملا بلغ أقصى درجات الصلاح و التقوى، هي التي جعلت الفقيه أكنسوس، يقدر محمد بن محمد الصغير، حق قدره، ويذهب في ذلك إلى حد طلب الاستجارة منه، كما أخبر بذلك محقق مخطوط ضالة الأديب، احمد ولد لحسن الذي أفاد بأنه حصل من مكتبة الفقيه أكنسوس الخاصة بمراكش على رسالة الاستجارة التي وجهها العالم المراكشي إلى مؤلف الجيش، و بالغ من خلالها في الثناء عليه، و مما جاء فيها: « عالم الدين و الدنيا و عبارة لسانهما و مالك عصم حسانهما و بارق ديم إحسانهما، و واسم صفحات الدهر و راقم حله،

1 - سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن أنبوجة العلوي التيشيتي، ضالة

الأديب، م.س، ص 34.

2 - نفسه، ص 33.

و صاحب شفائه و رئيس عله، و صدر صدوره و زين محافله، ضياء
أعاليه و أسافله، و مصدر فرائضه و نوافله¹...».

و قد أورد صاحب ضالة الأديب رسالة أبيه الجوابية على رسالة
أكنسوس هذه، على طولها، و كلها ثناء على المخاطب بها. و تقدم
فيما يلي مقتطفات منها «... و لقد سعدت نفوس كنت ثروتها، وفازت قداح
فنة ما زلت حظوتها، و نقلت تابعة لخطوتك خطواتها، و صحت
سما ففتح أنت طلعة لوحثها، و رافع سمكها بإيقان نفوذ فتوحها، أمنة
من كسوف أنوارها، واثقة بمدرار أمطارها، على أقطارها،
فسحت على حجرها ومدرها و سالت أودية بقدرها، فأغنت عن
الاستسقاء، طوال البقاء²...»

و بعد أن حصل الفقيه أكنسوس على مبتغاه، بحصوله على
الاستجارة المذكورة، بعث برالة شكر و امتنان إلى الفقيه محمد بن
محمد الصغير، لم يقدم صاحب ضالة الأديب نصها كاملا، و اكتفى
بإيراد بعض منها، لطولها على حد قوله، و هذا بعض منها:
«... قطب المجادة الذي دارت عليه أفلاكها و شمس المعارف والعلوم الذي
انجلت به من الغواية والجهلة أحلاكها، عصام الملة و الدين، و منار

1 - المصدر نفسه، ص 40 - 41 ثم ص 259.

2 - نفسه، ص 144. و تبتدئ هذه الرسالة الجوابية في ص 129 لتنتهي في ص 146.

لأحب الهداية للمهتدين ... سيدنا أبو عبد الله ، محمد بن محمد الصغير، أعز
الله قدرك الرفيع العماد، ولا برح مجدك الذي إليه الاستنجاد وعليه
الاعتماد. وبعد فإني أقسم بذلك الجاه الذي إليه الاتجاه، لولا معاليك
الفاخرة، في هذه الأزمان المستأخرة، كما تبليج لمرتاد الهدى فجر، ولا
كان لسعيه ثواب ولا أجر¹ ...»

ثم ذيل الشيخ أكنسوس هذه الرسالة بأبيات شعرية، يعبر فيها عن
سروره بحصوله على الاستجارة التي اعتبرها نعمة، من مخاطبه، ومن
بين هذه الأبيات:

أزهاره ريح الصبا غب امطار	لقلدتنا نعماء كالروض عانقت
أياديك نهبا الحمد في كل موطن	تميل بأسماع إليك وأبصار
و أنت الذي قلمت أظفار فتية	الحت بأنياب حداد وأظفار ²

لم يكن الفقيه أكنسوس، هو الشخصية الوحيدة التي راسلت صاحبنا
في شمال البلاد، بل جرت مكاتبات بينه وبين بعض فقهاء التجانية الذين

1 - المصدر نفسه، ص 151.

2 - نفسه.

عاصروه في مختلف المدن المغربية، يشهد على هذا القول ما أورده صاحب ضالة الأديب من أن أباه كانت « له مكاتبات إليه كثيرة، مثل أعلام الطائفة التجانية المراكشيين و الفاسيين و المكناسيين و غيرهم من الأئمة¹ »، غير أنه مع الأسف لم يضمن كتابه أية رسالة في هذا الموضوع² الذي لا شك أنه بناه على رصيد وثائقي ورثه عن والده و لم يسعه المجال في ضالته لإدراجه كاملا لكثرتة ربما. و من ضمن الذين راسلوه على ما يظن إضافة إلى أكنسوس، الفقيه محمد العربي بن السائح، الذي ربطته بأخيه عبيدة صلات المشيخة و الإجازة، كما علمنا. وبما أن محمد بن محمد الصغير هو أخ وأستاذ و شيخ شيخ ابن السائح عبيدة، فمن المحتمل جدا أن يكون كتابه، لأخذ رأيه في شؤون الطريقة و بعض القضايا العلمية و الفتاوي، و طلب الاستجارة منه أيضا، على غرار الفقيه أكنسوس.

لم يكن محمد بن محمد الصغير شخصا مغمورا أو فقيها منعزلا، سلبيا في بلاده، بل كان عالما كبيرا، تولى منصب القضاء و الافتاء لمدة طويلة، و له مواقف مشهودة في الوعظ و الإرشاد و النهي عن المنكر، ولم يكن يخاف فيها لومة لائم. و مع ذلك فقد كان أحسن عون للسلطات

1 - المصدر نفسه، ص 41.

2 - باستثناء مراسلاته مع الفقيه محمد أكنسوس بطبيعة الحال.

المحلية، في حل ما استعصى من المشاكل الاجتماعية و السياسية، وإصلاح ذات البين، بين مختلف القبائل، من جهة، و بين هاته الأخيرة من جهة و السلطة المركزية من جهة ثانية، سواء على المستوى المحلي و الإقليمي أو المستوى الوطني.

و مما يشهد لمحمد الصغير، على الروح الوطنية الوجدانية التي كان يؤمن بها، و على مواقفه الواضحة، بخصوص هوية بلاده المغربية، الرسالة التي بعث بها إلى السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، و التي لم يدرج منها صاحب ضالة الأديب سوى مقدمتها، و مع ذلك، فهي تكتسي أهمية كبرى للتدليل على ولاء الشناقطة للملوك المغاربة. و مما جاء فيها: «... إلى الإمام الذي نشر جناح العدل في العالمين، و حمى حمى الملة و الدين، الجامع لسيرة أنامت الرعايا في مهاد الأمان، و سيرة تكفلت أياديها بكف عوادي الزمان، سلطان البسيطة، وإمام الخليفة ... و جامع كلمة الإسلام، و قامع عبدة الأصنام، القائم بالجهاد وفرضه ... سيدي و مولاي عبد الرحمان، حقق الله عبوديته، و رحم بدوام عدله خليقته و جدد له في كل زمان و مكان عزة و نصرا، و مسرة و بشرى¹ ...».

1 - سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد الصغير بن أنبوكة العلوي التيشيتي، ضالة

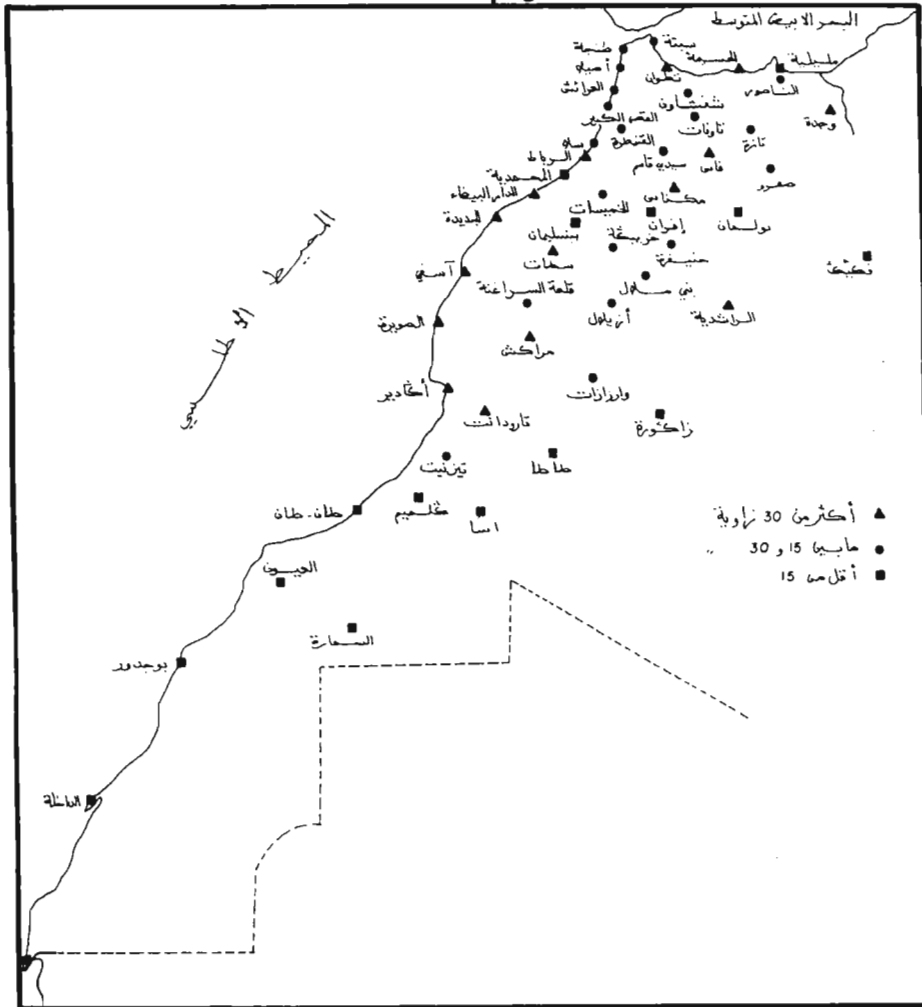
الأديب، م.س، ص 128 - 129.

و قد تكون لصاحبنا مراسلات أخرى مع السلطة المركزية المغربية،
لم تر النور بعد، و في حالة العثور عليها قد تسلط مزيدا من الضوء، على
ما قامت به الطريقة التجانية من أدوار، من خلال هذه العلامة، و غيره، في
لم الشمل بين شمال المغرب و جنوبه الصحراوي (الشنقيطي).

ملحق

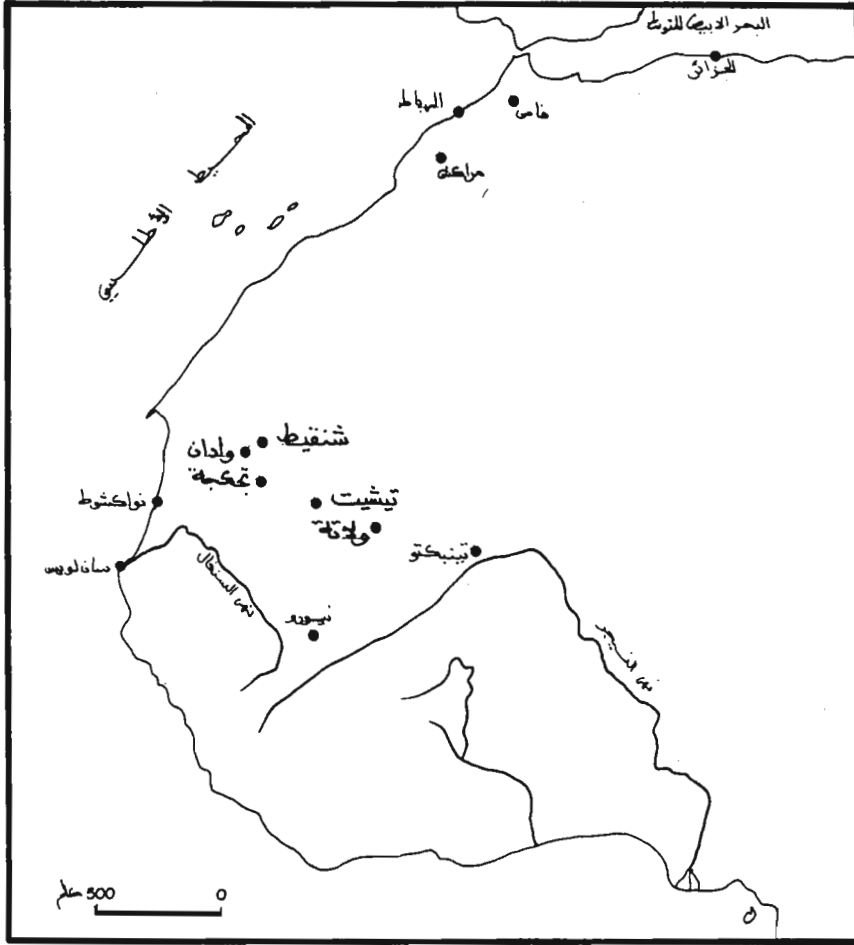
خاص بالخرائط

خريطة تبرز مدى انتشار تقاليم الزاوية التجانية بالمغرب من أقصاه إلى أقصاه طبعا
 لما أورده عبد العزيز ابن عبد الله في كتابه : La Tijania : une voie spirituelle et sociale .
 خريطة رقم 2



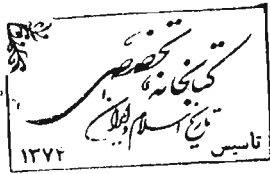
انظر الجزء الأول، الصفحة 153

خريطة رقم 3: المدن والأقاليم الشنتقراطية المكتوبة بخط بارز انتشرت فيها
تعاليم الطويّة التي جأية بشغل عبيد انطالوقامى فاسى ومدى شمالية أخرى



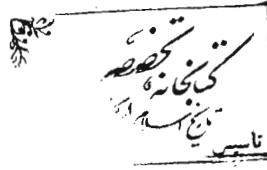
المصدر: خريطة من إعداد الباحث

انظر الجزء الأول، الصفحة 439



فهرس الجزء الأول

3	 تقديم
7	 تصدير
15	 مقدمة
41	 الباب الأول : قيام الزاوية التجانية بالمغرب
43	 الفصل الأول : التعريف بمؤسس الزاوية التجانية
5	 I - النشأة والدراسة في بيئة مفعمة بالورع والصلاح
55	 II - رحلاته من أجل استكمال المعرفة وطرق أبواب الولاية ...
63	 1 - الرحلة إلى بلاد الحجاز مروراً بالمغرب العربي ومصر
66	 2 - العودة من المشرق إلى المغرب والرحلة الثانية إلى فاس
	 III - إدراك الولاية والقطبانية بأبي سمغون بفعل العناية
70	 المحمدية
87	 الفصل الثاني : نشأة الزاوية التجانية بفاس
	 I - أوضاع المغرب العامة في نهاية القرن 18 وظروف وصول
87	 سيدي أحمد التجاني إلى المغرب
87	 1 - أوضاع المغرب العامة
99	 2 - ظروف انتقال سيدي أحمد التجاني إلى مدينة فاس ...
118	 II - تأسيس الزاوية التجانية بمدينة فاس
	 1 - إعجاب السلطان المولى سليمان بشخصية سيدي أحمد
118	 التجاني وانعامه عليه
136	 2 - تأسيس الزاوية التجانية



151	الباب الثاني : انتشار تعاليم الطريقة التجانية بفاس وباقي أنحاء المغرب
153	الفصل الأول : انتشار تعاليم الطريقة التجانية في فاس ونواحيها.....
153	I - انتشار تعليم الطريقة بفاس ونواحيها في عهد شيخها المؤسس
153	1 - أهمية شيخ الطريقة العلمية
194	2 - ترحيب السلطان بالشيخ سيدي أحمد التجاني وانخراطه في طريقته
198	II - أطر التنفيذ والعمل على نشر الطريقة
198	1 - تفاني صفوة من الأصحاب في خدمة الطريقة وشيخها
227	2 - شبكة من المقدمين مدعمة بفئة من التجار والحرفيين والمنشدين
252	III - تدخل شيخ الطريقة نفسه لتأطير مجهودات الدعاة والمقدمية ودعمهم
252	1 - الجولات والزيارات والرسائل
281	2 - انتشار أدبيات الكرامات وأخبار الخوارق المنسوبة للشيخ
292	الفصل الثاني : انتشار تعاليم الطريقة حتى بلاد درعة وسمارة.....
293	I - الانتشار حسب الجهات
295	1 - شرق المغرب حتى بلاد الأغواط وتماسين
310	2 - صحراء المغرب الشرقية
315	3 - سايس، جبال وبلاد الريف
326	4 - سهل الغرب والرباط سلا
332	5 - جبال الأطلس وما والاها من سهول وصحاري
337	6 - سهل سوس، ماسة وواد نون حتى نهر درعة وسمارة

II - حرص ثلة من الفقهاء على الانتشار السليم لهذه التعاليم . 350

1 - شيوخ وخلفاء توفوا قبل وفاة وأخذوا عنه مباشرة..... 367

2 - شيوخ عاصروا الشيخ المؤسس وأخذوا عنه مباشرة..... 367

3 - شيوخ أخذوا بواسطة..... 388

الفصل الثالث : انتشار تعاليم الطريقة عبر الصحراء المغربية إلى

حدود نهر السنغال 439

1 - لمحة تاريخية عن بلاد شنقيط وشيخ الطريقة التجانية بها . 439

1 - بلاد شنقيط المغربية / أي اغتيال للتاريخ 439

2 - التعريف بمحمد الحافظ العلوي الشنقيطي شيخ

الطريقة..... 451

3 - وصوله إلى فاس وأخذه عن الشيخ سيدي أحمد

التجاني..... 457

II - انتشار تعاليم الطريقة التجانية ودوره في تقوية نسيج وحدة

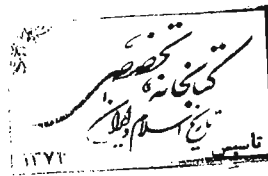
بلاد شنقيط والوحدة الوطنية الكبرى 467

1 - انتشار تعاليم الطريقة في بلاد شنقيط وماوراء نهر السنغال

على يد محمد الحافظ ومريديه..... 467

2 - دور هذا الانتشار في تقوية نسيج وحدة بلاد شنقيط والوحدة

الوطنية الكبرى..... 479



رقم الإيداع القانوني : 1738 / 2000

مطبعة فضالة

زنقة ابن زيدون - المحمدية (المغرب)

الهاتف : 32. 46. 45 (023) الفاكس : 32. 46. 43 (023)

